الجامعة الإسلامية – غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية الآداب - قسم اللغة العربية

# الالتزام في شعر محمد التّهامي
## دراسة تحليلية

رسالة ماجستير مقدمة من الطالب

**فؤاد عمر علي البابلي**

إشراف الأستاذ الدكتور

**نبيل خالد أبو علي**

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير من قسم اللغة العربية بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة

العام الجامعي ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤ م

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**" إن السمعَ والبصرَ والفؤادَ كلُ أولئك كانَ عنْهُ مسئولا "**

**صدق الله العظيم**

**يا رب  هب لي من لدنك سلاما**

**أحيـا بـه وأغـالـب الأيـامـا**

**لـولا ضياؤك لاستبـد بخـاطري**

**لـيل تعدد.. حـيرة ..وظـلامـا**

**أدعـوك والقـلب الموزع مشفـق**

**ورضاك أسمى ما ابتغيت مراما**

**محمد التهامي**

**إهداء**

**إلى التي غرست المعاني الكبار من صدق وإتقان واستقامة ...**

**إلى روح أمي الطاهرة... طيَّب الله ثراها وأنار قبرها وأسكنها فسيح جناته ..**

**وإلى الشاعر محمد التهامي ، الذي بقي وفياً لكل أصيل وجميل في ثقافتنا العربية الإسلامية ،أعزه الله في الدنيا ورحمه في الآخرة**

# شكر وامتنان

الحمد لله الذي أكرمني و أعانني على إتمام هذا البحث الذي استغرق عاماً ونصف العام ، بذلت ما بوسعي في سبيل إتمامه على الوجه الأمثل ، وأشكر ربي أن منَّ عليَّ بهذا الشرف العظيم ؛ لأقدم لشيخ شعراء الالتزام وفارس القصيدة العربية الأصيلة شيئاً مما بذله ويبذله في سبيل ترسيخ قيم الثقافة العربية الإسلامية العريقة والنبيلة عرفاناً وامتناناً ومحبة ، كما وأدعو لشاعرنا بالصحة والعافية ، فهو الذي أبقى القصيدة العربية العمودية في قمة هرم الشعر ، أبية شامخة . ويطيب لي أن أتقدم بالشكر والعرفان لأستاذي ، والمشرف على رسالتي الأستاذ الدكتور/ نبيل خالد أبو علي ، الذي لم يألُ جهداً في توجيهي وإرشادي ، ولم يبخل عليَّ بنصح أو مشورة ، بل ذلل صعوبات البحث والتقصي، وأثلج الصدر بإجابات شافية وافية ، أسأل المولى - عز وجل - بقلب محب أن يديم عليه الصحة والعافية ، ويبقيه ملاذاً لطلاب العلم والمعرفة ، ينهلون من منهله الذي لا ينضب - إن شاء الله - كما أتوجه بخالص التقدير والشكر للدكتورين الجليلين / الأستاذ الدكتور حماد أبو شاويش والدكتور عبد الخالق العف اللذين تجشما عناء قراءة هذا البحث ، وإثرائه بسديد النصح والإرشاد والتوجيه . والشكر موصول لأساتذة قسم اللغة العربية الذين نلت شرف التعلم على يديهم ، والتعرف عليهم في دراستنا لدبلوم الدراسات العليا ، حيث وقفوا مساندين ومشجعين ومؤازرين ، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور محمود العامودي ، والأستاذ الدكتور محمد علوان ، والدكتور محمد البع ، والدكتور يوسف رزقة متمنياً للجميع استمرار الرفعة ودوام التقدم والنجاح ، كما وأشكر أخي العزيز إبراهيم المنكوش الذي تجشم عناء السفر لمصر وإحضار الدواوين الشعرية من الشاعر التهامي الذي قام بدوره بإهدائها لي حين علم بعزمي كتابة رسالتي في الالتزام في شعره - أعزه الله في الدنيا والآخرة - ويسعدني أيضاً أن أشكر القائمين على مكتبة الجامعة الإسلامية ومكتبة جامعة الأقصى ومكتبة وكالة الغوث الدولية حيث لمست منهم كل تعاون واهتمام ، فجزاهم الله عني وعن المسلمين خير الجزاء ، ولا يفوتني في هذا المقام أن أتوجه بالشكر العميم لأصدقائي وزملائي وأهلي وزوجتي وأبنائي ، وكل من سعدت بمعونته ونالني شرف دعمه ومؤازرته ، راجياً من الله أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وخدمة لكل غيور على تراث هذه الأمة وكنوزها ، وسعياً لإبراز دور رجال عظام ساهموا في المحافظة على هويتنا العربية ، وحضارتنا الإسلامية ، و كل جميل وأصيل في تراثنا العربي الإسلامي أمام الهجمة الحضارية الشرسة ، وسطروا بذلك صفحات من نور ، أضاءت لنا طريقنا ، ومهدت لنا سبيلنا.

**أستغفرك ربي ، وأتوب إليك ، وأحمدك وأشكر فضلك**

# فهرس الموضوعات


**المقدمة** ..... ١

**الفصل الأول : الشعر الملتزم" تأصيل تاريخي ورؤية معاصرة "** ..... ٨

- مفهوم الالتزام ..... **٩**
- آراء النقاد حول مفهوم الالتزام ..... ١٥
- الالتزام عند الغرب ..... ٢١
- الشعر الملتزم بالإسلام ..... ٢٨
- الشعر العربي وعلاقته بالالتزام ..... ٣٢

**الفصل الثاني : بواعث التجربة الشعرية عند التهامي** ..... **٤٣**

- مصر الوطن ..... ٤٧
- الانتماء العربي ..... ٥١
- نكبة فلسطين ..... ٥٤
- النزعة الإنسانية ..... ٥٦
- العقيدة الإسلامية ..... ٦٠
- الحب الإلهي ..... ٦٢
- توظيف التراث والأغراض الشعرية ..... ٦٤

**الفصل الثالث : موضوعات شعر التهامي** ..... **٨٣**

- الرؤى الإنسانية ..... ٩٠
- القضايا الوطنية ..... ١٠٢
- قضايا العروبة ..... ١٠٧
- قضية فلسطين ..... ١١٧
- الإسلام والنفحات الإيمانية ..... ١٢٨

**الفصل الرابع : الدراسة الفنية** ..... **١٤٢**

- البنية اللغوية ..... ١٤٨
- البنية التصويرية ..... ١٧٠
- البنية الموسيقية ..... ١٨٦
- **الخاتمة وأهم نتائج البحث** ..... **١٩٨**
- فهرس المصادر والمراجع ..... ٢٠٢

# المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على الحبيب المصطفي محمد بن عبد الله الـــصادق الأمـــين ، الحمد لله ربّ العالمين ، اللهمَّ لا علم لنا إلا ما علَّمتنا ، إنَّك أنت العليم الحكيم ، اللهمَّ علِّمنا مـــا ينفعنا ، وانفعنا بما علَّمتنا ، وزدنا علما ، اللهمَّ أرنا الحقَّ حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنـــا الباطـــل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين وبعد :

يبقى شعر التهامي (١) الذي صاحب عالم القرن العشرين عنواناً لحركة المجتمع العربي في

---

(١) الشاعر/ محمد التهامي :

- ولد عام ١٩٢٠م في قرية الدلاتون محافظة المنوفية – مصر .

بدأ كتابة الشعر عام ١٩٣٩م حينما كان طالبًا في "التوجيهية " ، وحينها نشرت أول مجموعة من شعره بعنوان" الباكورة " نفدت في حينها .

- لم يستطع التفرغ بعد ذلك لطبع دواوينيه إلا في عام ١٩٧٩م .

- حصل على ليسانس في القانون والاقتصاد من كلية الحقوق جامعة الإسكندرية ١٩٤٧م.

- اشتغل بالمحاماة والصحافة والإعلام، فكان مديراً لتحرير صحيفة الجمهورية ١٩٥٣م- ١٩٥٨م ، فمديراً لإدارة الإعلام بالجامعة العربية ١٩٥٨-١٩٧٤م ، فرئيساً لبعثة الجامعة العربية في إسبانيا ١٩٧٤م– ١٩٧٩م ، فمستشاراً لجامعة الدول العربية إلى أن تقاعد.

- عضو في المجالس القومية المتخصصة ، وفي لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة، ومجلس إدارة اتحاد الكتاب، وسكرتير عام جمعية الأدباء، وعضو نقابة الصحفيين.

- اشترك في أكثر من ثلاثين مؤتمراً ومهرجاناً شعرياً.

- دواوينه الشعرية : " أغنيات لعشاق الوطن - شعر وطني ١٩٨٧م " ، " أشواق عربية - شعر قومي ١٩٨٨م ، " أنا مسلم ، يا إلهي - شعر إسلامي ١٩٩٠م " ، "دماء العروبة على جدران الكويت ١٩٩١م ،

النهوض ، والتطلع لغد جديد ، والسير للأمام بخطوات واثقة معتزة ، ومحافظة على الثوابت والأصول ، والسعى نحو التقدم والرقي ، والتخلص من كل أشكال الاستعمار ومواصلة الثورة ضد الغاصب والمحتل الآثم .

لقد اختار الشاعر التهامي الانحياز الكامل لأبناء أمته ، وراح يرصد بواقعية خلاّقة معاناتهم وهمومهم وطموحاتهم اليومية، فاتجه بقصيدته نحو الإنسان العربي المسلم في كل مكان ، ينبهه ويبين له المخاطر التي تهدده ، ويوجهه نحو المسار القويم ، محفزاً للبناء والعطاء ومعززاً مواقف المخلصين من أبناء الأمة ، فوقف إلى جانب القيم الإنسانية والمثل العليا والمبادئ السامية، وحاول أن يعكس في شعره هموم البشرية وآمالها وإحساسها بالحاجة إلى الحب والتآلف والتعاون وغير ذلك من الوسائل التي تقود إلى التطوير والتقدم والسلام .

ولمّا كان محمد التهامي من الشعراء الموصوفين بالأصالة ، وأنه فارس القصيدة التقليدية ، رأيت أن أطالع شعره ملتمساً مضامينه وموضوعاته ، ومعرفة دافعيته وبواعث تجربته الشعرية والوقوف على البنى الفنية فيه كالبنية اللغوية والتصويرية والموسيقية ، فوقفت على دواوينه : أغنيات لعشاق الوطن ، أشواق عربية، دماء العروبة على جدران الكويت، قطرات من رحيق العمر، أنا مسلم ، يا إلهي ، وقلبت معاني شعره فوجدتها البلسم الشافي لأمراض العصر ، وهموم الأمة حيث الرؤية الفنية الناضجة التي تستحق الدراسة والكشف عن خصوصية شعره ، والمضامين الملتزمة بقضايا الأمة وهمومها ، والأفكار المعبرة عن عقيدة راسخة ، و القصيدة العربية التقليدية بكل ما فيها من جمال وفنية راقية .

---

أغاني العاشقين - شعر وجداني - ليس آخر.

- مؤلفاته : جامعة الشعوب العربية والإسلامية- لماذا وكيف ؟ ، ومقالات متنوعة في الصحف والمجلات وشبكة المعلومات .

- نال الميدالية الذهبية لشعر معركة بور سعيد ١٩٥٦م، وجائزة مجلس رعاية الفنون والآداب للشعر القومي ١٩٦١م، وجائزة الدولة التقديرية في الآداب من مصر ١٩٩٠م.

- عضو مشارك في رابطة الأدب الإسلامي ، نشرت له الرابطة ديوان يا إلهي .

- حرص منذ بداية كتابة الشعر لتوظيفه لخدمة القضية الوطنية ومكافحة الاستعمار، وكذلك معاناة الإنسان المصري والعربي وقضية فلسطين.

- لا يكتب إلا الشعر الموزون المقفي، فهو أساس من أسس الموهبة الشعرية، و المعيار الذي نحكم به علي مستوي موهبة الشاعر ، واتباعه أصول الشعر ، يحترم حرية المبدعين الآخرين أياً كان إبداعهم، و يرى أن الساحة الإبداعية متسعة ولا تزال لكل أنواع الإبداع الشعري وإن اختلفت المدارس.

ينظر : محمد التهامي ، الأعمال الكاملة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الغلاف الخارجي .

لم يحظ شعر محمد التهامي بدراسة خاصة يمكن أن يشار إليها ، وكل ما وصلت إليه بعد البحث والتقصّي لا يتجاوز النتف المتفرقة التي لا تعدو كونها تعريفاً بقصيدة ، أو إشارة إلى الشاعر كفارس للقصيدة التقليدية في العصر الحديث ، أو كشاعر إسلامي معاصر ، أو أنه شارك الكثير من زملائه - شعراء الأدب الإسلامي – في دراسات تتعلق بالأدب الإسلامي، وهذا لأسباب تتعلق بالشاعر نفسه ، وبانشغاله بأعمال لم تفسح له المجال لنشر دواوينه إلا في أواخر القرن المنصرم ، وبرغم أنه عاصر العظام من الأدباء المصريين كالعقاد وعزيز أباظة و طه حسين وغيرهم ... ، و كان عضواً في لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة التي كان يرأسها العقاد إلا أنه اكتفي بأن ينشد شعره ويسوق بضاعته النفيسة عبر أسواق الأدب المنتشرة في العالم العربي ، وينشرها في الصحف والمجلات، أو يلقيها من خلال وسائل الإعلام المختلفة ، فجاب الأمصار والبلاد من بغداد إلى مراكش ، ومن السودان إلى حلب ، وكان له حضور متميز في كل سوق وندوة وكل مؤتمر ولقاء ، وقد اختيرت الكثير من قصائده لتدرس في مناهج اللغة العربية الدراسية في عواصم عالمنا العربي .

يقول فاروق شوشة في مقالة من صحيفة الأهرام : " انتقل إلى شيخ شعراء القصيدة العمودية محمد التهامي ، وعميدهم والصوت الباقي من جيل الشعراء الكبار الذين كانوا يمثلون الشعر في مهرجانات الشعر العربي في بغداد ودمشق وحلب وتونس والمغرب والكويت وغيرها، فكانت هذه الوفود الشعرية تضم العقاد وعزيز أباظة ومحمود حسن إسماعيل وعلي الجارم وصالح جودت وعبد الرحمن الشرقاوي ومحمد التهامي وغيرهم، ومنذ أربعينيات القرن الماضي ومحمد التهامي صوت جهير في المواقف الوطنية والقومية خاصة ، وتوجهه العربي الإسلامي لا يحتاج إلي دليل، وإخلاصه لنموذج القصيدة العمودية الذي يلتزم به ، فيتجلى علي مسار رحلته الشعرية الطويلة ــ التي تمتد إلى ما يزيد علي ستين عاماً متصلة- حصادها أعماله الشعرية الكاملة التي صدرت عن الهيئة العامة للكتاب ...

محمد التهامي صاحب الصوت الشعري الجهير، وشاعر القصيدة العمودية التي يصر صاحبها علي السباحة ضد التيار، بل ضد كل التيارات الشعرية التي اجتاحت حياتنا الأدبية منذ جماعة الديوان وجماعة أبولو وحركة الشعر الجديد، هو في موقعه من الساحة لا يفارقه، وعلي نهجه الشعري لا يغادره ولا يبتعد عنه، ويري فيه نموذجه الذي يصله بجيل الكبار الذين كان يعايشهم ويتحرك بينهم منذ كان عضوا في لجنة الشعر- بالمجلس الأعلى للفنون والآداب- يوم كان رئيسها العقاد، وصوتاً مجلجلاً في كل المحافل الشعرية، له لغته ونسيج عالمه الشعري، وحرصه علي الانتماء إلى صيغة شعرية نطالع فيها آثارات من شوقي وعلي الجارم والعقاد، وإن كان هو لا ينكر إعجابه الشديد بشوقي ، وانتماءه إليه واعترافه بتفرده

وتفوقه ، لقد ظل الكثير من شعر محمد التهامي بعيداً عن تناول الناس وعن الوصول إلى القراء ؛ لأنه شغل نفسه عقوداً طويلة من الزمان عن جمع هذا الشعر في دواوين ، بالرغم من نشر معظمه في الصحف والمجلات المصرية والعربية، وبقي حتى صحا علي نفسه فجأة في العقدين الأخيرين من الزمان مدركاً حجم إساءته إلى هذا الشعر، وضرورة العمل الجاد على نشره قبل أن تضم أعماله الكاملة دواوينه التي تتابعت منفردة "(١).

لقد اتجه الرأي إلى موضوع الالتزام ليكون عنواناً لشعر التهامي ؛ لأن في أشعاره تتجسد ثوابت روحية إيمانية ، وعروبية قومية ، ومنطلقات تثويرية ، تشف عن الإطار الفكري الذي التزمه منذ أول قصيدة أنشدها ، فالفكر ليس منفصلاً عن العالم الذي يحيا فيه، والقصيدة ليست قالباً لغوياً شكلياً فقط ، بل يعبر شعره عن عمل مسئول هادف، واضح الغاية، ووسيلته الكلمة التي يطلقها بين الناس ، فتفعل فعلها فِيهم ، مؤثرةً منميةً ذوقهم الجمالي ، تحثهم على العمل من أجل النهوض ، وتوجه المتلقي ليصنع حاضره الكريم ، ومستقبله المشرق ، ويحقق وجوده على هذه الأرض العربية بشرف وكرامة ، فيغير ما يجب تغييره . إن الفنان حين يلتزم بموقف معين تجاه الأشياء ويعبر عنه لا يفقد ذلك شيئاً من نضارة الفن أو أهميته أو يقلل من تأثيره ، إن دعوة الأدباء إلى الالتزام بقضايا عصرهم ومشكلات مجتمعهم ليست دعوى قسرية أو حجراً على حريتهم في التعبير ، ولا تهدف إلى جعل الأدب والفن شعارات ثورية أو حلولاً اجتماعية أو تقارير سياسية .

لم يكن بد من وضع إطار نظري للبحث يكون بمثابة الأساس والمورد الذي يعتمد عليه ، وهكذا تضمن الفصل الأول من هذه الدراسة مفهوم الالتزام اصطلاحاً ولغة ، وتوضيح غاية الشعر ووظيفته ، واستعراض بعض آراء النقاد حول هذا المفهوم ، ورصد وجهات نظرهم ورؤيتهم ، ولما كان سارتر من الذين أسسوا لقواعد الالتزام كان لابد من الإشارة إلى كتابه الشهير "ما الأدب ؟ " وتوضيح دوره في إرساء مفهوم الالتزام كأساس نقدي وفكري . وبعرض سريع تمت الإشارة إلى ظهور هذا المفهوم في وعي العربي وتفكيره منذ عصر الشعر الجاهلي مروراً بالإسلامي والأموي والعباسي ... والحديث ، إلى عصر الحداثة وقصيدة النثر ، مبرزاً جوانب جديرة بالاهتمام والدراسة كان الالتزام قائماً في خلفياتها ، ومضامينها الموضوعية والفنية . موضحاً مفهوم الأدب الإسلامي المبني وفق التصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة.

---

(١) فاروق شوشة ،عموديون يسبحون ضد التيار ، صحيفة الأهرام ، العدد ٤٢٦٥٠ ، الأحد - ١٤ سبتمبر ٢٠٠٣م .

عُرف التهامي شاعراً من أعمدة الشعر العمودي على المستوى العربي في أغلب عقود القرن الماضي ، فلم يكن في عيون قارئيه وسامعيه شاعراً عادياً ، بل كان مخزون ثقافة الأمة ، ووعيها وثوراتها وطموحاتها وآمالها وآلامها ، فلا توجد مفردة في شعره - وتلك إحدى مزاياه - إلا وتعبر بعمق وصدق عن جانب من جوانب الحياة العربية ، فالشاعر القادم من أرض الكنانة صاحب تجربة شعرية إبداعية ، اتسعت شهرتها عبر أرجاء الدوائر والأوساط الثقافية العربية ، وهو إلى جانب كونه مبدعاً ، يعتبر من الشخصيات الفاعلة في الحياة الثقافية المصرية والعربية ، ولمَّا كان عصر التهامي عصر صراع شديد بين الحق والباطل، بين الجلادين وضحاياهم، فلابد وأن يحدد موقفه، ويعلن انتماءه وانحيازه لأحد طرفي النزاع أو الصراع .

كان محور موضوعات الدراسة في الفصل الثاني لبواعث شعره ودوافعها حيث تشكلت التجربة الشعرية لديه ، بما يحمل من إرث ثقافي كان الدافع والباعث لأشعاره ، فهو يعيش قضايا حية تؤثر فيه تأثيراً وجدانياً عميقاً ، ودوافع رئيسة تسيطر على ملكاته، وبواعث تصقل تجربته الشعرية، فيحمل في ثنايا نفسه قضايا أمته ووطنه وشعبه، فمصر الوطن الذي تربى في أكنافه ، وسرت مياه النيل في عروقه فأنشد أغنياته العاشقة لأرض مصر، وظلت العروبة انتماءه وقوميته ، فعبر عن أشواقه العربية بحس مرهف ومشاعر فياضة ، أما نكبة فلسطين فهي جرح مازال ينزف من كل جسده ، فكان الألم والوجع لدماء العروبة في فلسطين والعراق والكويت ، وبقى الحلم بالإنسان الذي يحيا كريماً أينما حل ورحل ملازماً له في النوم واليقظة ، أما العقيدة الإسلامية والنفحات الإيمانية و الحب الإلهي فلا يزعزعه أمر ولا يشوبه شك ، ففي نهاية الفصل أشرت إلى اهتمامه واعتزازه بالتراث العربي وسعة ثقافته واطلاعه .

إن قصيدة التهامي لا يمكن أن تكون نتاج شعور طارئ ، بل هي عملٌ أُعمل فيه الفكرُ ، واتضحت فيه الرؤية لواقع عصره ، وعلى أساس هذا الفهم الواعي ، والإدراك العميق ، كوّن التهامي موقفه الأخلاقي من كل ما يدور حوله من صراعات ، وجدل وطموحات ، وآمال وتضحيات واستشهاد ، وكان قد اختار الكلمة الصادقة لتنطق بالحقيقة منذ البداية ، فالشاعر مسؤول – ولو بقدر ضئيل - عن تقدم مجتمعه وتأخره ، ونهوضه وتثويره ؛ فهو مشارك فيه ومتأثر به ومؤثر فيه ، ولعل مسئوليته تكون أعظم شأناً من غيره من المبدعين ، إنه الكلمة المؤثرة والنبض المرهف ، وبهذا اعتمد الفصل الثالث على موضوعات شعر التهامي ، فتم إبراز أشعاره الإنسانية ، والقومية، والوطنية ، حيث شكلت المساحة الكبيرة من دواوينه، وقد وجدت أن التهامي - كما كل عربي مسلم مخلص ، اكتوى بمأساة فلسطين المكلومة ، وبصلف المحتل الغاصب ، وبتشريد الشعب - متأثراً ومعبراً عن ذلك في أكثر من قصيدة ،

فأبرزت هذا الجانب المهم والخاص ، وأفردت له جانباً من الفصل الثالث ؛ لأنه ما زال يستنهض الهمم لتحريرها ، واسترجاعها لأصحابها ، ويصدع صوته بقضيتها في كل دواوينه الشعرية ، وبقصائد بقي صداها حتى يومنا مؤثراً وفاعلاً ، فحث على المواجهة وعرى المتآمرين ، فكان له الدور في تركيز أبعاد قضيتنا في أذهان الجماهير ، والمحافظة علي جذوتها في نفوس أصحابها وأهلها والعرب والمسلمين . لقد نذر الشاعر التهامي نفسه وفكره وقلمه لقضايا أمته وعقيدته إبداعاً وتعبيراً ، واستهل حياته منذ يفاعته بأشعار التزمت موضوعات تمس حياة الإنسان العربي المسلم ، منتهجاً سبل الاستقامة ، ومحققاً بذلك التضامن الرائع بين المنهج والسلوك كوسيلة مُثلى تغري الآخرين بالمحاكاة والاحتذاء ، معبراً عن قلب مفعم بنور الإيمان والهدى ، فكان الجزء الأخير من الفصل الثالث لشعره الإسلامي، الذي ظهر جلياً في ديواني " أنا مسلم " و" يا إلهي " .

أما الفصل الرابع والأخير فكان لدراسة البنى الفنية والقوالب الشكلية لغوية وتصويرية وموسيقية ، فهو رائد القصيدة العمودية الموروثة في عصر تعددت فيه الآراء والرؤى ،إن القصيدة المعتمدة أوزان الخليل اتسعت لكل مضامينه الفكرية والعقدية والإيمانية، فارتقى بها مستوى من الإبداع والفن الرفيع ، بلغة رائعة وصور معبرة ، وموسيقى شعرية عذبة ، فالتهامي منذ أن وعى ذاته وقدراته الذهنية والاستيعابية والإبداعية في مجال الشعر وهو محافظ على ثوابته وأصوله رغم ما تدعو إليه أوساط كثيرة من الشعراء والنقاد للتحلل من كل ما هو قديم واعتبار ذلك قيداً يجب الفكاك منه ، واللهث وراء دعوات التحديث والتغريب ظناً أن هذا يساهم في اللحاق والتقدم . لقد عاش التهامي زمن الجدل بين أصحاب جانبي الصراع منذ نشأة قصيدة التفعيلة ، وزمن الحداثة وما بعد الحداثة ، وقصيدة النثر والشعر المنثور ، وازدواجية المصطلحات النقدية والأدبية... لكنه اعتمد الحياد ، ودعا إلى ما سماه التعايش السلمي بين الطرفين .

وأما منهج الدراسة فقد أتبعت المنهج التحليلي في ضوء المنهج التكاملي وقمت بدراسة النصوص الشعرية دراسة تحليلية وصفية موضوعية وفنية ، أظهرتُ فيها الخصائص الأدبية للشاعر من فكرية وفنية ، معتمداً المنهج التكاملي في دراسة بواعث شعره وموضوعاتها ووضع مستلزمات البحث وتطبيقها ؛ لأنه – فيما أرى – أنسب المناهج والأكثر مواءمة لدراسة شعر التهامي التي لم تسبق دراسته بصورة خاصة ، فهو يقوم على الإفادة من مناهج عدة كالمنهج الاجتماعي والنفسي والجمالي ... ، بحيث تتكامل فيما بينها .

# الفصل الأول

## الفصل الأول : الشعر الملتزم" تأصيل تاريخي ورؤية معاصرة "

- مفهوم الالتزام
- آراء النقاد حول مفهوم الالتزام
- الالتزام عند الغرب
- الشعر الملتزم بالإسلام
- الشعر العربي وعلاقته بالالتزام

**مفهوم الالتزام :**

يقصد بالالتزام في اللغة الاعتناق والمداومة على الشيء (١) وفي الاصطلاح الأدبي تعني تبني الأديب موقفاً يرتبط بفكره وعقيدته ، وتحمل التبعات المترتبة على التزامه به وقد ارتبط مفهوم الالتزام – إلى حد بعيد - بمفهوم الأدب نفسه ، ومدى علاقته بالحياة ، وبالدور الذي يقوم به الأدب عامة والشعر خاصة في توجيه هذه الحياة .

" والالتزام شيء ، والإلزام شيء آخر ، فالالتزام يعني حرية الاختيار ، وهو يقوم على المبادرة الإيجابية الحرة من ذات صاحبه ، مستجيباً لدوافع وجدانية نابعة من أعماق نفسه وقلبه ، ولعل هذه الحرية هي التي تضفي على الالتزام معنى الشعور بالمسؤولية " (٢).

إن الأدب الملتزم يقف على مرتكزات ومنهجية واعية ، الغاية منها هي حقيقة الرؤية الفكرية الخاصة ونظرتها إلى الإنسان ، وتقويمه نحو الكمال ، ومداعبة الأحاسيس الصادقة بالكلمة المؤثرة ، والأدب الجدير باسمه هو ما كان مرآة لعصره وترجماناً لظروفه ، الأدب المتواصل مع مجتمعه ، فليس الأدب بناء لغوياً وحلىً لفظيةً أو زخارف كلامية ، وصوراً فنية جمالية .

لقد تمكن الشاعر الملتزم أن يجعل نصه ذا مضامين هادفة يعالج من خلاله مشاكل الأمة ويرسم مسارها الواضح ، بعيداً عن الضبابية والإبهام في الرؤى ، والالتزام ليس بدعاً في كثير من الآداب العالمية - قديمها وحديثها - حتى أولئك الذين يؤمنون "بنظرية الفن للفن" يعملون في نطاق التزام بنوع معين يرتبط بوجهة نظرهم في الفن ، وبذلك كل مذهب من

---

(١) راجع : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة " لزم " دار صادر ، بيروت ، ١٢ /٥٤١-٥٤٢.
" لزم الشيء ، يلزمه لزماً ولزوماً ، ولازمة وملازمة ولزاماً ، والتزمه ، وألزمه إياه فالتزمه . ورجل لُزمةٌ يلزم الشيء فلا يفارقه . واللزام الملازمة للشيء والدوام عليه ، والالتزام : الاعتناق .
- وقد وردت مادة الكلمة لزم في القرآن الكريم في قوله تعالى :
" وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ". - الإسراء الآية ١٣ .
- وقد وردت في الحديث الشريف : " في مثل قول أبي هريرة عن الحسن بن علي فلما جاء التزمه رسول الله صلى الله عليه وسلم والتزم رسول الله - صلى الله عليه - قال : اللهم إني أحبه فأحبه ، وأحب من يحبه ثلاث مرات " . - ينظر : أحمد بن حنبل الشيباني : مسند أحمد ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، ٢ /٣٣١.
(٢) أحمد أبو حاقة : الالتزام في الشعر العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٩م ، ص ١٤ .

مذاهب الفن أو الأدب يتحرك في إطار تصور معين ، ويلتزم شكلاً وموضوعاً بقيم خاصة يحرص عليها أشد الحرص ويدافع عنها .

إن الالتزام بقضايا شريفة نبيلة والتضحية في سبيلها فضيلة ، والشاعر الملتزم يتأثر ويؤثر بصدق تجربته والتصاقها بقضايا تشغل الإنسان وتحدد مصيره ، والشعر يزيد من معرفتنا ، فليس بشعر مالا يؤثر فينا . ونحن لا نتأثر دون أن تصبح لدينا معرفة بتجربة جديدة أو أكثر حيوية ، وليس عمل الشاعر إقناع القارئ ، ولكنه يؤثر في كل ما هو حي في الإنسان ، فإذا انتقل شعره بنجاح إلى الآخرين فقد تحتم أن يكون له أهمية (١).

فالالتزام ركن أساس في مفهوم الأدب ، وهو الوسيط الضروري والطبيعي الذي يجمع بين الجمال والفكر ، أو بين الإبداع والتصور ، التزام مرن وعفوي ينساب في التجربة بغير إلزام أو تكلف أو قانون صارم يصدر عن أي سلطة ، وفرق كبير بين أن يأتي من فوق لكي يضبط التجربة الفنية ، وبين أن يتدفق من باطنها ويجري في أوصالها ، فالذين يزعمون أنهم يرفضونه لأنه قيد على حرية الأديب منافٍ للقيم الفنية والجمالية، يلتزمون - سواء شعروا بذلك أم لم يشعروا ، واعترفوا به أم لم يعترفوا - بقواعد ومبادئ ، مع ذلك كله فإنه أساسًا ينبع من داخل الشاعر وليس التزامًا مفروضاً من أي سلطة ، ومعنى ذلك أن الالتزام الأمين في الأدب هو بالضرورة التزام بقيم لا تتنافر مع العقل والأخلاق والحرية المنضبطة بعقيدة وخلق المجتمع ، وهذا التناغم بين الالتزام والحرية المنضبطة لا المطلقة هو لب الفن الحق .

وهكذا فإن للفنون والآداب وظيفة ، وأياً كانت هذه الوظيفة فهي استجابة لحاجة ، هذه الحاجة التي تبدو مستعصية على الزمن وعلى التقلبات والتطورات الاجتماعية ، وكل أدب وفن حتى الموسيقى والرسم والنحت تحتوي على مضمون محدد له دلالة اجتماعية وفكرية. لقد ظهر مصطلح أدب الالتزام، أو أدب المواقف نتيجة لتأثير الأيديولوجيات الحديثة في الأدب، والتي تعكس آراء أصحابها في المتغيرات الاجتماعية والسياسية المعاصرة .

إن الالتزام بهذا المفهوم هو حيوية وإيجابية، إنه يعني أننا طرف فيه في هذا الواقع المتحرك بسرعة ، أو جزء منه، نساهم في صنعه، وفي تحمل مسئولية ما يجري على سطحه، بدلاً من أن نتفرج عليه، أو نجري وراء الآخرين ، فالالتزام يجعل الأدب نشاطاً جاداً

---

(١) ينظر : عز الدين إسماعيل : الأسس الجمالية في النقد العربي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٩٢م، ص٢٢٩ .

فاعلاً ذا تأثير في مسار الحياة، وفي حركتها، مما يكسبه المصداقية والقيمة، ولو أخذنا بـــرأي أصحاب الفن، وبرأي بعض مدارس الحداثة المعاصرة التي تنحو منحى الفن للفن على أشكال مختلفة لسقطت منزلة الأدب ، إذ سيتحول عندئذ إلى حُلى لفظية، وزخارف كلامية، لا غرض لها أبعد من ذلك.

إن الالتزام يجعل الأدب غيرياً، مرتبطاً بالآخر، منشغلاً به، ينبض بهمومه وأحاسيـــسه، ويعيش أفراحه وأحزانه ، بدلاً من انغلاقه على ذاته، واجتراره مشاعر فردية، إنـــه الجانـــب الإيجابي من علاقة متبادلة بين الشاعر والمجتمع ، وهي ليست علاقة أخذ أو عطاء ولا علاقة انصهار أو ذوبان وإنما علاقة تطابق (١).

ويتمشى الالتزام مع سنة الله في الكون الذي لم يخلق شيئاً عبثاً، فإن كانت الكلمة أمانـــة ومسئولية ، فإن الأدب الذي مادته الكلمة لابد أن يكون ملتزماً بأداء هذه الأمانة تجـــاه الحيـــاة قال تعالى : " الرحمن ، علم القرآن، خلق الإنـــسان، علمـــه البيـــان" (٢) ، وذلـــك بمعالجـــة مشكلاتها أو محاولة تجميلها، أو تقديم تفسير لها، أو الكشف عن أسرارها، أو إيضاح الغرض منها، أو بيان الحق والباطل فيها، وهو بذلك كله يعين الإنسان على العيش فيها، ويكـــون لـــه هادياً ومرشداً .

لقد تحدث القرآن الكريم في أكثر من آية عن مسئولية الإنسان فـــي اســـتخدام حواســـه جميعها ، فقال تعالى : { إنّ السمع والبصر والفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسئولاً} (٣) ، وأن الله تعالى سيوقف ويحاسب عليها: "وقفوهم إنهم مسئولون" (٤) . وإذا كان لكل كلمة اعتبار فـــي احتساب الثواب والعقاب، فهل يُستثنى من ذلك الفنان والأديب ؟ بحجة أن ما يقوله صادر عن لحظة انفعال وجدانية، أو إثارة عاطفية، وأن إبداعه مجرد تعبيرات وصور جماليـــة فنيـــة لا تصور الحقيقة، بل مجرد تعبيرات هدفها التصوير الفني فحسب، فلا تدخل عندئذ فـــي إطـــار المنع أو الحظر الشرعي والعقدي مهما تنافرت مع سنة الخلق في مجتمع من المجتمعات .

---

(١) ينظر : إحسان عباس : اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، ط٢، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، والمركز العربي لتوزيع المطبوعات ، بيروت ١٩٩٢م ، ص ١٥٦.

(٢) الرحمن : الآية ٤ .

(٣) الإسراء : الآية ٣٦ .

(٤) الصافات : الآية ٢٤.

والواقع أن مفهوم الالتزام قد ارتبط إلي حد بعيد بمفهوم الأدب نفسه ، ومدى علاقته بالحياة ، وبالدور الذي يقوم به الأدب في توجيه هذه الحياة (١) ، إن مشكلات الأديب لا تنفصل عن مشكلات الناس ، بل ربما كانت مشكلات الناس بالنسبة إليه هي محور مشكلاته ، وإلا لما كان هناك مبرر للحديث عن الالتزام وما يثار حوله من مناقشات كثيرة ، وإنما يتحقق الالتزام عندما يقدم الأديب للآخرين أعمالاً إيجابية في تأثيرها ، تمس حياتهم ومشكلاتهم مساً مباشراً . وأما الذين يعادون هذه الفكرة يحسبون أن التزام الأديب بقضايا مجتمعه يعني بالضرورة اشتغاله بالمشكلات اليومية ، وأن هذا من شأنه أن يحط من جلال الأدب ، وإنما تتحدد قيمة العمل الفني بالأثر الفعال الذي يتركه في نفوس الناس (٢) .

قضية الالتزام هي جدل بين الأيديولوجية والفن ، ولكننا لو أمعنا النظر في حقيقة الفن من حيث هو تعبير إنساني وجدناه منذ البداية شديد الارتباط بالعقيدة ، إن المتدبر لتاريخ الفن حتى العصور الحديثة يستطيع أن يدرك هذه العلاقة الوثيقة بين الفن والعقيدة (٣) .

فالالتزام يربط المبدع بالواقع ، وهو في حقيقته التزام المبدع بالقيم الحضارية الخاصة بمجتمع دون آخر، وليس تجريده من أفكاره وميوله الطبيعية باعتباره ذاتاً موهوبة متميزة ، فلا نستطيع الفصل بين الفكر والشعر فصلاً قاطعاً بتجريد الشعر من البعد الفكري ، فالتلازم قائم بينهما على نحو طبيعي وضروري فالشاعر يفكر لكنه تفكير شعري يحيل الأفكار برؤيا وتقنية خاصة إلى شعر ، وفكر الشاعر من لون بيئته وعصره الذي يعيش فيه (٤) .

إن قراء الشعر يدركون تماماً أنه ليس من مهمة القصيدة أن تحمل إليهم معنىً محدداً أو فكرة بعينها ، وإنما يكفيهم منها الإثارة الوجدانية ، يكفيهم منها إثارة ألوان من الانفعال تدفع الشاعر إلي التعبير ، فليس قيمة الشعر في ذاته فحسب ، وإنما نتوقع من القصيدة دائماً أن تغير من موقفنا إزاء شيء بعينه ، أو تعدل من هذا الموقف ، وبالتالي تؤدي إلي خلق نوع من الانسجام في الموقف الجماعي ، وفضلاً عن ذلك فإن أدب الالتزام لا يؤمن بأن الحرية الكاملة للفرد تتحقق خارج المجتمع أو ضده ، بل يميل - على الأرجح - إلى الرأي القائل بأن الإنسان خارج المجتمع لا يكون إنساناً أبداً وإنما يصير في مستوى الأنعام ويكون على هذا

---

(٥) ينظر :عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر ، ط٣، دار الفكر العربي ،القاهرة ١٩٦٦م ، ص ٣٧٣.

(١) ينظر : عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر ، ص ٣٧٥-٣٧٦ .

(٢) السابق ، ص ٣٧٧-٣٧٨ .

(٣) ينظر : عبد الرحمن محمد القعود : الإبهام في شعر الحداثة ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ٢٠٠٢م ، ص٢٧-٢٨.

النحو عرضة للجبرية القاسية ، فالحرية انتصار اجتماعي ، وما يسري على شخصيات أدب الالتزام يسري بصورة أقوى على الفنان الملتزم نفسه ، فهناك تبادل مثمر بين نشاطه الإبداعي فناناً ، وحياته رجلاً ، له مواقفه ، حيث أن حياته تثرى فنه وتزوده بالزاد الوفير ، فيشاركهم صعوباتهم ويتعرف على مشاعرهم (١) .

ويبقى الجدل مع المنادين بأسبقية المضمون وأهمية على الشكل ، بالصورة التي كانوا يعبرون بها عن احتقار فادح لشكل التعبير الأدبي، واضعين المضمون كحكم قيمة في العمل الأدبي ، لدور الأدب في تغيير وعي الجمهور واتجاهاته ، وإذا كان الأدب هو قدرة الشخص على التعبير عن العالم ، فإنه حين يطالب الأديب بأن يكون موضوعياً في الكتابة فحقه في التعبير عن نفسه يصادر ، أما إذا كان صادقاً في التعبير عن ذاته ، فسيكون قادراً على التعبير عن العالم من حوله ؛ لأن العلاقة واضحة بين الذاتية والموضوعية ، وبين الشكل والمضمون .

وهكذا فإن المفهوم الإنساني للالتزام مازال موضوعاً قابلا للنقاش ، إذا نظر إليه كفعل أصلي سابق على التنظير الأدبي أو الأيديولوجي ؛ لأن من طبيعة المبدع أن يكون ملتزمًا وأن التوهم بقطيعة الفعل الأدبي مع جوهر المفهوم الإنساني للالتزام وهم واستحالة ، فالمبدع جزء متأثر ومؤثر وفاعل في المجتمع وأن أداء حق الشعر يبدأ من أداء واجب الالتزام السياسي والاجتماعي بوصفه التزاما بالفن الشعري.

إن عملية الإبداع الفني عملية فردية ، وإن العمل الفني يحمل وجهة نظر إنسان بعينه ، وأن الفن سيظل دائماً عمل الفرد المبدع ،حيث لا تتعارض هذه الخاصة الفردية مع العقيدة الجماعية ، وعلي ذلك تحددت منذ البداية صورة التفاعل بين العقيدة والفن ، أو بين المجتمع والفنان ، فالعمل الفني الناجح إذن هو العمل الذي يعبر عن موقف له وزنه وقيمته (٢) ، فالشاعر الملتزم إلى جانب قضيته الأساسية، لابد أن تكون له صلة قوية مع جمهور من الناس يخاطبهم ويكتب لهم حتى إن لم يجد حلولاً، بينما نجد الشاعر الذي تشغله أمور الفكر أو الفلسفة أو الحالات النفسية المعقدة ، لا يعبأ كثيراً بالجمهور الكبير، وقد لا يحزنه أو يؤذيه أن يرى جمهور شعره قليلاً محدوداً ، بل ربما وجد في الجمهور المحدود ميزة وقيمة ... فهو

---

(٤) ينظر : ماكس أديريث : أدب الالتزام ، ترجمة عبد الحميد إبراهيم شيحة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٨٩ م ، ص ١١٧ .

(١) ينظر :عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر ، ص ٣٧٩-٣٨٢ .

شاعر صفوة ونخبة وأقلية ذات فكر رفيع وثقافة عالية . فالتزام الشاعر يعني وجوب مشاركته بالفكر والشعور والفن في القضايا الوطنية والإنسانية ، بينما يتوقف الآخرون عند حد الشعور بالألم أو تمني الأمنيات ([1]) .

ومن هنا كانت علاقة الشاعر الملتزم بجمهوره الكبير الواسع أمراً يفرض عليه العناية الشديدة بما هو غير مبهم ، فلا يمكن مخاطبة الآلاف من البشر عن طريق الصور الغامضة والأفكار المعقدة والخيال الجامح ، ولعل شعره الصادق يكون إنذاراً ويساهم في حل الكثير مما يواجهه ، أما الناقد الذي قال قديماً إن " أحسن الشعر أكذبه " (٢) ، فأظن أنه لم يكن يقصد الجانب الأخلاقي أو الوطني أو المبدئي بل الجانب الفني الجمالي في الشعر ،إنه كذب وظيفته إيصال الحقائق بصور مدهشة عذبة ؛ لأن الحقائق مهما سمت ، لا تصنع شعراً أما إذا غدت تلك العبارة النقدية ذات النية الحسنة، عباءة فضفاضة يتلفع بها كل منافق ومتملق ، فينبغي أن نصرخ ملء أفواهنا أن " أعذب الشعر أصدقه " ؛ لأن وصف حاكم ظالم بأنه عادل، أو وصف حكومة جائرة بأنها منصفة وفق كل أساليب البلاغة الجميلة، هو أمر لا صلة له بالعذوبة.

يقول ابن طباطبا في عيار الشعر : " والفهم يأنس من الكلام بالعدل الصواب الحق ، والجائز المعروف المألوف ، ويتشوف إليه ، ويتجلى له ، ويستوحش من الكلام الجائر الخطأ الباطل والمحال المجهول المنكر ، وينفر منه ويصدأ له " (٣) .

الشاعر ضمير الأمة والبوصلة الدقيقة الحساسة التي تشير إلى حقيقة الاتجاهات، مهما اختلفت الفصول وتغيرت الأنواء، ولا قانون يحكمه أصلاً إلا ما يحكم حركة مؤشر البوصلة من قوانين ، والقصيدة الملتزمة وفق هذا المفهوم، تجد جمهورها دائماً ، الجمهور العام لا الخاص ، فالأثر الشعري لا يوجد إذا كان المتلقي لا يتقبل المحتوى الشعري المبثوث في الرسالة الشعرية ، ومادام الأمر كذلك فإن القارئ لا يقوم بوظيفة سلبية في عملية التواصل الفنية باعتباره مجرد متلق بل وظيفته بالغة الإيجابية ، وهو يتدخل في خلق القصيدة ابتداء من

---

(٢) ينظر : محمد غنيمي هلال:النقد الأدبي الحديث ، دار الثقافة ودار العودة ، بيروت ١٩٧٣ م ، ص ٤٥٦ .

(١) ينظر : تقي الدين الحموي : خزانة الأدب ، ط١ ، تحقيق عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ١٩٨٧م، ج/٢ ص٧ وابن الأثير : المثل السائر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط٢ ،المكتبة العصرية، بيروت ١٩٩٥ م ،ج/٢ ص٣١٣ .

(٢) ينظر : ابن طباطبا : عيار الشعر ، تحقيق عبد العزيز المانع ، طبعة دار العلوم للطباعة والنشر ، السعودية ١٩٨٥م ، ص٢٠.

تصورها الأول ، فالشاعر يكتب لا محالة بشكل يدعو القارئ لتقبل ما ينشئ ، وبدون هذا التقبل لا وجود للشعر (١) .

وإجمالاً فقد اتضح أن الالتزام هو اختيار الشاعر الإرادي لموقف محدد من الحياة ، وانضمامه إلى جانب المدافعين عنه ، وذلك من خلال التعبير الفني الملتزم التزاماً نابعاً من الذات وإحساسها بالمشاركة الجماعية دون فرض أو إملاء أو إلزام ، متوجهاً لقلب المجتمع ملتصقاً بكيانه ، مؤثراً في مسار الحياة وحركتها .

## آراء النقاد حول مفهوم الالتزام :

تنزع بعض المذاهب الأدبية والمناهج النقدية الحديثة إلى إعفاء الأديب من الالتزام، وتحاول تجريد الأدب من المسئولية، حيث لم تعد تتحدث عن دوره ووظيفته ، وصار الحديث كله يتجه إلى بيان طبيعته ، ولاسيما اللغوية منها ، فهل انقطعت صلة الأدب بالحياة والمجتمع، ولم يعد ــ كما يراد له ــ أكثر من بناء لغوي متميز ؟ وما على المتلقي في هذه الحالة ــ أياً كان ــ سوى البحث عن هذا البناء والاشتغال به وإلا عد متلقياً متخلفاً يتعامل مع الأدب بمعطيات قديمة بالية .

إن واقع الحال يشهد أن الأمر ينبغي أن يكون على النقيض من ذلك ، فالالتزام اليوم مطلب حضاري ؛ لأنه يعني تواصل الإنسان مع العصر، وعيشه فيه، وهذا عصر الأفكار والأيديولوجيات والمذاهب الفلسفية والسياسية والاجتماعية ، ولا يمكن للإنسان أن يعيش متفرجاً على ذلك كله من غير أن يكون له موقف .

يرى بعض الباحثين أن اشتراط أن تكون الواقعة الأدبية أداة عمل ، يعد مطلباً خارجاً عن الغايات الجمالية للعمل الأدبي ، وهذا الاتجاه يطالب بأن تكون الأعمال الأدبية أدوات للدعاية ووسائل للحث وللحض على العمل ، ويثير في هذا الاتجاه المشكلة القديمة التي ثارت بشأن الخير والجمال في العمل الأدبي ، وهي التي تناقش في الوقت الراهن تحت شعار الالتزام في الأدب ، وقضية الالتزام من القضايا التي أثارت كثيراً من الجدل بين الأدباء والنقاد (٢) .

---

(٣) ينظر : صلاح فضل : أساليب الشعرية المعاصرة ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٩٨م ص ٢٣.

(١) ينظر :السيد ياسين : التحليل الاجتماعي للأدب ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٠م، ص ٩٣ .

إن الظاهرة اللافتة للانتباه هي الدعوة العريضة التي يرفعها عدد من الكتاب في سياق يرفض مفهوم الالتزام رفضا باتاً ، كما يرفض ما يسمونه الاهتمام بالقضايا الكبيرة ، ويعنون بها القضايا الاجتماعية والسياسية أو الوطنية و القومية ، فالحياد في هذه الكتابات هو في نهاية الأمر موقف من المجتمع ومن الأيديولوجيا .

وقد بين الدكتور غالي شكري موقفه من الالتزام موضحاً أنه لا يعني بقضية الشاعر تلك الدوائر المغلقة في عالم الالتزام حيث تتحول القصيدة إلى عقيدة والمجموعة الشعرية إلى قانون للإيمان ، وأنه لا يطالب الشاعر المعاصر بما يمكن تسميته " وجهة النظر " التي تفيد الثبات والاستقرار والتقولب والمحدودية ؛ لأن الشعر أغنى الملكات الفنية بالحرية ولذلك هو بعيد عن قيود الإلزام والالتزام (١) .

ويرى الدكتور زكي نجيب محفوظ أنه من الإجحاف بالشعر أن نطالبه بالخروج عن نفسه وبالتنكر لطبيعته ليخدم شيئاً آخر سواه ، وسيخدم بما يحقق رغباتنا وبالطريقة التي ترضي الفن ، ألا وهي طريقة الإثارة والإيحاء ، إن الشاعر إذا سها عن فنه لحظة فوقف منا موقف الواعظ المرشد فإنه ينفي عن نفسه أن يكون شاعراً ، فأفضل أن يكون الشاعر معلماً أخلاقياً حين لا يحاول أن يعلم، ولقد يكون عند الشاعر شيء من حكمة الحياة يريد أن يعلمنا إياها فتكون أقرب إلى أطراف أنامله منها إلى سواه (٢)، ينطلق معظم النقاد والدارسين الذين يرفضون فكرة الالتزام من التخلي عن "الالتزام" وعن دعوى الوقوف على اليومي الآني العرضي أو المشهد الحسي ، أو ما يقولون إنهم لا يعرفون غيره مما يتعلق بهموم الحياة ومشاغلها الصغيرة ، تلك دعوى عريضة تنقض نفسها بنفسها ، إذ هي الطرف النقيض لقضية كبيرة طرفها الغائب الآخر هو مضمر وقائم ،أي باختصار هذه قضية فلسفية تنقض نفسها ؛ لأنها بالتحديد تعني نقيضها، إن رفض بعض الكتاب للإسقاط الفكري وما يتضمنه هذا من رفض مفهوم الالتزام، هو أيضا نوع من الإسقاط الملتزم فكرياً ، فمن الوضوح بمكان أن رفض السياسة هو سياسة ، الرفض الحقيقي للالتزام هو الكف عن الكتابة أصلاً ، أما الكُتّاب الجدد فلهم موقف سياسي وفكري ، يشاركهم فيه الكثير من أدباء الالتزام، ولكن دون تخفٍ وراء الأقنعة حيث تظهر الكتابة هذه الأقنعة، وتُفصِح عن ذاتها بمواقف أو قضايا يمكن تحديدها عقليًا ونقدياً عبر تحليل هذه الكتابة ، يقول أدونيس في كتابه زمن الشعر : "ليس كافياً أن نقول إن الفن للشعب فهذا أمر أصبح واضحاً ، فليس الفن للحجر ولا للشجر ، وليس

---

(١) غالي شكري : شعرنا الحديث إلى أين ، دار المعارف بمصر ١٩٦٨ م ، ص ١٦٣ .

(٢) ينظر : زكي نجيب محمود : مع الشعراء ، ط٣ ، دار الشروق ، بيروت، القاهرة ١٩٨٢م ، ص ١٩٤ .

للملائكة وليس للفن ، الفن للإنسان للشعب ولكي يمكن للفن العربي أن يكون للشعب العربي مطلوب أن نعمل على رفع مستواه العام التعليمي والتثقيفي " (١) .

إن التجربة الفنية الحقيقية سعيٌ إلى معرفة ، أو بشكل أدق سعيٌ إلى وضع سؤال نحو المعرفة ، وأن العمل الأدبي لا يريد لنفسه أن يكون تعبيراً عن قضية بعينها أو تبشيراً بها، أو دعوة لها، وليس هو بالقطع محاولة لما يسمى تصوير الواقع، أو شريحة من الحياة ،أو انعكاس للأوضاع الاجتماعية ، وكما يقول الدكتور محمد غنيمي هلال : " إن قيمة التجربة في الشعر تقوم ضد فكرة الشعر للشعر ، ثم إن وجود قيم فنية مستقلة ليس معناه أن هذه القيم غاية في ذاتها ، ولا ينبغي بسبب ذلك عزل التجربة الفنية عن القيم الأخرى أو التهوين من شأن هذه القيم ، ولابد من اعتبار التجربة في مكانتها بين التجارب الإنسانية الأخرى ، والتجربة تستلزم ارتباطاً خاصاً بين عالم الشعر والعالم الخارجي " (٢) .

إن محاولة بعض الباحثين - تحت دعوى الالتزام - ربط المبدع بالواقع ومحاولة إقناعه بالتخلي عن الحلم في المستقبل، هي في حقيقتها محاولة إلزام المبدع بالقيم الحضارية الآنية ، وقمع نزوعه الثقافي المستقبلي ، وتجريده من أفكاره وميوله الطبيعية باعتباره ذاتاً موهوبة متميزة، وقد ينتج عن هذه المحاولة -التي هي في الأساس محاولة فرض نظرة اجتماعية متجانسة على المبدع وذاته الفريدة- تحولات وتغيرات في ميول المبدعين واتجاهاتهم تجعلهم أكثر إحباطاً وعدمية في بعض الأحيان ، بينما تتحول إلى رفض وتمرد وجنوح في أحيان أخرى ، ويرى الدكتور إحسان عباس أن " الشعر نوع من معالجة الحقيقة بتنظيمها تنظيماً جديداً وسيظل الشعر من غرس حديقة الحياة ، يجمع بين قصة المجتمع والتكامل الجمالي معاً ، وإذا أهمل واحداً منهما فقد ركناً هاماً من مقوماته ودواعيه " (٣) .

إن الإبداع لن يتحقق إلا بمصالحة صادقة بين المجتمع والمبدعين من خلا ل الإدراك أن الالتزام هو نتاج تفاعل المبدع مع ثقافته، وتنامي قدرات المبدعين على هضم مفردات هذه الثقافة وإعادة إنتاجها دون إلزام أو قهر، أو تزييف ،ربما كان الأدب يدعي أحياناً أكثر مما له، وربما كان يقوم بدور أكبر بكثير مما يدعي أو ينسب إليه ، وهو طبعا ليس مرآة للواقع ؛ لأن " الواقعية تريد من الأدب والفن والعلم أن يكون كل منها في خدمة الإنسان ، وأن يكون كل منها حافزًا حركيًا وحيويًا، يحفز الطاقات المادية والروحية معا في الإنسان لإبداع أقصى

---

(٣) أدونيس : زمن الشعر ، دار العودة ، بيروت ١٩٩٦م ، ص ٩١ - ٩٩.

(١) محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، ص ٤٨١ .

(٢) إحسان عباس : فن الشعر ، دار صادر ، بيروت ، دار الشروق ، عمان د- ت ، ص١٥٩ .

ما يمكنها إبداعه من جمال وخيرات ، ولرؤية أعمق ما يمكن رؤيته من كنوز الخير والجمال في الحياة والكون (١) ، إذ لا يمكن تصور عالم خالٍ من الأدب وفنونه ، إن عالماً بدون أدب، هو عالم يعوزه مقوم أساسي من مقومات الحياة الإنسانية ، حياة الإنسان الذي يقوم بالإبداع سواء كان كاتباً أو متلقياً . فالأدب يتوارى كنظم راق ؛ ليصبح مرشداً فاعلاً، يوقظ القارئ ويأخذه إلى طريق نهايته هدف عظيم ، حين يتضمن من الأفكار والعواطف والصور ما يوجه القارئ إلى طريق معلوم سياسياً ،أو اجتماعياً ، أو أخلاقياً ، يقول الدكتور على جعفر العلاق في هذا المقام : " إن ما نرفضه هو أن يصبح الموضوع السياسي عبئاً على القصيدة حجراً مشروخاً يعكر سماءها الصافية العميقة فيدفعها إلى الصراخ والاندفاع إلى الخارج والاحتكام إلى مرجعياته " (٢) . لا يعني الالتزام والدعوة إليه عدم إنتاج نصوص أدبية كبيرة أو نقداً أدبياً موضوعياً ، أوعدم الالتفات إلى أدبية النص وتركيز جل الجهد على رسالته، وإن التوهم بقطيعة الفعل الأدبي مع جوهر المفهوم الإنساني للالتزام سيقذف بنا إلى عبثية علاقتنا باللحظة الإنسانية التي نعيشها ، فكل أدب وكل فن يتضمن رأيا وحكماً وموقفاً ، سواء كان رمزياً أم وجدانياً أو انطباعياً أم سيريالياً أم واقعياً ، أم غير ذلك من مذاهب الأدب والفن ومدارسه ، هو أدب ملتزم سواء أراد الفنان أو الأديب ذلك أو لم يرد ، سواء كان واعياً أم غير واع .

يقوم الاختلاف بين هذه المدارس والمذاهب على الاختلاف في النظرة إلى الواقع والحكم عليه والموقف منه، وليس معنى هذا بالطبع أن يكون الأدب والفن واقعيًا لمجرد أن يجهر بالشقاء والحزن، وإنما المهم أولا أن يكون فناناً أو أديبًا مبدعاً ، وأن تتبع أفكاره وأحكامه ومواقفه من صميم بنائه الفني والأدبي .

إن التجربة الشعرية عامة يتعاورها تياران يتداخلان تداخلاً حميماً في عملية الخلق الفنّي، دون انفصال: الأول تيّار وجدانيّ نفسيّ، والآخر تيار ذهنيّ فكريّ ، أما الانفعاليّ فهو المتكوّن من تفاعل نزعاتنا ومشاعرنا تجاه الأشياء بوصف الشاعر فناناً ، فالشاعر يرى الأشياء بدهشة طفوليّة ، كأنه ينظر إليها لأول مرة، معتمداً على إحساسه المباشر في الربط بين التجارب والصور ماضيها وراهنها ، وأما الفكري الذي يصحب التجربة الشعرية فيتمثل دوره في تنظيم التجربة ، ومهمته ضرورية في الخلق الشعري للسيطرة على القصيدة ، وعدم الاستسلام التام للانفعالات الوجدانية ، وقبول كل ما يتبادر إلى الذهن في ضوء الأفكار التي

---

(٣) ينظر : حسين مروة : دراسات نقدية ، دار الفارابي ١٩٧٦م ، ص ٦.

(١) على جعفر العلاق : الشعر والتلقي ، دراسات نقدية ، دار الشروق ، عمان ، رام الله ١٩٩٧م ، ص١٥١ .

ينتمي إليها، ولا مبالغة في أهمية العنصر الفكري دون الإساءة إلى فهم ماهية الشعر أو التقليل من شأنه ، ولا نكران هنا لوجود محتوى فكري للغة الشعرية، ولا معنى للفصل بين الشعر والفكر، لكن لابد لكي يكون النص شعراً عدم تسليم ذلك المحتوى وحده القيمة الشعرية في القصيدة .

ليست هناك قيمة حقيقية لعمل فني لا تتمثل فيه علاقة التأثير بين شكله ومضمونه ، فالموقف الإيديولوجي وحده لا يصنع العمل الفني ، وكذلك يفقد العمل الفني وزنه حينما يخلو من موقف ، ثم ما هي طبيعة هذا الموقف ، أهو موقف ذات متفردة تعيش في جماعة ؟ أم ذات تلتحم مع الجماعة وتتجاذب معها ؟ فالجدلية ين الشكل والمضمون في العمل الفني هي صورة أو انعكاس لهذه الجدلية بين الذات المتفردة والجماعة (١) .

حرص الشاعر الملتزم على الاهتمام بالبنية الفنية واختيار الألفاظ التي تحمل المعني الدال، فاللفظ من حيث كونه لفظاً متفرداً لاشيء ولا معنى له في ذاته ؛ لأن المعاني ترتب في النفس وبالتالي تكون الفصاحة والبلاغة والتأثير في الألفاظ الفصيحة التي تحمل المعاني ، فالكلام لا قيمة له من أجل حروفه ، وكما قال عبد القاهر في دلائل الإعجاز: " إن المزية التي من أجلها استحق اللفظ الوصف بأنه فصيح عائدة في الحقيقة إلى معناه ، ولو قيل إنها تكون فيه دون معناه لكان ينبغي إذا قلنا في اللفظة إنها فصيحة أن تكون تلك الفصاحة واجبة لها بكل حال " (٢) .

إن التركيز على المضمون لا يعني إلغاء أو تجاهل البنية الفنية ، فالعلاقة بين الشكل الفني والمضمون لا يمكن لنا التجاور أو التوازي ولا يمكن الفصل بينهما ، وأي محاولة لتغليب أحدهما تكون بمثابة تجن على الشعر، وبالتالي لا بد من العودة إلى أجواء الالتزام، حيث الشعر والأدب وما يترتب عليهما من دور وطني وقومي وإنساني في إطار خصوصيته والشاعر ملتزم عالمه ، ولكنه لا يطرق الدرب الاعتيادي وإلا لما كان شاعراً ، والالتزام لا يكون إلا من خلال المعاني ، وحيث تفتقد المعاني لا يتوفر أي التزام (٣) ، وكما يقول الدكتور رجاء عيد: " إن الفنان حين يلتزم بموقف معين تجاه الأشياء ويعبر عنه لا يفقد ذلك

---

(١) ينظر :عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر ، ص٣٨١ .

(٢) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ط١، تحقيق محمد التنجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١ / ٢٩٨ .

(٣) ينظر : عزيز السيد جاسم : دراسات في الأدب الحديث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٥ م ، ص ٩٥.

شيئاً من نضارة الفن أو أهميته أو يقلل من تأثيره ، فنحن نقوم بعملية تحليل لهذا العمل في لحظات تلقيه ونضعه داخل إطاره الثقافي أو الحضاري أو الاجتماعي " (١) .

إن عنصر الالتزام يتدخل في تكوين هوية الشاعر، إذ ليس لنا أن نطلق وصف الشاعر على أولئك الذين لا يمثلون موقفاً ملتزماً حيال شهداء الأمة أو الوطن أو القيم النبيلة، ولا يتخذ موقفاً مناهضاً للطغاة والمتغطرسين ، يجيب الشاعر نزار قباني على سؤال لمن الكتابة ؟ " لا مجال للتردد في أنها للأسرة البشرية كلها لخيرها ، لسعادتها ، لتقدمها ، وبغير هذه الرؤية تصبح الكتابة لعبة مهارات وتجريدات ذهنية ويدوية " (٢) .

يجد الشاعر الملتزم نفسه ملزماً تجاه قضايا مختلفة ، وهذا الالتزام الذاتي يترك عدة بصمات مؤشرة على الموضوع الذي يطرح في الشعر ، وهنا لا يجد الشاعر نفسه بمنأى عن تراكمات الأحداث، ومفارقات كثيرة ، وأحداث مأساوية وأخرى نضالية مشرفة ، ويعني ذلك كله الخضوع لمنهج فني يستوعب القضية بكامل أبعادها ، ويعني ذلك أيضا إيجاد المعادل الموضوعي المستوجب والفاعل. وفي هذه الحالات جميعها لا يعبر الشاعر عن آرائه مباشرة بل يخلق عملا شعرياً فيه مقوماته الداخلية التي تكفل وجود الموضوع المبني على الأفكار والمشاعر والأحداث ، وإذا كان للأدب أن يكون في جانب النبل والفضيلة ، فإنه لا يجوز بأي حال أن يتخلى عن رسالته في عالم الذوق الفني والمهارة في البناء حتى لا يهبط إلى التبشير بفضيلة من الفضائل أو إعطاء العظات (٣) .

إن الشاعر ملزم بعدم شرح الفكرة التي يطلبها ، ذلك أن الشعر رمز وإيماء وتوصيل عن طريق الإحساس والاستشراف ، والذي يجعل ذلك بمثابة ركن أساس في بناء النص الشعري المعاصر ما وقع فيه الشعراء من ضغط خارجي لتوضيح أفكارهم في النص ، وقد يفهم البعض من ذلك أن المقصود هو الخروج من الواقعية إلى الفن من أجل الفن ، وحقيقة الأمر

---

(٤) رجاء عيد : فلسفة الالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ١٩٨٦م ، ص ٨.

(١) نزار قباني : ما هو الشعر ، ط١ ،منشورات نزار قباني ، لبنان ، بيروت ١٩٨١م ، ص٨٩.

(٢) ينظر : محمد زكي العشماوي : الأدب وقيم الحياة المعاصرة ، ط ٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ١٧٦ .

أن الشعر ذو لغة مختلفة تماما عن لغة النثر من قصة ومقالة ورواية، والخصوبة الإيمائية هي التي تميز القصيدة عن غيرها من الفنون ، وفي هذا السياق يرى محمد مندور أن الشعر لا بد أن يثير فنيًا إحساسات جمالية وانفعالات وجدانية، وإلا فقد صفته ، ولتحقيق هذه الأهداف هناك عدة وسائل أو خصائص لا بد من توافرها فيه: كالوجدان في مضمونه، والصور البيانية في تعبيره، وموسيقى اللغة في وزنه (١) .

إن الشعر ليس مضموناً فحسب ، ويقاس بمدى ما يثيره من قضايا أو معان أو أفكار أو مجرد مغامرات شكلية زخرفية جوفاء ، فالشكل والمضمون وحدة لا سبيل إلى تجزئتها ، فليس هناك مقياس محدد ومعيار ثابت نحكم به على هذه القصيدة أو تلك بأنها فن أو غير فن ، وكل قصيدة لها معيارها ، ولها قانونها (٢) ، و يكفل المعادل الموضوعي عدم التورط في الانزلاق الفني الخاطئ فهو يضمن نقل الحدث بعد حالة من الكمون والتخمر ، ويحول دون النقل الانفعالي المباشر الذي يتم بمجرد وقوع الحدث أو السماع به ولا يكون انفعالياً ينقل الحدث بمجرد رؤيته أو السماع به (٣) .

إن دعوة الأدباء إلى الالتزام بقضايا عصرهم ومشكلات مجتمعهم ليست دعوى قسرية أو حجراً على حريتهم في التعبير ، وكذلك لا تهدف إلى جعل الأدب والفن شعارات ثورية أو حلولاً اجتماعية أو تقارير سياسية ، إن الالتزام في الأدب والفن ليس نقيضاً لحرية الأديب عامة والشاعر خاصة ، ولا يمكن أن يتم على حساب الأدب والفن ، فالشعر لا يتنافى وحقيقة الالتزام ، حيث يتحقق الالتزام فيه عندما يختار الشاعر أن يقدم للناس أعمالاً إيجابية في تأثيرها ، تمس حياتهم ومشكلاتهم ،وليس في ذلك ما يلغي ذات الشاعر الفردية وطبيعتها الوجدانية ؛ لأن الشاعر مع ذلك قادراً على التعبير بأصالة وإبداع عن صدى الحياة ، وتجارب الناس في وجدانه وتفكيره ، وليس في الالتزام ما يناقض فكرة الإبداع والتفرد ، أو يناقض قيم الجمال والعناصر الشعرية الخالصة ، وإنما هو وعي واقتناع وإيمان برسالة الشاعر ومسئوليته ودوره في تطوير الحياة وتغييرها (٤) ، فوظيفة الأدب كمؤسسة اجتماعية لا تقل تشابكاً وتعقيداً عن طبيعة هذه المؤسسة والعلاقات الصانعة لديناميتها ، والأدب لا يلبي حاجة

---

(٣) ينظر : محمد مندور : فن الشعر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٤ م ، ص ٣-٤ .

(١) ينظر :عبد العزيز النعماني : فن الشعر بين التراث والحداثة ، ط ١ ، الدار المصرية اللبنانية ١٩٩١ م ، ص ٢٦٠ .

(٢) ينظر : شوقي ضيف : البحث الأدبي ، ط٢ ، دار المعارف بمصر ١٩٧٦ م ، ص١٠١ - ١٠٢ .

(٣) ينظر :أحمد أبو حاقة : الالتزام في الشعر العربي ، ص ٦١ .

اجتماعية حياتية مباشرة ، بل يشبع الحاجة الاجتماعية للاستطلاع والتساؤل والاكتشاف ، ويشبع حاجة أعلى إلى المتعة الجمالية (١) .

**الالتزام عند الغرب :**

دار الجدل حول ماهية الأدب ووظائفه ومكوناته الجمالية الفنية والمضمونية ، خاصة عندما اتجهت مجموعة من الشعراء والروائيين إلى التساؤل عن غائية الأدب والكتابة ، حيث فتحوا الباب أمام نظرية الأدب التي امتدت فروعها وأسئلتها في القرن العشرين لتلامس هوية الأدب وعلائقه باللغة والعلوم الإنسانية ، وفي هذا السياق يقول الدكتور نبيل راغب: " إن الأدب في أشكاله وقوالبه الحية يشمل الأهداف الضمنية للقيمة الفعلية التي تتضمنها أي نظرية اجتماعية تدعو إلى تصحيح وضع الإنسان في المجتمع ،ويندر أن نجد خيراً قد تشير به أية نظرية اجتماعية أو مضمون أخلاقي لا يتبلور بطريقة أكثر تحديداً وتجسيداً في الأدب " (٢) ، وهذا ما جعل سؤال: ما الأدب؟ يطرح ثانية في العصر الحديث، هادفاً تحديد طبيعة الأدب ومكانته بين النشاطات البشرية وتعيين بعض خصائصه ، وذلك عندما نشر جان بول سارتر كتاباً يحمل عنوان "ما الأدب ؟ سنة ١٩٤٧ م ، وليس معنى هذا أن مثل هذه القضايا لم تطرح من قبل، فلقد كانت متداولة بصيغ مختلفة في نهاية القرن التاسع عشر ، إن علامات كثيرة متوهجة على طريق الأدب العالمي الحديث جعلت أسئلة الالتزام والمسؤولية ، ودور الكاتب في التغيير تحظى بالاهتمام عندما تحقق نوعاً من الاستقلال الذاتي للحقل الأدبي ، وتبلور اتجاهان متصارعان هما : الأدب البورجوازي ، والأدب الشعبي، ثم ظهر اتجاه حداثي يدعو لتخليص الأدب من المشاركة في الصراع الاجتماعي والسياسي ، وجعله مهتماً بالشكل واللغة وجمالية الكتابة، بعيداً عن التسخير والتوظيف، لكن أهمية كتاب سارتر تأتي أساساً من كونه لخص تلك اللحظات والاتجاهات المتعارضة وربطها بسياق جديد محمَّل بالأسئلة والتحولات .

وقد وظف سارتر فلسفته الوجودية في تحليل ماهية الكتابة وعلائقها بالقراءة والجمهور وحركة المجتمع وأسئلته المستقبلية، من منظور لا يقتصر على نقد السلبيات، بل يتعداه إلى أفق البناء والبحث عن دور للأدب وللكاتب في مسيرة المجتمع والإنسان ، وكثيراً ما ألح سارتر على أن الالتزام إنما هو وسيلة لحماية قيمة الحرية بوصفها فاعلة في مجال تغيير كل

---

(٤) صبري حافظ : الأدب والمجتمع ، مدخل إلى علم الاجتماع الأدبي ، فصول، المجلد الأول-العدد الثاني ، يناير ١٩٨١م ، ص ٧٤ .

(١) نبيل راغب: التفسير العلمي للأدب نحو نظرية عربية جديدة ، الشركة المصرية العالمية للنشر ١٩٩٧م ، ص ٢٢٤.

ما يشوه حياة الإنسان . لا يمكن أن ندرك أبعاد كتاب " ما الأدب ؟ " إذا لم نستحضر كتابات سارتر السابقة عنه، وخاصة "الوجود والعدم"، ورواية "الغثيان" ، ذلك أن هذا الكتاب هو حلقة ضمن مشروع طموح يتوخى التأثير في ثقافة المجتمع الفرنسي بل وفي الثقافة العالمية، من خلال صوغ أسئلة جديدة ومحاولة تقديم أجوبة عبر أشكال مختلفة من التعبير :الأدب، الفلسفة، الصحافة، الإذاعة، السينما، التلفزة، المحاضرات... ، وهذه خاصة نجدها عند الفلاسفة الذين اهتموا بالأدب وجعلوه موضوعاً لتحليلهم وتنظيرهم .

آمن الماركسيون بنظرية فكرية مؤداها أن الفن يعبر عن مجموعة المبادئ أو المعتقدات الخاصة لطبقة من الطبقات ، الفن الوحيد المعترف به في نظرهم هو ذلك الخادم المخلص للثورة ومتطلباتها، الفن ليس أمراً خاصاً بالإنسان ، بل له دوره وتأثيره في المجتمع وصراعاته ، يتدخل في المجتمع كقوة ثورية فاعلة تعتمد الفكر الماركسي المرتبط بالأساس الاقتصادي وتؤمن بالواقعية الاشتراكية (١). فقد وضع المفكرون الماركسيون محكاً رئيسياً على أي عمل أدبي هو مدى إخلاصه في رسم الواقع ووضعه في الاعتبار وهو مرادف للواقع الاجتماعي ، ومن هنا نشأت نظرية الواقعية الاشتراكية بمضمونها المعروف (٢) ، وقد حاولوا التوفيق بين الاهتمام بالقضايا الاجتماعية والسياسية والالتزام بها ، وبين الاهتمام بمقتضيات العمل الفني (٣) . " فالواقعية النقدية التي برزت عند الأدباء الفرنسيين في القرن التاسع عشر وعلى رأسهم بلزاك ، ترى أن مهمة الفن هي استكشاف واقع الإنسان الذي كان في نظرهم واقعاً أليماً مشوهاً ويائساً " (٤) .

إن انشغال المبدع بقضايا القبيلة أو المجتمع أو العشيرة، واتخاذ مواقف تجاه قضايا سياسية أو اجتماعية أو دينية دلالة قد وجدت منذ وجد الأدب، ولا نكاد نعثر على مبدع لم يتفاعل مع هموم وصراعات مجتمعه، أما مفهوم الالتزام فقد تبلورت ملامحه من خلال الجهد الذي بذله سارتر، ومن خلال ردود الفعل والخصومات الجدلية التي أثارها ، فأصبح من الممكن قياساً إلى ما اقترحه سارتر اختبار إجرائية المفهوم في ضوء مفاهيم وممارسات أدبية أخرى ما انفك حقل الأدب العالمي يفرزها ، فتكون العودة إلى الالتزام بمفهوم سارتر نقطة انطلاق لإعادة إبراز التغيرات التي طرأت على مفهوم الأدب والكتابة والقراءة ، لكن عندما ندقق النظر نجد أن بصمات مفهوم الالتزام ما تزال سارية المفعول عند كثير من الكتاب ولكن

---

(١) ينظر : رجاء عيد : فلسفة الالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق ، ص١٢٦- ١٣٢ .

(٢) ينظر: السيد ياسين : التحليل الاجتماعي للأدب ، ص ٨٦.

(٣) ينظر : نجوى صابر : النقد الأخلاقي ، ط ١ ، دار العلوم العربية ، بيروت ١٩٩٠ م ، ص ٢٠٤ .

(٤) رجاء عيد : فلسفة الالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق ، ص١٣٣ .

بفهم مغاير يتفق مع المبدع ليسلك طريقة نوعية خاصة في تحقيق تلك المسؤولية ، إذن ليس صحيحاً أن المرء يكتب لنفسه ، وإلا كان ذلك أروع فشل ، وإذا شرع المرء في تسجيل عواطف على الورق ، فمبلغ جهده أن تستديم هذه العواطف في نفسه واهية ضعيفة ، فليس النشاط الفني الخالق إلا لحظة تجريدية مبتورة بالنسبة للأثر الأدبي ، ولو كان المرء يعيش وحده لاستطاع أن يكتب ما شاء ، فلن يخرج كتابه إلى الوجود عملاً موضوعياً ، وعليه في هذه الحالة أن يضع القلم أو ييأس ، ولكن عملية الكتابة تتضمن عملية القراءة لازماً منطقياً لها ، وهاتان العمليتان تستلزمان عاملين متميزين : الكاتب والقارئ ، فتعاون المؤلف والقارئ في مجهودهما هو الذي يخرج إلى الوجود هذا الأثر الفكري ، وهو النتاج الأدبي المحسوس الخيالي في وقت معاً ، فلا وجود لفن إلا بوساطة الآخرين ومن أجلهم (١) .

تحتل الحرية فكرة ومفهوماً وشعاراً، مكانة واسعة في تحليلات " ما الأدب ؟ "، وهي حجر أساس في فلسفة سارتر الوجودية، وبالنسبة للأدب تغدو الحرية شرطاً جوهرياً عند المنتج وعند المتلقي تتحكم في التعاقد بينهما وتصير أفقًا لهما، بل وغاية في حد ذاتها لا يكون الكتاب مثل الأداة وسيلة لغاية ما ،بل إنه يطرح نفسه بوصفه غاية لحرية القارئ ،وحرية القارئ توازيها حرية الكاتب ، وقد يبدو غريباً لأول وهلة أن يرفع سارتر شعاري الحرية والالتزام جنباً إلى جنب ، فالالتزام كما يفهمه المتعجل شيء يخالف الحرية ، ولا يتفق معها ، إلا أن سارتر يعني بالالتزام شيئاً آخر ، فالكتابة طريق من طرق إرادة الحرية ، فمتى شرعت فيها – إن طوعاً وإن كرهاً – فأنت ملتزم (٢) .

ليست ثمة حرية تجيز لفنان أن يبعث بمادته الفنية كما يشاء ، وكما تشاء له نزواته ، لا بد من الالتزام ، وأشد التزام هو التزام الحق الذي يجده الفنان داخل نفسه ، وليس هناك فن يبيح لصاحبه أن ينطلق بلا حدود ولا قيود ، وإن كان الفنان إنساناً حالماً ، فهو يحلم أحلاماً منضبطة ومقيدة بحدود الحق ، ذلك الحق الذي ينشده الفنان في فنه ، ويبلغه راقياً وصافياً لجميع البشر ،غير مقيد بجنس أو بقبضة دولة أو بجماعة دون أخرى (٣) ، فالإبداع تحركه الحرية ، والقارئ هو الذي يعطي وجوداً للنص إذا مارس حريته ، وإن المجهود الموحد للكاتب والقارئ هو ما يتيح انبثاق ذلك الشيء الملموس والمتخيل الذي هو عمل الفكر، وليس

---

(١) بنظر : جان بول سارتر : ما الأدب ؟، ترجمة محمد غنيمي هلال ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧١م ، ص ٥٠ .

(٢) ينظر :السابق ، ص٦٨ .

(٣) ينظر : زكي نجيب محمود : في فلسفة النقد ، ص ٤٦ – ٤٧ .

هناك فن إلا من أجل الآخر وبواسطته وتكمن أهمية هذه الفكرة ؛ لأنها ذات أهمية بالغة في أطروحة سارتر عن الالتزام وفي تحديد الجهة التي كان يخاطبها ويخاصمها .

ظل سارتر يردد أن تدخله النظري هذا إنما أنجزه لينقذ الأدب الفرنسي ، الذي أصبح منغلقاً على دائرة ضيقة ، تجتر بأن الأدب لا علاقة له بما سواه، وأنه إبداع في المطلق واحتفاء باللغة والصيغ البلاغية ... ويبين سارتر أن إنقاذ الأدب يتحتم اتخاذ موقف ، وانطلاقاً من فكرة الحرية يبرز شراكة الكاتب والقارئ وامتداد ذلك على المجتمع ومشكلاته العديدة الموروثة ، وبربط الأدب بتحقيق هذه الحرية للمجتمع بكامله، استجابة لجدلية فاعلة دلل عليها من التاريخ في شقيها السالب والموجب، واقترح مفهوم الأدب الملموس ، ليكون أفقاً مجسداً لتحرير المجتمع وجعل ثورته دائمة ، ولكن إذا كان على هذا الأدب الملموس أن يجمع بين هذين المظهرين المتكاملين للحرية ، فيجب أن يكتب من أجل جمهور يعمل بحرية على التغيير ، ومحو الطبقات، وإزالة كل دكتاتورية، والتجديد المستمر للإطارات الفكرية والقلب الدائم للنظام ،فالأدب هو في جوهره ذاتية مجتمع يعيش ثورة دائمة ، فكرية واجتماعية واقتصادية، وبذلك أولى الظروف الاقتصادية في علاقتها بالأدب أهمية كبرى ، وذلك في ثنايا اهتمامه بتعريف الأدب (١).

إن خطاب سارتر عن الأدب لم يكن مقصوراً على الكتابة وأسئلتها المتفرعة، إنما كان جزءاً من تصور عام لتغيير المجتمع وتثويره، ولبسط مجموعة أفكار تشكل منظومته الفلسفية الوجودية ، وهو لم يجعل من الالتزام شعاراً سياسياً ، بل حرص على تقديمه بوصفه مفهوماً فلسفياً من حوله رؤية للعالم قوامها الحرية المسؤولة عن تغيير المجتمع نحو الأفضل .

لقد توقف سارتر في تحليله لمعنى الكتابة وغائيتها وجمهورها طويلاً عند اللغة وما تشتمل عليه من سلطة مادية ورمزية، إذ ذهب إلى أن كل كلمة تسهم في كشف العالم وبلورة وعي بضرورة تغييره، وهذه السلطة تكتسبها من سياق الاستعمال ومن شكل الكتابة النثرية تحديداً ؛ لأن وظيفة اللغة حينئذ تتمثل أساساً ، في التواصل والحوار ومواجهة الواقع القائم بوعي حر، ومن خلال الأعمال الأدبية الكثيرة التي يستشهد بها ، والوقائع المختلفة التي ارتبطت بعصره أو بعصور سابقة من تاريخ الأدب. ومن هنا ندرك أن الالتزام عند سارتر ليس اختزالاً لفن الأدب في وصفة شعارية ، ففي فصل ما الكتابة ؟ يقول : " نرى في الإنتاج الأدبي مشروعاً من مشروعات الخلق وبما أن الكتاب يحيون قبل أن يموتوا، وحيث إنا نعتقد أن علينا أن نكون على صواب ما استطعنا في كتبنا ، وأنه حتى لو خطأتنا الأجيال المقبلة ،

---

(١) ينظر : السيد ياسين : التحليل الاجتماعي للأدب ، ص٨٣.

فليس ذلك سبباً لكي نضلل نحن منذ الآن أنفسنا ، وأعتقد أن على الكاتب أن يكون التزامياً في كل ما يكتب ، وأن يربأ بنفسه عن أن يلعب دوراً سلبياً مسفاً بعرضه مساوئه ، ووجوه شقائه ومظاهر ضعفه ، بل عليه أن يتمثل إرادة حازمة تشق طريقها إلى النجاح عن قصد " (١) ، وعن سؤال لماذا نكتب ؟ يعطي الأسبقية للذات ؛ نحن نكتب لنعبر عن ذاتنا، عن فهمها للحرية وللعصر الذي تعانقه ، وكل كتابة هي بمثابة نداء نوجهه للقارئ الذي يشارك فعلياً في إعطاء وجود للنص من خلال حريته ووعيه المعبر عنهما في عملية القراءة... أما لمن نكتب؟ فلقارئ ملموس، مادام الأدب لا يوجد إلا من خلال التعاقد بين حريتين مسؤولتين.

الشعر شكل من أشكال التعبير الفني ، وما ينطبق علي الفن بعامة من أحكام ينطبق كذلك علي أشكاله التعبيرية المختلفة ، وكل ما يقال عن العلاقة بين الفنان والإطار الحضاري والتاريخي الذي يعيش فيه ، وعن التزام الفنان بموقف أو فكرة أو عقيدة يمكن إذن أن يقال عن الشاعر (٢) . لكن السؤال الذي يطرح نفسه، هو أنه إذا كان " ما الأدب ؟ " ينظر للالتزام ولا يقدم نموذجاً إبداعياً له، فإن من حق القارئ والناقد أن يبحثا عن ذلك في كتابات سارتر نفسه ؛ لأن سارتر جرب أكثر من شكل أدبي : الرواية، القصة، المسرحية، الفيلم... ولم ينتج رائعة تستحق أن يقال عنها إنها أنموذج جيد لأدب الالتزام الذي نظر له سارتر واستمات في الدفاع عنه.

كل أدب وكل فن حتى الموسيقى والرسم والنحت، يحتوي على مضمون محدد له دلالة اجتماعية ، و فيلسوف الالتزام الأول جان بول سارتر أخرج الشعر من دائرة الالتزام حين عدَّه في دائرة فنون الرسم والنحت والموسيقى ، معتبراً أن الالتزام مرتبط بالبحث عن الحقيقة، وليست غاية الشعراء استطلاع الحقائق أو عرضها ، ولا تسمية المعاني بالألفاظ ، فالكلمات عندهم أشياء بذاتها ، بل هي غاية مقصودة ، وهي تمثل المعنى أو تصوره أكثر مما تعبر عنه تماماً كما تفعل الألوان في اللوحة المرسومة ،أو الأصوات في المقطوعة الموسيقية، وقد تبتعد اللفظة في الشعر عن مدلولها ،وتصبح شيئاً آخر مستقلاً عن معناه ، فالناثر يجلو عواطفه وأفكاره حين يعرضها ، أما الشاعر فينقطع عهده بمعرفتها بعد أن تصبح شعراً (٣) .

ربط جان بول سارتر قضية الالتزام بالنثر لا بالفنون الرفيعة الأخرى كالشعر والموسيقى والنحت، انطلاقاً من إيمانه بأن النثر هو مجال الفكر والواقع ، وأن الناثر يعطي لكلماته نسمات تشير إلى ما هو حقيقي، بينما الشاعر يجعل من كلماته مجرد أشياء تتصل

---

(٢) جان بول سارتر : ما الأدب ، ص ٣٦.

(١) ينظر : عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر ، ص ٣٨٦ .

(٢) ينظر : أحمد أبو حاقة : الالتزام في الشعر العربي ، ص ٥٠ .

بالعواطف ، أي مجرد مشاعر ووجدان ، الأمر الذي جعله يخرج الشعر من هذه الدائرة، ومن أجل الموقف الشعري لا من أجل الكشف عن العالم .

إن الذي يعارض الالتزام في الشعر هو نظرية الشعر للشعر المنبثقة عن نظرية الفن للفن وهي نظرية تعتبر أن الشعر غاية في ذاته ، وليس له هدف اجتماعي أو سياسي أو حضاري أو إنساني ، وليست قيمته في هذه القضايا وما تقتضيه من مضمون فكري ، فهذه قيم لاحقة بالشعر ، وقد تحط من قيمته إذا تقيد الشعراء بها، لكن الشعر لا يستغني عن الفكر، وأن العناصر الشعرية الخالصة غير مستقلة عن العناصر غير الشعرية التي تنتظم فيما تنتظم المضمون الفكري ، وفي ذروة هذا المضمون تقع القضايا ،فيعالجها الشعر شرط أن يظل شعراً (١) ، وإذا كان الهدف البعيد للشاعر هو تحقيق الانسجام بينه وبين الحياة فإنه يعبر بذلك عن الهدف الذي تسعى الجماعة نفسها إليه ، ويتحقق بانسجام الموقف أو العقيدة المشتركة ، ولا يتحقق ذلك بين الشاعر والجماعة إلا من خلال استيعابه لهذه العقيدة ، إن التزام الشاعر بموقف فكري لا يضير الشعر ذاته في شيء أو يناقض طبيعته ، بل هو يضمن له الفعالية والأهمية ، ويحقق للشاعر الوصف القديم ، أنه نبي قومه ، وخادمهم في آن واحد (٢) .

إن منطلقات سارتر كانت أسئلة فلسفية متصلة بهموم وجودية تسعي إلى حلول شاملة، ليتمكن سارتر من خلالها أن يعي وضعيته ودوره وأهدافه في الحياة، إن فصل "ما الكتابة ؟" ينتهي إلى أنها تمنح المبدع الشعور بأنه أساسي غير زائد، وفصل لماذا الكتابة ؟ يؤكد بأنها تتيح تحقيق الحرية، بينما فصل " لمن نكتب ؟" ينتهي إلى أننا نكتب دفاعاً عن قيم نؤمن بها ، وإنما يسمى الكاتب ملتزماً حينما يجتهد في أن يتحقق لديه وعي أكثر ما يكون جلاء وأبلغ كمالاً بأنه مبحر ، أي عندما ينقل لنفسه ولغيره ذلك الالتزام من حيز الشعور الغريزي الفطري إلى حيز التفكير . والكاتب هو الوسيط الأعظم ، وإنما التزامه في وساطته ، غير أن من الحق أن نحاسبه في إنتاجه على أساس حالته في المجتمع (٣) .

يميز سارتر بين خصوصيات الأشكال التعبيرية الفنية المختلفة ، ويلتقط تلاوينها قبل أن ينتهي إلى إن الكتابة النثرية تتوخى الكشف عما تنطوي عليه الحياة من تعقيدات واشتباكات ، انطلاقاً من موقف الكاتب ومسؤوليته في ممارسة حرية التعبير، وهذا الكشف لا يكون قويًا

---

(١) ينظر :أحمد أبو حاقة : الالتزام في الشعر العربي ، ص ٥٩-٦٠ .

(٢) ينظر :عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر ، ص٣٩٤- ٣٩٥.

(٣) ينظر :جان بول سارتر : ما الأدب ، ص ٩٤.

ومقنعًا إلا من خلال فنية الأسلوب والشكل. إن الكتابة عنده كشف لما نعيشه في الحاضر ونتخذ منه موقفاً، وهو الأحق بأن نجعل منه مادة لإبداعنا الفني.

إن الشاعر المنتمي يكشف ويوضح ويطالب ، يختار ألفاظه الخاصة كأدوات من نوع جديد ، وهذه الألفاظ ليست مجردة عن الدلالات كما يرى سارتر ، بل إنها مشحونة بها ، والقصيدة ليست دلالة أو رمزاً أو إشارة تقود إلى عالم أو شيء تغيب وراءه الأشياء الحقيقية، بل هي الشيء والدلالة ، فالشاعر ساعة انبثاق القصيدة يكون أكثر التزاماً من الجميع أكثر ارتياداً للمجهول أكثر بحثاً عن مواطن العالم (١) .

## الشعر الملتزم بالإسلام :

عرف الشعر العربي عبر تاريخه الطويل ألواناً من القصائد ،منها القصيدة الدينية التي أسهمت في تشكيل الوجدان العربي والإسلامي علي مر العصور عبر أشعار رابعة العدوية والإمام البوصيري ومحمد إقبال وأحمد شوقي وسواهم من كبار الشعراء ، فالقصيدة الدينية جزء من الأدب الإسلامي ، وتتميز بكل مميزاته ، من احترام القيم الأخلاقية ، والبعد عن المجون أو الفحش في القول ، وهي تتسع اتساع هذا الأدب لتحتوي كافة الموضوعات الأدبية حتى الموضوعات الحسية. المهم أن تكون المعالجة فنية أخلاقية هادفة ، ولنا في سورة يوسف المثل الأعلى، إن الأديب والشاعر الإسلامي ملتزم التزاماً نابعاً من ذاته من دون أن يلفته إليه أحد فهو فطري وطبيعي بلا قهر ولا افتعال ، وهناك مئات النماذج التي تدل علي ذلك وهي معروفة لقارئ الشعر الحقيقي.

إن القصيدة الدينية تؤثر في الحياة العقدية ، وتزيد من النزعة الإيمانية حتى تصل بأدب الدين والشريعة إلي الناس في قالب فني محبب ، إنها تنهل من القرآن الكريم ، بفصاحته وإعجازه ، إنه المرجع لكل شاعر ملتزم موحد ، وهو دستور الأمة ومنهل فكرها وعقيدتها وحجتها " ذاك أنآ إذا كنا نعلم أن الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن وظهرت وبانت وبهرت، هي أن كان على حد من الفصاحة تقصر عنه قوى البشر ومنتهياً إلى غاية لا يطمح إليها بالفكر ، وكان محالاً أن يعرف كونه كذلك إلا من عرف الشعر الذي هو ديوان العرب وعنوان الأدب والذي لا يشك أنه كان ميدان القوم إذا تجاروا في الفصاحة والبيان " (٢) .

---

(٤) ينظر :عزيز السيد جاسم : دراسات في الأدب الحديث ، ص ٩٣-٩٤.

(١) عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ط١ ، تحقيق محمد التنجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٩٥م ، ج١/ص٢٨ .

وبذلك تضمنت القصائد والأشعار الإسلامية الأدب الوعظي وكل ما يتصل بالحياة والمجتمع والنفس البشرية بشكل لا يتصادم مع التعاليم الدينية، بل وصلت هذه القصيدة إلي التأثير في الحياة السياسية ومجريات الحياة اليومية قديماً.

تقاس حضارة الأمة بثقافة أدبائها وعلمائها وكتابها ، فالأمة المثقفة الواعية تنجب خيرة الأدباء والشعراء، والشعر بالنسبة للثقافة العربية هو ديوانها ورائدها الأول في منظومتها الأدبية، وقد دخلت في الآونة الأخيرة علينا مدارس أدبية مستوردة تحت غطاء الحداثة الشعرية، والتي تفتقر إلى الموسيقى الشعرية، وسعت هذه المدارس إلى إبراز قصيدة النثر والترويج لها في الصحف والمجلات الأدبية بشكل مفرط، وأغلب هذه الإصدارات الشعرية يشوبها الرمزية واللغة المبهمة التي قد لا يفهمها الجميع وغياب الوزن ، فالشعر تعبير عن تجربة إنسانية ، وإظهار موقف من الحياة والمجتمع بلغة لها خصوصيتها وإيقاعها المتعارف عليه – قديماً وحديثاً – وفيه يمتزج الواقع بالخيال أو المجاز وكي يتضح الفرق بين الشعر واللاشعر يجب التعرض للعناصر التي بني عليها تعريف الشعر ، وإظهار أوجه خصوصيتها، فالشعر تعبير عن تجربة إنسانية ، وهذا ينفي التعبير عن الأزمات النفسية والظروف الاجتماعية الشخصية ([1]) .

تعد العودة للتراث والإفادة منه أبرز سمة من سمات الأدب الملتزم ، ويختلف الأدب الملتزم عن الآداب الأخرى بأنه يتقيد بأطر عقدية ، بينما تخوض آداب الأمم الأخرى في الإباحية والجنس والتيه الفكري، فالنص الأدبي الملتزم يتسم بجمال معانيه وحسن معالجته لقضايا الأمة ، فهو يهدف إلى بناء الإنسان بصورة تثقيفية.

لقد أصبح الالتزام الأدبي الإسلامي تياراً ثقافياً وفكرياً يهدد الأيدلوجيات والأفكار المستوردة ، ويقف أمام الهجمة الثقافية الشرسة التي بدأت إفرازاتها تظهر في بلادنا الإسلامية ، وهناك ما يمكن أن نسميه الالتزام الداخلي أو الذاتي، وهو الوجه الآخر للصدق، فالتعبير عن النفس وما يعتمل فيها، والفكر وما يتفاعل فيه، وما ينبثق عنها، كلها أمور خاصة قد تميز أديباً عن آخر، وتجعل من الإبداعات - شكلاً ومضموناً - تجارب لها صفة الخصوصية، على الرغم من أنها تبدو في إطار النسق العام لهذا اللون الأدبي أو ذاك ، لكن يدور الجدل عادة حول ما يمكن تسميته "بالالتزام الخارجي" إن صح التعبير، ففي كل مجتمع قيود أو نظم تم وضعها لتستقيم الحياة، وتتسق العلاقات، وهي أمور قانونية أو اقتصادية أو أخلاقية، وكثيراً

---

(١) ينظر : نبيل خالد أبو علي : في نقد الأدب الفلسطيني ، ط١ ،منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، دار المقداد للطباعة ، غزة ٢٠٠١ ، ص ٥٦ - ٥٧ .

ما يثور حولها الجدل، فقد يرى بعضهم فيها غمطاً لحقوق الإنسان، أو كبتا للحريات، أو جموداً في مجال التطور، وهي على النقيض مما يتصوره واضعوها، والفنان يقف إزاء تلك النظم موقف التأييد، أو موقف الرفض، وقد نرى فريقاً ثالثاً يتملص من هذه النظم بأسلوب أو آخر، لكن يظل الالتزام بها هو الموقف السائد أو الغالب، ويكون ذلك الالتزام أشد كلما تصلبت مواقف المصادرة أو المحاكمة أو التنكيل، وهذا أوضح في النظم الدكتاتورية بالذات، حيث يتحول الأديب - برغم أنفه - إلى بوق للسلطة التنفيذية، وترجمان لفلسفتها وقناعتها، وهنا تتضاءل حرية الأديب، ويصبح الالتزام ضرباً من الإلزام ، ولعل هذا هو السبب الذي حدا ببعض النقاد إلى القول بأن الالتزام ينبع من الداخل، والإلزام يأتي من الخارج .

لكن ماذا يعني الالتزام في الأدب الإسلامي ؟ (١) ، إن الالتزام بمعناه الإسلامي الواسع هو "الطاعة" ، والطاعة الحقيقة قناعة إيمانية، وفرح في قلب المؤمن، وسلوك مطابق لحقيقة العقيدة وكل ما يتعلق بها، الالتزام إذن عمل، يبدأ بالنية الصادقة، والعزم الذي لا يتزعزع، وينطلق من ممارسات واقعية في مختلف جنبات الحياة، إنه وئام بين الإنسان ونفسه، وبينه وبين الآخرين، وهو يضم تحت جناحيه قيم الحياة الإسلامية وقوانينها أو أحكامها، وتصورات المؤمن لما يحيط الدنيا بالآخرة، ومرجع ذلك كله هو كتاب الله وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم - والنفس ليست قوة تائهة ضالة، وإن كانت مسرح جهاد دائم، وصراع مستمر، فالصعود دائماً ليس حركة سلبية، والتسامي لا يتحقق دون جهد ، إنه لا يمكن الفصل في الأدب الملتزم بالإسلام بين القول والفعل ؛ لأن الإسلام نفسه لا يفرق بينهما فالأدب الملتزم بالإسلام يلتزم بما يأمر به الإسلام (٢) .

إن التصور الإسلامي، يجعل من الالتزام الداخلي والخارجي شيئاً واحداً، إنه الكل في واحد، أو وحدة الصفاء والتآلف ، فما في نفس المؤمن أو قلبه، ينسكب حباً وعدلاً وهداية، ويضيء جنبات الحياة، وما في الوجود من صور وحياة وكائنات، يتحول عبر التأمل والنظر

---

(١) " الأدب الإسلامي مصطلح يطلق على الأعمال الأدبية التي تعالج قضية ما برؤية إسلامية صافية سواء أكانت مكتوبة باللغة العربية أو بغيرها من اللغات " .

- ينظر عبد الباسط بدر : مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي ، دار المنارة ، السعودية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، ص٨٣ .

إنه "التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان ، من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان " .

- ينظر : محمد قطب : منهج الفن الإسلامي ، ط ٦ ، دار الشروق ، مصر١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣ م ، ص ٦.

(٢) عدنان النحوي : الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام ، ط١ ، دار النحوي للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م ، ص ٣١٨ .

الفاحص ترجمة صادقة لنعم الله وإبداعه وحكمته، إن منافذ الحواس تتداخل مع بصيرة المؤمن، فتعطي للوجود كماله وروعته، وتؤكد معنى الإيمان بالله.

إن الالتزام الإسلامي ليس جموداً وتحجراً، ذلك لأنه التزام بالثوابت والأصول التي لا تتغير أبد الدهر، فالتوحيد عقيدة مستقرة لا تغيير فيها، والعبودية لله صدق وحق، وفروض العبادة لمن وهب الحياة، وأنعم بما لا يحصى من النعم ، وهكذا تبقى القيم الخالدة ما بقى الدهر، ويبقى الالتزام بها حفاظاً على الحياة، وحماية لها من الزيغ والفساد والظلم والفتن ، والالتزام - في نطاق الحرية الإسلامية - لا يعطل مسيرة أي جهد علمي، ولا يصادر إبداعاً فنياً ، إنه تحرير للطاقات الإنسانية كي تؤدي دورها، وتحقق ذاتها، ولا يحدّ من طبيعة التفاعل الإنساني الخلاق، وإذا كان التفاعل الكيميائي - بلغة العلم - له اشتراطاته وضوابطه ، حتى يتم وينجلي عن مركب جديد ، فإن الحرية تحوطها اشتراطات وضوابط تجعلها تفعل فعلها على النحو الأمثل، فيتشكل الإنسان على هيئة كيان معبر عن قيم الحضارة الإسلامية، وبذلك يؤدي دوره الأمثل في الحياة، ويوصل الرسالة الخالدة بالصورة الصحيحة، دون تحريف أو تبديل، ومن ثم يقوم مجتمع متآخ متناغم . والالتزام الأمثل انبثاق تلقائي من قلب المؤمن وفكره ونفسه، وهو ليس تصوراً هلامياً ، بل ينطبق عليه قول الرسول – صلى الله عليه وسلم - : "مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر" (١).

ينافح المسلمون الأوائل عن الدعوة، ويدفعون هجمات الشرك والوثنية عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم - ويسفهون أحلام الجاهلية والضلال، ويرسمون المنهج السليم لحركة الإنسان المؤمن في الحياة ، وهكذا عاش حكام المسلمين الأوائل أيضاً في إطار هذا النظام أو هذا الالتزام، كما عاش الجندي في معارك الجهاد، والقاضي على منصة القضاء ، وصاحب رأس المال وهو ينمي تجارته، أو يطور صناعته، كذلك عاشه الفقيه واللغوي والطبيب والمؤرخ والجغرافي والرياضي وغيرهم ، الالتزام فن وفكر وسلوك وعلم، ومن هذا المنطلق يصبح للأدب رسالة شامخة، وعطاء متجدد، يحقق المتعة والفائدة معاً.

إن الفن والأدب مسألة شعورية وجدانية تلتقي فيها أصالة المؤمن الأديب بالدين، كما يرتبط في كل جوانبه بغاية اجتماعية نابعة من تحديد مفهوم العقيدة والسلوك الإنساني،الذي يمثل أرقى ما وصلت إليه الأديان. فالأدب الإسلامي يحفظ الهوية الإسلامية والتراث الإسلامي

---

(١) مسلم الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري : صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت د – ت ، ج٤ / ص١٩٩٩.

من الانجراف أمام التيارات الوافدة ، أما غايته فهي تجديد فهم القيم الإنسانية العامة في الحق والخير والجمال حسب سلامة العقيدة وتوحيد غاياتها .

يقوم هذا الأدب على العاطفة السليمة والفطرة السوية ، كما يوجب على الأديب الإسلامي أن يكون ذا مقدرة ثقافية علمية بطبائع الإنسانية ونزعاتها، أما شكله فيقوم على مواصفات الصورة الفنية ، والأداء الجميل الذي يثير في النفس الانفعال ، أو يحرك فيها حاسة الجمال ، ويختلف الأدب الملتزم بالإسلام عن الآداب الأخرى بأنه يتقيد بدستور الأمة الإسلامية – القرآن الكريم – الذي أنزل من الله -عز وجل – فلم يجعل له عوجا ، بينما تتخبط الأمم الأخرى في فكر مادي لا يصلح للإنسان ، أما النص الإسلامي الملتزم فإنه يعالج قضايا الأمة ، ويستهدف بناء الإنسان الذي يقف أمام الهجمة الثقافية الشرسة التي بدأت إفرازاتها تظهر في بلادنا الإسلامية والعربية .

يتجسد الأدب الإسلامي أساساً في تصوير الحق والخير والجمال في الحياة، في إطار فهم الإنسان للقيم الإلهية، كما يقوم على الواقع، ويرفض التصوير المنحرف والخيال المجنح، ويتعرض لمفهوم الحق في القرآن الكريم بالنسبة لله والمخلوقين، و أن مرتكز الأديب الإسلامي هو العقيدة الصحيحة التي تحدث عنها الإسلام، فالخير غاية وهدف ينشده الأدب الإسلامي، والالتزام فيه مقيد بمدلول الخير الواسع.

إن الجمال في الفن الإسلامي ليس من الكماليات ، بل غايته الوصول إلى الخير في الدارين، ووسيلته تحقيق الجمال في كل شيء، والأدب يحقق الغايتين إذا صدر من نفس أمينة، فالجمال في المنظور الإسلامي فطرة إنسانية، وتأثيره في النفس دليل على سلامتها ونقائها، والجمال يبرز الفكرة ويصورها في أتم صورها، ، ويعبر عن طبيعة الإنسان في إدراكه للجمال ، ومرجعه في ذلك نفسه الذواقة للتناسق والتناسب أو في وحدة التجانس . ويقوم في الأدب الإسلامي على اللغة لما فيها من جماليات متعددة ، وعلى الكلمة قامت معجزة القرآن الكريم، ويذكر من القرآن الكريم ما يدعو إلى تربية المزاج الجمالي للإنسان استشعاراً لقدرة الله في إبداع كل شيء .

## الشعر العربي وعلاقته بالالتزام :

إنّ الالتزام ظاهرة إنسانية ، موجودة بقوّة وجود أناس تربطهم علاقة ما، ومحدّدين بزمان ومكان معينين، وبذلك لا يكون النظر في التزام الشاعر الجاهلي تمحُّلاً، ولا تنقيباً عشوائياً، ولا انطلاقاً لأوابد بما ليس فيها، فكان جدل الإنسان العربي آنذاك عنيفاً بالصراعات الحربية تارة، وهادئاً في ظل التقاليد والعهود المتعارف عليها تارة أخرى، ولكن الجدل في كلا الحالين كان إرهاصاً بتحوّلات كبرى، كتُطوّر الوجود الإنساني العربيّ، وتُحرّره من قيود التشرذم، والتناحر الداخلي، والعدوان الخارجي، مما يضعف قدرات الإنسان الجاهلي، بل يهدد وجوده أحياناً كثيرة ، فيتمحور التزام الشاعر بالإرادة الإنسانية الفاعلة، والباحثة عن الأفضل ضمن الظروف والقدرات المتاحة، والمشروطة بالفهم الجاهلي النسبي للأفضل، " فإذا نبغ في القبيلة شاعر ، أتت القبائل فهنأتها ، وصنعت الأطعمة ، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأعراس ، ويتباشر الرجال والولدان ؛ لأنه حماية لأعراضهم ، وذب عن أحسابهم ،

وتخليد لمآثرهم وإشادة بذكرهم " ([1]) . فالتزامه ينحصر في ولائه لقبيلته وفروسيته ومروءته ، فهو جزء من قبيلته يقف على مشكلاتها وقضاياها ، فيجعل من شعره وسيلة مؤثرة لخدمتها فيمدح فيرفع أقواماً ، ويهجو فيضع آخرين، وبالتالي قدَّرت القبيلة دوره ، وكان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم ، به يأخذون وإليه يصيرون ([2]) ، فلما راجعت العرب رواية الشعر ، وذكر أيامها ومآثرها ، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم ، وما ذهب من ذكر وقائعهم ، وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار، فقالوا على ألسنة شعرائهم ، ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار التي قيلت ([3]).

ومن شعراء الجاهلية ممن كانت لهم مواقف التزام قبلي عمرو بن كلثوم ، الذي أنذر الملك إذا تطاول على قبيلته بأن يجهل فوق جهل الجاهلين ، ويورد الرايات بيضًا ، ويصدرهن حمراً قد روينا ، يقول في معلقته :

**إذا ما الملك سام الناس خسفاً أبينا أن نقرَّ الذلَّ فينا**
**ملأنا البرَ حتى ضاق عنا وماء البحرِ نملؤه سفينا**
**إذا بلغَ الفطامُ لنا صبي تخرُّ له الجبابر ساجدينا ([4])**

و زهير بن أبي سلمى داعية السلام وهو أول من نعرف له شعراً هاماً يستنكر الحروب ، من موقف إنساني وعقلاني ، فهو يذكر القوم بما علموا من شرورها ، وبما ذاقوا من بلائها :

**وما الحربُ إلا ما علمتم وذقتمْ وما هو عنها بالحديثِ المرجَّم**
**متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتَضرَ إذا ضرَّيتموها فتضرم ([5])**

وزهير أول شاعر في ثقافتنا العربية يجسد دعوة الأمة إلى السلام ، وقد استنكر فتنة الأهل ونشر الحروب الداخلية ، ومجَّد العقلاء الحكماء الذين تداركوا عبساً وذبيان بعد ما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم ، وهذا عنترة الذي أظهر فروسيته في إطار التزامه بالذود عن قبيلته

---

(١) ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ط٤ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٤م ، ٣٢/١.

(١) محمد بن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، ط١ ، تحقيق محمود شاكر ، دار المدني ، جدة ١٩٨٧م ، ج/١ ص٢٤.

(٢) السابق ، ج/١ ص ٤٦.

(٣) أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني : شرح المعلقات السبع ، دار الكتاب العربي ، سوريا ،١٩٨٢م ، ص ١٩٠.

(٤) السابق ، ص ١١٢.

قولاً وفعلاً فكانت المروءة تتمثل في شجاعته، وكرمه، وحلمه، وذوده عن حياض القبيلة، يشاركه ذلك حاتم الطائي في إعلائه تلك القيم والأخلاق ، وقد تجلى التزام الشعراء في أسمى مواقفهم في حرب ذي قار حيث انخرط الشعر في الحرب ، وقاد الحملة الإعلامية لمقابلة الخطر الخارجي ولتعبئة الجماهير .

ولم يكن تعلق امرئ القيس بفكرة الانتصار تعبيراً عن عواطف ذاتية فحسب ، ولكنه كان كذلك تعبيراً عن عواطف جماعية ،عواطف قبيلته التي كانت في صراع مع القبائل الأخرى ، وانتماء الشاعر هذا يفرض عليه أن يعبر عن نفسه من خلال التعبير عن قضايا قبيلته (١)، وقد تقلد الشعر مهمته الرسمية في أنضج صورة مع ظهور الإسلام ، ولا سيما حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت قائلاً: " قل وروح القدس معك " فكان إذا أرسل لسانه لم يجدوا له دفعاً ، وإذا مسهم بالضر لم يجد شعراؤهم نفعاً ، وإذا وضع منهم لم يستطيعوا لما وضعه رفعاً :

**أكرم بقوم رسول الله شيعتهم إذا تفرقت الأهواء والشيع (٢)**

أما شبهة إصغار العرب للشعر وإعراضهم عنه، فربما جاءت من مهاجمة القرآن للشعراء في قوله تعالى : {والشعراءُ يتبعهُم الغاوون ألم ترَ أنّهم في كل وادٍ يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلونْ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا اللهَ كثيراً وانتصروا من بعدِ ما ظلموا }(٣)، "وواضح أن القرآن إنما يهاجم شعراء المشركين فلم يهاجم الشعر من حيث هو شعر ، وإنما هاجم شعراً بعينه ، فالرسول الكريم يعجب بالشعر ويقول حين يسمع بعض روائعه : إن من البيان لسحرًا وإن من الشعر لحكماً أو حكمة " (٤)، ولولا ما في الشعر من النفع والنصرة لما استثنى الله عز زجل المؤمنين من الشعراء ،ولا جعلهم ممن انتصروا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ممن ظلمه بشعره وآذاه بهجائه ، ولما سماهم منتصرين للشعر (٥) .

إن نضوج الموقف الشعري السياسي الرسمي وضَّح نظرية الالتزام في الشعر، وهي نظرية سياسية تقتحم الشعر ، بزخم الفكر ،حيث سُمِّي حسان بن ثابت شاعر الإسلام ورسوله

---

(١) ينظر :إبراهيم عبد الرحمن محمد : قضايا الشعر في النقد العربي ، ط ٢ ، دار العودة ، بيروت ١٩٨١م ص ١٢٢- ١٢٣ .

(٢) مصطفى صادق الرافعي : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، دار الكتاب العربي ، بيروت د- ت ، ص٣١٣-٣١٤ .

(٣) الشعراء : الآية ٢٢٤.

(٤) شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ، ط ٣ ، دار المعارف ، مصر ، ص ٤٤.

(٥) ينظر : إبراهيم عبد الرحمن محمد : قضايا الشعر في النقد العربي ، ص ١٨١ .

الكريم ، إذ عاش يناضل عنه أعداءه من قريش واليهود ومشركي العرب، رامياً إياهم بسهام مصمية ([1]) ،هذا إلى أن النبي يتذوق الكلام الجيد ويخوض في الشعر مع الوافدين إليه من الذين أسلموا ، ويُؤثر منه ما لاءم دعوته ، وأرضى مكارم الأخلاق ([2]) .

لقد سيطر الشعر على ساحة الحوار وعلى مضامير الصراع حين ظهر الإسلام، وكان بعض شعراء الخصم قد أغلظوا حتى غضب عليهم النبي صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً وعاقبهم عقاباً عسيرًا إلا الذين اهتدوا كما اهتدى كعب بن زهير وقد جاء مذعنا لنصح أخيه "بجير" وقد أنبأه بوعيد رسول الله " والعفو عند رسول الله مأمول " فأعلن التزامه ونال البردة التي رفعت شأن الشعر في الإسلام .

أما في العصر الأموي فقد راج الشعر وازدهر ، وبخاصة الشعر السياسي ، وأغدق الخلفاء الأمويون على الشعراء ، وقلدهم الحكام والأمراء الأموال والهبات ، وذلك لتأييد حقهم في الخلافة ([3]) ، ومع التطور السياسي والاجتماعي الذي شهده المجتمع الأموي كان لابد للشعر أن يتطور ويتجدد ، إلا أن هذا التطور قد وقع أساساً في المضمون دون الشكل ؛ إذ أنه يبدو أن الشعراء لم يستطيعوا الفكاك من إسار صورة القصيدة العربية التقليدية ، بل إن الفحول من شعراء المديح في العصر الأموي قد أسهموا في ترسيخها ، فظلت تشكيلاتهم الفنية تمضي وفقاً للنسق الموروث وتخضع لمعاييره ، ووقع العربي الأموي تحت مؤثرات دينية وحضارية لم يكن يعرفها في جاهليته فتبدلت نفسيته وعقليته ([4]) .

لقد بلغ الشعر العربي ذروة نضجه السياسي مع نضوج الثقافة العربية ، ومع استواء تفاعلها مع حضارات الفرس والهند واليونان والرومان ومصر ، حين امتزجت كل تلك الحضارات في جامعة ثقافية ضخمة صاغتها الحضارة العربية الإسلامية ،وكان بيت الحكمة في بغداد مرجعية العصر على صعيد عالمي أممي، أنجب هذا النضج الحضاري الضخم في البيئة العربية الإسلامية شعراء على مستواها من وزن المتنبي والمعري ،فالأول فيلسوف الشعراء والثاني شاعر الفلاسفة ، ولعل سرَّ خلودهما أنهما وازنا بعبقريتهما الشعرية والفكرية بين الاهتمام بالذات والاهتمام بالكون العام.

---

(١) ينظر :شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ٧٩ .

(٢) ينظر : طه أحمد إبراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ، دار الحكمة ، بيروت د- ت ، ص ٢٨ .

(٣) ينظر :خلقي خنفر : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ط١ ، الاعتصام للطباعة والنشر ، جامعة الخليل ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م ، ص ٤٠٠ .

(٤) ينظر :عبد العزيز النعماني : فن الشعر بين التراث والحداثة ، ص ٦٤- ٦٥ .

ثم بدأ التغيير الجذري في الحياة الأدبية مع خروج العرب من القرن التاسع عشر ، وتفتحت عيونهم على صورة الحضارة الأوربية، فأرادوا أن يتحقق لهم ما رأوه من رقي وتطور ، وبدأت بواكير التطور بطيئة في نهاية القرن التاسع عشر وتسارعت أوائل القرن المنصرم لتدك الحصول على شيء من الإصلاح والاستقلال، فكانت البعثات الثقافية وترجمات المؤلفات بداية نهضة واضحة، وأنشئت المدارس وانتشر التعليم في مصر وسوريا ولبنان ، وابتدأت النهضة الشاملة منذ عصر محمد علي ، وظلت النهضة سائرة في طريقها في عهد إسماعيل ، والمطابع تدفع بالكتب الأدبية القديمة ، والمدارس تبدد سدف الجهل والظلام ، والصحافة تكشف الطريق (١) .

ظهرت إرهاصات التجديد في قوالب القصيدة في الشعر العربي منذ العصر الأندلسي، وفي الشعر العربي الحديث حين ظهرت طلائع التجديد في القالب والمضمون في شعر أصحاب الديوان وشعراء مدرسة أبولو وشعراء المهجر ، إلا أن الحركة الكاملة للتجديد في القالب الشعري قد ظهرت مع مدرسة الشعر الحر ، وهذا الاتجاه حديث ومتأثر بالتيارات الغربية والقومية المحلية في غمار عالم يسوده الشعور بالمرارة والبحث عن الذات (٢) .

مرَّ الشعر العربي ببوادر نهضة وازدهار في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين فاشتمل على موضوعات سياسية واجتماعية وحضارية ، وأثرَّ تأثيراً إيجابياً فعالاً في صنع التاريخ، وفي تحويل مجرى الحياة ،وتغيير أوضاعها ، فتناول الشعراء القضايا العامة في شعرهم كالحرية والاستقلال والعدل ونظام الحكم وأحوال ومشكلات المجتمع وتاريخ الأمة وحضارتها ولغتها وبحثوا عن ذاتها وتحديد المعالم المؤثرة ... وهذه الأشعار تلامس معنى الالتزام الحقيقي كما في دواوين شوقي وحافظ والرصافي ومطران والقروي (٣) .

لقد أصبحت قضية الالتزام الآن متجاوزة في مجال الأدب العربي المعاصر ، وذلك بسبب عدم الوضوح الذي يطبع علاقة النقد بالنص الأدبي وبالقارئ ، تحت ضغط المشكلات الاجتماعية والسياسية التي تجعل معظم النقاد يتحرزون من المجاهرة باستقلالية الأدب عن الخطاب الفكري ، لكن واقع الإبداع ، في نماذجه الجيدة، يشخص نوعا من "الالتزام" لا يكون فيه المضمون ودلالاته المختلفة أقل أهمية من القيمة الفنية والرؤية الذاتية.

---

(١) ينظر :عمر الدسوقي : في الأدب الحديث ، ط ٨ ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٣ م ، ١ / ٢١١-٢١٢.

(٢) ينظر :محمود شوكت ورجاء عيد : مقومات الشعر العربي الحديث والمعاصر ، دار الفكر العربي ، ص ٥١.

(٣) ينظر : أحمد أبو حاقة :الالتزام في الشعر العربي ، ص ١٨٨ .

تجاوز شاعر الحداثة العربية مفهوم الشعر ووظيفته المألوفين إلى مفهوم الحداثة نفسها ، لقد كانت المنفعة وظيفة من وظائف الشعر ، فالمقولة المشهورة "الشعر ديوان العرب" تجسيد واضح لهذه الوظيفة ، فهي تعني في إحدى دلالاتها تصوير الشعر للحياة العربية وما فيها من قيم وأخلاق وتقاليد ، كما تعني تدوين هذا الشعر لأخبار العرب وحروبهم وأيامهم وحفظ أنسابهم ، هذه الوظيفة المعرفية تتطلب توصيلاً شعرياً واضحاً ، لقد امتدت خاصة الوضوح غالبة على الشعر العربي حتى عهد الحداثة ، حيث ارتفعت أصوات شعرية حداثية ترفض القيم السائدة ، وتعيد النظر فيها ، وتعلن أن الشعر لم يعد للمنفعة والفائدة وإنما عمل إبداعي داخلي (١) .

لقد أدى رفض الغرض أو الدور الاجتماعي للعمل الأدبي إلى تأكيد ذاتية الإنسان وفرديته ، ووعيه الداخلي ، واعتبار ذلك محور العمل الفني لا الواقع الخارجي ، وبالتالي الانفصال بصورة كلية عن قضايا المجتمع . إن رفض الغرض أو الدور الاجتماعي للعمل الأدبي هو نحو من العدمية التي لا تحمل أي التزام (٢) . وعلى ضوء هذا هناك بعض التساؤلات المرتبطة ، بإشكالية غائية الأدب وقدرته في الحقل الثقافي العربي، و الإجابة مفتوحة ومنتظرة لإسهامات المبدعين والنقاد ،فالملحوظ أن فترة ما بعد الالتزام والواقعية قد اقترنت وامتلأت بالدعوة إلى الحداثة، وكان المجال الأدبي أسبق إلى التعاطي مع الحداثة برؤى متباينة وبدرجات متفاوتة من التمثل والاستيعاب، ومن ثم يصعب أن نجد تحديداً واضحاً للحداثة التي لم تنج من التشهير والمزايدة ، ولا يغيب عن الذهن أن شعرنا الحديث اقترن في مختلف مراحل تطوره - إلى حد كبير - بحركة الأدب الواقعي من ناحية ، والمد الثوري للشعوب العربية من ناحية أخرى ، فالتزم جمالياً بصياغة النماذج الواقعية ، واجتماعياً بالنضال الجماهيري (٣) . ومن هذا المنظور فالنص الأدبي العربي يتجه إلى تشخيص المسكوت عنه، وإفساح حيز واسع لصوت الذات المتجابهة مع قيود المجتمع السلبية والمتوائمة مع كل ظواهر الإيجاب ، وهذا التحقق النصي هو ما يضفي قيمة خاصة على الأدب العربي الحديث بوصفه -في نماذجه الجيدة - مدخلاً لقراءة ما تخفيه الخطابات الرسمية، والإحصاءات الفضفاضة وأدب البلاغة الجاهزة المكررة ، فيواجه الكاتب العربي قضية

---

(١) ينظر : عبد الرحمن محمد القعود : الإبهام في شعر الحداثة ، ص١٢٩.

(٢) ينظر : إرنست فيشر : ضرورة الفن ،ترجمة ميشال سليمان ، دار الحقيقة ، بيروت ، ص ١٠٧ .

(٣) ينظر :عبد العزيز النعماني : فن الشعر بين التراث والحداثة ، ص ٢٠٩ .

إبداعية يمكن تلخيصها في أنه يسيس كتابته نظرياً دون أن يكون له عملياً تأثير سياسي ، وفي هذا كثيراً ما يتخلى عن دوره كخلاق في عالم الكلمة ، دون أن يتمكن من القيام بدور خلاق في عالم السياسة([1]) . ورغم التوسع النسبي الذي حققه الأدب العربي الحديث، فإن الحقل الأدبي لم يحقق درجة من الاستقلالية المادية تجعل علاقته مباشرة مع القراء والمتلقين، وتحميه من وصاية الدولة والمؤسسات المحافظة، وهذه وضعية تعود إلى عوامل كثيرة، في طليعتها ارتفاع نسبة الأمية، وتدهور مستوى التعليم، وضعف القوة الشرائية، ومحاصرة السياسة الثقافية الرسمية للأعمال الأدبية الجديدة.

إن الالتزام يحيلنا على انشغال المبدع بتصور ملامح لمشروعه ، ولتحديد موقفه من أسئلة عديدة متصلة بصيرورة الكتابة ومعضلاتها، ومتصلة بأسئلة المجتمع والتاريخ، ومرتبطة، بالقارئ وردود فعله وتقييماته. والحقيقة أن هذه المقاربة لوضعية الأدب اليوم في سياق مثل هذه التحولات الجذرية وغير المسبوقة، لا تقتصر على الآداب العالمية بل هي مطروحة في الأدب العربي أيضاً ؛ لأننا نعيش ونواجه عواقب انفجار ثورة تكنولوجيا المعلومات ، وهذا لا يعني مطلقاً أن التيارات الفكرية والأدبية الأجنبية تمارس تأثيراً حاسماً، وإنما هي عناصر مكونة لصيرورة الثقافة واتجاهاتها المتباينة والمعقدة ، وكثيراً ما تكون طرائق النقل والترجمة حاملة لرواسب سلبية تعوق التفاعل الخلاق، لكن النقد ليس وحده هو ما يرسم ملامح الأدب وذائقة المتلقين ، بل هناك إنجازات المبدعين ، وقدرتهم على صهر ما يعتمل في تجاربهم وفي أحشاء المجتمع المتحول النابض بإيقاعات جديدة ، وقد يكون أدبنا محتاجاً أكثر إلى إعادة النظر فيما تراكم لدينا من خلال تبادل الثقافة التي تفتقر إلى الكثير من الاستيعاب والتمثل والتدقيق ، وهذا ما يوحي للبعض بأن قضية الالتزام أصبحت متجاوزة وغير مؤثرة.

ليس من المغالاة في شيء، القول بأن نتاجات الثقافة العربية الحديثة منذ بداية القرن العشرين- على الأقل- جاءت تحمل بصمات المثاقفة بدرجات متفاوتة تمتد من المحاكاة والتقليد ،لتصل أحيانا إلى التمثل والفهم والتفاعل المبدع، فإن ما يسترعي الانتباه ويستحق التوقف عنده، هو ما يتصل بطرائق التوسط وشروط انتقال النظريات والمفاهيم إلى حقل الثقافة العربية الحديثة ،وتواصل الأمم يؤدي إلى تبادل الثقافات، ولكن الأمم والأقوام ليسوا في ذلك سواء ، فالأمم الحية تملك القدرة على النقد والتمييز ، فتستحسن وتستهجن ، وتعرف الصحيح من الفاسد ، وهي بعد ذلك تهضم ما تقتبسه مما تستحسنه ، عند غيرها ، وتمتصه

---

(١) ينظر : أدونيس : زمن الشعر ، ص١٣٤ .

وتفنيه في ذاتها ولا تُفنى ذاتها فيه ([1]) ، وعلى هذا يتأثر شعراؤنا العرب بالرؤى الحديثة في الشعر ، فبعضهم يرى بعيون شعراء الغرب ، مبهوراً بهم ، وآخرون يستلهمون الرؤيا الحديثة للشعر في إطار ثورتنا الحضارية المعاصرة وتقاليدنا الأدبية الموروثة ([2]) .

إن ما يلاحظ في صيرورة الانتقال والاستعارة طابع الاختزال المصاحب لنقل تلك النظريات والمفاهيم والرؤى، وكذلك وجود تفاوت زمني يفصل بين فترة إنتاج تلك المعرفة في الغرب وبين زمن نقلها والتعرف عليها في البلاد العربية. ويمكن أن ندلل على ذلك، بالإشارة إلى قنوات المثاقفة وتسهيل هجرة المفاهيم والمعرفة.

تعتمد الترجمة إلى العربية أساساً على الجهود الفردية ، ولذلك لا يمكن القول بأن الترجمة استطاعت أن تنقل الكتب الأساسية في صرح الثقافة الغربية والعالمية، مصحوبة بدراسات تنسبها وتضعها في سياقها المعرفي والأيديولوجي؛ لذلك اعتمد التعليم الجامعي العربي على نموذج تقليدي اشتهرت به الجامعات الأوروبية خلال بداية القرن العشرين، ولم يعمد إلى تطوير المناهج ومراجعة المحتويات على ضوء حاجات المجتمعات العربية وتحولاتها.

اقترن النقد العربي بالالتزام بقضايا الأمة العربية والقضايا الوطنية بداية ، وأصبح الالتزام بإطار العقيدة الإسلامية مطلباً عند بعض الأدباء والنقاد ،فالأدب الملتزم في مفهوم رابطة الأدب الإسلامي هو : " التعبير الفني الهادف عن الإنسان والحياة والكون في حدود التصور الإسلامي " ([3]) ، ولكن يبقى مفهوم الالتزام لا يتنافى مع هموم المجتمع ، ولا يتعارض مع الدفاع عن حرية الفرد العربي وإفساح المجال ليعبر عن تجاربه الشخصية في أشكال تعبيرية مجددة ، والقصد تطوير الأدب العربي وخلق جيل واع من القراء ، والاهتمام بالآداب الأجنبية بتقديم صورة واضحة عنها إلى القارئ بهدف تحقيق التفاعل والعمق مع الاحتفاظ بالخصائص الذاتية والمحافظة على الثوابت ، ولذا فإن الشعر لا يعبر عن ذات الشاعر فحسب بل يعبر عن روح عصره .

إن تفرد الشاعر وذاتيته وتجاوزه يقاس بأمرين هما: مستوى تطور لغة الجماعة ، وتراث التشكيل اللغوي في شعرها ، فالأمر الأول يكشف عن خبرة الجماعة التاريخية وعن منطقها الراهن في النظر والسلوك ، ويكشف الأمر الثاني عن التقاليد الأدبية الموروثة أو

---

(٢) ينظر : محمد محمد حسين : الإسلام والحضارة الغربية ، ط ٩ ، دار الرسالة ، السعودية ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م ، ص ٢٦٣ .

(١) ينظر : عبد العزيز النعماني : فن الشعر بين التراث والحداثة ، ص ٢٥٧ .

(٢) مجلة الأدب الإسلامي : المجلد الأول ،العدد الرابع ، ربيع الثاني ١٤١٥ هـ .

الثابتة المستقرة ، وعلى الشعر الأصيل أن يخلق علاقات لغوية جديدة دون أن يخل بقوانين اللغة وأنظمتها وأن يزلزل التقاليد الأدبية الأصيلة الموروثة ، وهذا يعني أن أي تجديد شعري ينبغي أن يكون نابعاً من التراث ، وإن تمرد عليه ، وأن يكون فيه شذا من عبقه الخالد فشعر أي شاعر جزء من ثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه ، فهو تعبير جمالي عن مرحلة تاريخية محددة (١) .

إن الواجب اليوم النظر بخلفية خصوصية أمتنا ، وتراثها الموروث ، وبرؤية حضارية تعمل جاهدة من أجل إعادة النظر في كل إطار شعري ونقدي وبشكل متكامل، يحمل بين طياته خصوصية اللغة التي ينتمي إليها، وخصوصية التراث النابع منه، مع عدم الجمود، وإنما الاستفادة منه بما يناسب الحاضر، مزاوجاً ذلك كله بالتراث الإنساني العام، والمنجز البشري المعاصر، دون انبهار به وانقياد أعمى إليه، والتأكيد على ضرورة الاستبصار المعرفي، والالتفات إلى الفكرة والمعنى ، وألا تكون القصيدة شكلانية مقتصرة على الشعري دون غيره ؛ لأن الإنسان يصنع حداثته الخاصة التي تحمي ذاته، وفي الوقت نفسه لا تجعله منكفئا عليها، بل تكون له كالنافذة الرحبة التي تطل به على العالم.

إن إبراز أهمية الوعي النظري بمفهوم الأدب ، وبالخطاب عنه وحوله سمة مشتركة بين جميع الآداب ، تتطلب مثل هذه المتابعة ، وتحرص على الإسهام في صوغ أسئلة النظرية الأدبية ، خاصة أن الإبداع العربي، على الأقل منذ الستينات، يعيش مغامرات التجريب والتطوير والتطلع إلى بلورة أشكال ذات خصوصية ثقافية ومجتمعية ، ورغم ما تعج به ساحة الشعر والنقد معاً من ادعاءات تتخطى الذوق السائد ، وتجاوز الأعراف الراسخة ، فإن الكثير من شعرائنا لا يكتبون لقراء مؤجلين أو أزمنة مقبلة كما يدعي بعضهم ،إنهم يكتبون القصيدة وفي مخيلة البعض منهم صورة ملموسة لجمهور محدد ومناخاً عاماً للتلقي (٢) .

إن الحلول الأصيلة هي تلك التي تستمد من واقع المجتمع ، فإن مفهوم الواقع يحمل في طياته كل ماضي هذا المجتمع وتراثه وتجاربه الموروثة ، فالحلول يجب أن تتضمن حكمة الماضي وخبرة التراث بقدر ما تتضمن من عناصر الإبداع والتطلع إلى المستقبل ، فالأصالة الحقيقية تكمن في قلب المعاصرة دون أن تتنكر للماضي بكل خبراته ، دون أن تنقل بغير وعي بالاختلاف بين ظروفك وظروفهم (٣) .

---

(١) ينظر : وهب أحمد رومية : شعرنا القديم والنقد الجديد ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٩٦ م ، ص١٨١.

(٢) ينظر :علي جعفر العلاق : الشعر والتلقي ، دراسات نقدية ، ٧٤ .

(٣) بنظر : فؤاد زكريا : الأصالة والمعاصرة ، فصول ،المجلد الأول ، العدد الأول ، أكتوبر ١٩٨٠ ،

أما الذين ينتقصون الأدب العربي القديم ويعيبونه فهم يذكرون عيوباً ليس بينها عيب يثبت على التحقيق ، وأكثر هؤلاء من المفتونين بالأدب الأوروبي ، يريدون أن يحملوا الأدب العربي ويفنوه فيه ، فهم لا يستحسنون من تراث العرب إلا ما وافق مذهباً من مذاهب الغرب، ويقحمون على هذا التراث كلما يجدونه في أدب الغرب ولا يجدون له نظيراً عندنا ، وفتنوا بما استحدثه الغرب من مذاهب كانت صدى لظروف خاصة في البيئات التي أنتجها ، كالرومانسية والرمزية والسوريالية والوجودية - وبعضها من مظاهر التدهور والانحلال – فدعوا إلى مثلها في الشعر العربي دون أن يكون من وراء ذلك هدف إلا مجرد التقليد ، على ما فيه من ضرر في أكثر الأحيان (١) .

إن الخطر الخفي الذي يكمن من وراء مثل هذا الاتجاه ، هو تنشئة جيل من أبناء العرب لا يستطيع أن يتذوق أساليب البيان العربي الأصيلة ، ولا يحلو في أذنه وفي ذوقه إلا أساليب البيان الغربي ، وإذا نفر الشباب من شعر المتنبي وأبي تمام ، بل من أسلوب القرآن ، فانصرف عنه ثم استخف به ، ثم عجز عن تذوقه وعن فهمه فقد حكمنا على الأدب بالكساد ثم بالموت ، وإذا نجح أصحاب هذه الاتجاهات في أن يجعلوا أدبنا مقطوع الصلة بماضينا في الدين وفي اللغة وفي العادات وفي الذوق الفني وفي المزاج وفي التقنين الخلقي ، فأي جامعة تجمعنا عند ذلك ؟ (٢).

لقد ظلت الممارسة النقدية متأرجحة بين مناهج لغوية وأخرى تاريخية أو وصفية تقليدية، أو اشتراكية ، وبذلك فإن مغامرة البحث عن مناهج جديدة قد دفعت النقد العربي إلى إيجاد منطلقات فكرية جديدة توجه خطاباته، وما دام من الصعب ملاحظة كل المؤثرات الأجنبية التي عملت على بلورة هذه المنطلقات نظراً لتعدد الممارسات في العالم العربي، فالإشارة إلى أن عملية تجديد الخطاب النقدي كانت بمثابة رد فعل لإدراك غير صحيح لمبادئ المدرسة الواقعية وتفصيلاتها: كالأدب الملتزم، والفن للحياة، والإبداع في علاقته بالتاريخي والاجتماعي، والأدب مسؤولية ، إلى غير ذلك من المفاهيم التي تلاحق النتاج من منظور دلالاته السياسية والاجتماعية والتاريخية ، واعتبار أن كل ما سبق يؤثر سلباً على ماهية الشعر وخصوصيته، لكن الشعر يكون ملتزماً ،وله علاقته بالواقع والتاريخ والحياة وذلك بمراعاة الأسس الفنية والشكلية في الإطار الجمالي والذوقي والأخلاقي.

---

ص ٣٠.

(١) ينظر :محمد محمد حسين : الإسلام والحضارة الغربية ، ص ٢٦٦ –٢٦٩ .

(٢) ينظر : لسابق ، ص٢٧٩ .

لقد دُفع الأدب العربي الحديث دفعاً إلى المخاطرة ، وأطلقت له الحرية فخاض فيما ليس من اختصاصه ، فأخطأ كثيراً وجاوز هدفه ومهمته وليس في هذا ما يفهم منه معنى الحد من حرية الأدب ولكن فيه دعوة إلى الارتباط بالقاعدة الأساسية التي قام عليها الفكر الإسلامي ، وهي قاعدة التكامل بين الفروع والأجزاء التي تشكل في مجموعها عملاً متكاملاً، ذلك لأنه إذا أطلق للأدب حريته على النحو الذي تدعو إليه الآداب الأوربية لكان في ذلك عدوان على دائرة الدين والأخلاق والمجتمع ، والأدب العربي المستمد من الفكر الإسلامي هو أدب ملتزم بالعمل على ترقية المجتمع وتقدمه ، وإعلاء شأن الأخلاق ، فهو لا يستطيع أن يتحرر من مهمته تلك (١) .

إن اللحظة الأكثر أهمية وجدارة بالتأمل في هذه الإشكالية، هي الانتباه إلى توفير علاقة جدلية بين الإبداع وبين أسئلة النقد وتنظيرات الأدب ، فلا علاقة التحكم والتوجيه مقبولة من طرف النقد والنظرية، ولا علاقة إدعاء البراءة والاحتماء بالتلقائية والسليقة تعفي المبدع العربي من التفاعل مع النقد العميق ، وردود فعل القراء ، وأسئلة الإبداع في العالم ، ويبقى سؤال ما الأدب ؟هو بيت القصيد ، ولكنه بمثابة عتبة تقودنا إلى أن نطل على ما تراكم في الساحة الأدبية والنقدية بعد الالتزام السارتري وتجليا ته المختلفة . وهذا يعني أن السؤال الذي انطلق منه صاحب ما الأدب ؟ هو سؤال متجدد ، إلا أنه يستدعي أجوبة مغايرة، تتفاعل مع المستجدات .

(١) ينظر : أنور الجندي : الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ، دار المعارف الثقافية ، السعودية ،دار النصر للطباعة الإسلامية ، القاهرة ١٩٩٥ م ، ص١٤٧.

# الفصل الثاني

## الفصل الثاني : بواعث التجربة الشعرية عند التهامي

- **مصر الوطن**
- **الانتماء العربي**
- **نكبة فلسطين**
- **النزعة الإنسانية**
- **العقيدة الإسلامية**
- **الحب الإلهي**
- **توظيف التراث والأغراض الشعرية**

**تمهيد**

سيطر الواقع الاجتماعي والفكري والسياسي على شعر التهامي سيطرة بعثت فيه روح الاندفاع نحو الإصلاح والنهوض والتأثير في وجدان المتلقي ، مواجهاً الواقع الذي يفرضه المستعمر الغاشم بشتى حيله الاقتصادية والسياسية والثقافية منذ البدايات حتى آخر قصيدة ، فكان الشاعر يدرك هذا الواقع المر من خلال حسه الشعوري المرهف ، وتواجده الفاعل والمستمر في الساحة الفكرية والأدبية ، نتبين ذلك في مثل قوله :

**لا المالُ في هذه الدنيا ولا الولدُ ... بمسعدِ الفرد إن لمْ تسعد البلدُ**
**وكيف أسعدُ في نُعمى تُدَلِلُني ... وذي بلادي على الأهوالِ تضطهدُ**
**فالعيشُ إن جاءني صفواً ليُسعدَني ... من دونِ شعبي ففيه المرُ والنكدُ (١)**

يعيش الشاعر التهامي مع الأحداث ويواكب مسيرتها خطوة بخطوة ، ويحاول الالتفات إلى منعطفاتها الخطيرة ؛ ولذا امتازفي منظوماته وأشعاره بالهدفية والالتزام الذي واكب مسيرة شعره أكثر من خمسة عقود، فتناول المشاكل التي تتصل بهموم الأمة العربية والإسلامية والإنسانية ، من ذلك قوله :

**ويلٌ لقومٍ غدتْ أوطانُهم شُعَباً  في عالمٍ عِنده لا تنفعُ الشعبُ**
**في عالمٍ لا يرى إلا الكبارَ بِه  أما الصِغارَ فكمٌ ليسَ يحتسبُ (٢)**

استطاع محمد التهامي أن يرقى بالتزامه إلى مستوى من الأدبية الراقية ، كما تمكن أن يصل بفكرته ورؤيته إلى مدارك المتلقي الواعي ، وأن يمزج رؤاه بعذاب الإنسانية والجروح البشرية ، فبقي مهموماً بقضايا الواقع التي لا تفارقه ، وبالتالي ظلت قضايا العالم العربي والإسلامي وهمومه القاعدة المتينة التي تربط هذه الحيوية بتجربته الشعرية الصادقة التي تشف عن مشاعر نبيلة .

التهامي من حيث انتمائه إلى مدرسة شعرية، ينتمي إلى المرحلة الشعرية التي جاءت في أعقاب النهضة الحديثة وقبل حركة الشعر الجديد التي يمثلها رواد الشعر، وهو يمثل مرحلة ما بعد شوقي أوضح تمثيل، ويقف مع معاصريه وقفة تظهر دوره في حركة الشعر الحديث قبل أن تمتد الحداثة بمعناها الغربي إلى الشعر العربي في العقود الثلاثة أو الأربعة الأخيرة من القرن الماضي ، وشواهد ذلك عديدة ، نذكر منها قوله :

**كالريحِ شِعرُك سارا  يا شاعراً لا يُبارى**
**فتارةً كانَ همساً  وتارةً إعصارا**
**إن رقَّ كانَ نَسيماً  يَسري كهمسِ العذارى**
**أو جدَّ كان رِياحاً  تجري تهزُّ الدِّيارا (٣)**

---

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، المجلد الأول ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١ م ، ص ٩ .

(٢) السابق : ص٢٢٦ .

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص٦٧٣ .

لقد تمكَّنَ التهامي من أن يُمَيِّز تماماً بين الالتزام والإلزام فجعل من نفسه شاعراً حراً لا يتقيَّدُ بمبادئ حزب معين، أو جماعة محدَّدَة، أو تنظيم سياسي معروف ولم يُلْزِم نفسه بالانطلاق في تصوير تجاربه الشعرية من فلسفةٍ بعينها، بل لجأ إلى اختيار مواقفه من الحياة انطلاقاً من قناعته واجتهاده الخاص، وبتأثير من معايشته للأحداث ومعاناته الذاتية ، واعتماداً على انتمائه الوطني والقومي والإسلامي من ذلك قوله :

**يا مصرُ قدْ سمعَ الورى فتكلَّمي فالحقُّ أعلى ما يجيءُ على فمِ**
**أنَّا نريدُ الحقَ صوتاً عالياً كالرعدِ لم يخفتْ ولم يتكتمِ**
**يا مصر ُ إن جار الطُّغاة فإنَّني بالروح أدفعُ عن حماكِ وبالدمِ (١)**

سار محمد التهامي في أشعاره على نمط خاص، جعل الصلة بين الشعر ونفس الشاعر جلية ظاهرة ، فحياة الشاعر إذا لم تتصل بنفسه وروحه، وإن لم يظهر وحيها في أشعاره، كان الأدب فاتراً ضعيفًا ، لأنه لا يصف الواقع ولا يجلو الحقيقة، بل يصف أوهاماً مبتعداً عن الغاية الحقيقية للشعر ، إن ما يكفل وضوح ذاتية الشاعر هو أن يتصل ما يكتب بكل ما يدور حوله فهو بذلك يعبر عن نفسه وفكره وبذلك تكون الاستجابة قوية مؤثرة.

لقد بدأ الوعي الفكري ينمو في شعور الشاعر، وأخذت الأفكار تستحوذ على أشعاره، والشاعر بحكم إحساسه المرهف وروحه الرقيقة ، يتأثر بعوامل عديدة تنعكس على عواطفه وخواطره ، وتلقي بظلالها على شعره وأدبه ، وتشكل هذه العوامل الحجر الأساس في بناء أدب الشاعر وتكوين هيكليته وأساسه ، فكانت قصائده رصينة المعنى ،محكمة البناء، تدلل على فكر كيس فطن ، وعقل راشد ، وروح شفافة مؤمنة ، وكما قال حسان بن ثابت : **إنما الشعرُ لبُّ المرءِ يعرضُه على المجالسِ إن كَيساً وإن حَمُقاً (٢)**

نحا التهامي في حياته منحى مختلفاً على الصعيدين : العام والشخصي ، فمن خلال ثقافته الشعرية التراثية العميقة ، ومكانته الاجتماعية البارزة وعمله في إطار الجامعة العربية وبحسبانه رجلاً من رجال القانون ، وانخراطه في الهموم الوطنية والقومية والاجتماعية والإنسانية وثقافته الدينية ، وتأثره الواضح بالقرآن الكريم والحديث الشريف والأقوال المأثورة والتراث ، واستئناسه بالتاريخ وعشقه للغة العربية ؛ تشكلت التجربة الشعرية وتداخلت العلاقات والوظائف ، واتضحت الغاية ، إذ ليس هناك ما يفصل الفن ولا التجربة الفنية عن سائر تجارب الحياة الأخرى ، وكثيراً ما تكون الأيدلوجيا دافعاً للإبداع الفني ومصدراً

---

(٢) السابق : ص ١٢ .

(٣) خزانة الأدب : ج/١ ص١٨٢.

للانفعال الجمالي (١) . بيد أن الشاعر مختلف في أمور أخرى ، فهو يحمل إرثاً متصلاً من المعاني المختزنة التي تتفاعل مع تجربته المتجددة ، و يعيش قضايا حية تؤثر فيه تأثيراً وجدانياً عميقاً، تلهب العاطفة وتؤجج الانفعال : فمصر الوطن ، ونكبة فلسطين ، والحرب العراقية الإيرانية ، واجتياح النظام العراقي للكويت ، وتفرق الأمة وضعفها ، وانصرافها عن عقيدتها، والهم الإنساني العام ، كل ذلك من المؤثرات والدوافع الرئيسة والبواعث التي صقلت تجربته الشعرية ، وكانت من بواعث ودوافع شاعريته :.

**يا ربِّ .. شعري بالحقيقةِ هاما عــبدَ اليقينَ ورتلَ الإلهاما**
**فيقينُه حــبٌ يفيــضُ عبــادةً ودعاؤُه شعرٌ يُضيءُ كَلاما**
**إنْ كان أجــراهُ اللسانُ فــإنَّــهُ قلبٌ يذوبُ تبتــلاً وهُياما**
**ودعاءُ مشتاقٍ على دربِ الهُدى يسعى ويكوى لهفةً وغراما**
**ويرى ضيــاءَ المهتدين حِيــاله فجراً يمزقُ حَــوله الإظلاما (٢)**

الشاعر مصري عربي مؤمن بالله وبرسله ، يحمل في ثنايا نفسه قــضايا أمتــه ووطنــه وشعبه ، ثائر على كل ما يراه ، يدعو إلى ما نشأ عليه من أخلاق وتراث وعــادات وتقاليــد. ومن البدهي القول : إن الفهم العميق لتطور لغة الشاعر يبــدأ مــن خــلال حياتــه الفكريــة والمؤثرات المختلفة التي شكلت تجاربه وموهبته .

أما بواعث الشعر فهي بواعث الحياة ، والشعر أداة من أدوات التعبير عن هذه البواعــث ووسيلة للاستجابة لها فرحاً أو حُزناً ، وبراعة الشاعر في تطويع هذه الأداة للتعبير عن تلــك البواعث هو محك الشاعرية وميزان الحكم ، فقد كان التهامي منفتحاً بشعره علــى العــالم ، متأملاً لكثير من أشيائه وكائناته تأملاً يكشف عن شــاعرية خاصــة ، يتجــاوز فيهــا الفكــر والوجدان تجاوزاً لا يتحقق إلا لشاعر موهوب ، فلا يكون الشعر مشاعر خاوية مــن الرؤيــة العميقة ، ولا يتجلّى فلسفة عقلية ليس فيها من رواء الشعر قيمة أو هدف أو غايــة ، وإذا لــم تبلغ التجربة الفنية مدى واضحاً من دقة هذا التأليف لعواطفنا وانفعالاتنا الداخلية فإنها لا تــؤثر فينا وبالتالي تكون تجربة رديئة، ومعنى ذلك أن التجربة الفنية ليست شيئاً منعزلاً عن واقعنا ، ولا هي من عوالم فوق عالمنا ، بل هي من نفس عالمنا وحياتنا ومحيطنا النفسي (٣) .

---

(١) أميرة حلمي : مقدمة في علم الجمال ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ص ٦٦ .
(٢) محمد التهامي : أنا مسلم ، المكتب المصري الحديث ، ص١١ .
(١) شوقي ضيف : في النقد الأدبي ، ط ٦ ، دار المعارف ، القاهرة د- ت، ص ٨٧ .

إن التجربة الشعرية عند التهامي سابقة على قول الشعر فهي الصورة النفسية الكاملة التي يصورها الشاعر حين يفكر في أمر من الأمور تفكيراً يدلل على عمق شعوره وإحساسه، ثم يصوغه قولاً يغذي شاعريته، لتنضج في نفسه ، فيقف على أجزائها ثم يرتبها ترتيبا فكريًا وفنياً ، فتحدث ولادة القصيدة ، ونشعر بالمعاناة الشديدة التي يخوضها خلال التجربة الشعرية، فتجيء تعبيراً أميناً عن شعوره الصادق ووجدانه المرهف مما يمنحها القوة والقدرة لتؤثر على المتذوق ، فيفرض ذلك وجوده على أدوات العمل الفني .

ليست التجربة مجموعة من الأفكار المبعثرة المفككة التي يعمد الشاعر إلى إفراغها في قوالب وجدانية من الشعر ، إنما هي صورة متكاملة متناسقة ، تتعاون أجزاؤها في التعبير عن حالة أحسها الشاعر وعاناها وفكر بها ، وتتصهر في هذه العملية التعبيرية الأحاسيس والانفعالات والأفكار والأخيلة والإيقاعات الموسيقية ، وتتولد في ذات الشاعر (١) .

أشعار التهامي تميزت برقة الشعور ، فمن خلال حروف كلماته الشعرية المتلألئة بياناً وفصاحة يبدأ الإبداع ، فالشاعر المبدع الذي تهتز المنابر لمـوقفه وتنطلق الحناجر بالاستحسان في المحافل لروعة شعره ، الشاعر المتميز في اللفتة واللمحة والكلمة ، والعمق والوضوح ... وصل إلى ذلك بصدق عاطفته وتجربته ، وانطلاقاً من المضامين التي تمس القلوب .

**مصر الوطن :**

لا شك أن للبيئة الأثر الأكبر في بلورة شاعرية الشاعر وتحديد معالم أدبه وشعره ، كذلك يمده المحيط الذي يحيط به ، ويملأ عينه بمناظره ، والحياة التي يعيش في رغد نعيمها أو نكد جحيمها، والنكبات التي تفاجئه بها الحوادث ، فيتلقاها بالثبات أو يستسلم لسلطانها، والاتجاهات العاطفية التي ارتبطت بانتمائه وحبه لثرى وطنه ، كل هذه العوامل لها أثر واقعي في توجيه أدب الشاعر وتكيفه ؛ لأن الشعر موهبة من مواهب النفس ، والنفس تتأثر بهذه الدواعي فلابد وأن يظهر لونها على الشعر . إن الحديث عن شخصية الشاعر لا يتم بمعزل عن مكوناتها الخاصة والعوامل التي أثرت فيها ، فالاستعداد الفطري ، أو الموهبة، والخبرات التي اكتسبها ، والطريقة التي تشكلت بها تجربته ، وتمرس من خلالها حتى صقلت موهبته ، والعوامل الخارجية ، من بيئة وتراكمات ثقافية ، وموروث حضاري أهمية في الكشف عن تجربة الشاعر ، وبواعث إبداعه الفني ، إذ للظروف التي يعيش في كنفها الشاعر

---

(٢) خليل أبو جهجه : الحداثة الشعرية بين الإبداع والتنظير والنقد ، ط١ ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ١٩٩٥م ، ص١٥٧ .

دور هام في صياغة وجدانه ، وهي التي توجه مجريات حياته ، سواء تفاعل معها وتأثر فيها بطريقة إيجابية فاعلة ، أو تقاذفته أحداثها وتلقَّى آثارها بطريقة سلبية (١).

**يحيا الكريمُ على ثرى أوطانِـه ... يجري عبيرُ الأرضِ في شريانه**
**تنسابُ فيـه ملامحٌ من أهـله ... وتفيضُ في دمـه وفي وجـدانه**
**وتصوغُ فيه سماته وخصـاله ... وتشـدُّه شـداً إلـى أقـرانـه**
**فيعيشُ مثل الزهرِ بينَ غصونِه ... يحيا لنشرِ العطـرِ في بستانـِه**
**ويضمهُ الوطنُ الحبيبُ لصدره ... فيذوقُ طعمَ الحبِ في أحضانِـه**
**هذى الملامحُ والخصـالُ حياتُه ... ودليـلُ نسبتـِه إلى أوطـانِـه** (٢)

تناول التهامي في شعره عدداً من الموضوعات وعلى رأسها موضوع الوطن الـذي أولاه اهتماماً ملحوظاً حيث بسط هذا الاهتمام حللاً إبداعية في قصائده ؛ معبراً عـن حبـه العميـق لمصر شعبها ، فظلت حاضرة في أشعاره ، مما جعل لغة التواصل مع شعبه وقضايا وطنـه تستأثر بهذا الحضور ، وبذلك غطى الشعر الوطني مساحة واسعة من دواوينه ، فيعد التهـامي بذلك شاهد عيان ، لقد عاصر الأحداث العظيمة التي صاحبت مسيرة حياته ، ولمس عن قرب التحولات السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والعلمية التـي شـهدتها مـصر والعـالم العربي.

لم يفت التهامي أن يرثي الكثير من شخصيات مصر الفكرية والـسياسية ، ويقـف علـى دورهم في تشكيل ثقافة الأمة وواقعها السياسي مثل :البارودي والعقاد وأحمـد شـوقي وطـه حسين وصلاح عبد الصور وعزيز أباظة ومحمد فريد وعبد الناصر وأنور السادات وغيرهم، والذين كانت لهم صفحات ناصعة بما أضافوا للأمة من معان وكنـوز وبمـا سـطروا مـن صفحات مست حياة الإنسان المصري والعربي ، فهو مولع بالنابهين من الأعـلام يكـسوهم المدائح أحياناً ، ويبل ثراهم بالدموع موتى وفاءً ، من ذلك ما نراه في قصيدته التي عنوانها ( أحمد شوقي ):

**آياتـُه معجـزاتٌ فـي تفردِهـا ... حقاً وليسَ في شـعرنا مـثلُ**
**في كفَّه اللفظُ يطـويه وينشـرُه ... أما معانيه يدعـوها فتمتـثلُ**
**إن طافَ بالحبِ تلقى في فـرائدِه ... همساً تخللُه الأنغـامُ والقـبلُ**

---

(١) ينظر : نبيل أبو علي : عناصر الإبداع الفني ، ط١ ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس١٩٩٩ م ، ص ١٣.

(٢) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٦٤٣ –٦٤٤ .

**أو قالَ في الحربِ تلقى في مقاطعَه كتائبَ الجندِ في الهيجاءِ تقتتلُ** (١)

ولم يكتف بأن يكون هؤلاء العظام باعثاً من بواعث تجربته الشعرية ، يشكلان تجربته بل تأثر بالشعراء منهم ، فظهر ذلك في الكثير من أشعاره سواء في الشكل أم المضمون ، وأكثر الذين تأثر بهم الشاعر الكبير أحمد شوقي ، ومن شواهد ذلك العديدة ، نذكر هذه المعارضة لقصيدة شوقي "الكتاب" التي يقول فيها :

**أنا من بدَّل بالكتبِ الصحابا لم أجدْ لي وافياً إلا الكتابا**
**صاحبٌ إن عبتَّه أو لم تعب ليس للواجدِ للصاحبِ عابا**
**كلما أخلقته جددني وكساني من حُلى الفضل ثيابا**
**صحبةٌ لم أشكُ منها ريبةً ووداداً لم يكلفْني عِتابا** (٢)

فيقول التهامي في قصيدة قيلت بمناسبة معرض الكتاب الدولي :

**إذا ما رمت في أمرٍ صَوابا فسلْ في كلِ ما تبغي كِتابا**
**ففوقَ سُطوره ينسابُ نورٌ يسوقُ لكلِ مسألةٍ جَوابا**
**يضيءُ العقلَ .. يوقظُه فينمو ويفتحُ لانطلاق النورِ بابا**
**ووزنُ الناسِ في الدنيا عقولٌ إذا غابتْ فكلُ العيشِ غابا**
**وإن جهلتْ فطعمُ العيشِ مرٌ يحيلُ الشهدَ في الأفواه صَابا**
**ويسقيها التخلفَ وهو عارٌ يجرُّ إلى مرابعها الخرَابا** (٣)

لقد كان شعره مسعى لتحقيق شخصية متميزة ، إذ يجعل الحياة اليومية مصدراً للغة قصائده، فكانت أعماله تمتزج بالحياة وتقترب بقاموسها الشعري – مفردات وصياغة- من لغة الناس وحرارة حوارهم اليومي، وقد كفل هذا الأسلوب من أساليب الصياغة لقصائد التهامي أن تنفذ إلى قلوب المتلقين ومشاعرهم بسهولة ويسر.

ورب كلمة تجمع معالم شخصية التهامي بجوانبها المتعددة ، وهي كلمة الانتماء بأوسع ما تدل عليه من معان ، فهو مصري تضطرم بين جوانبه مشاعر جياشة بحب الوطن الذي درج على أرضه ، وأظلته سماؤه ، لقد وهب التهامى هذا الوطن قلبه وحبه ، وأنشد فيه العذب من شعره ، الذي تغنى فيه بأمجاد قومه ، وكفاح أبنائه في سبيل الحرية والكرامة (٤).

---

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص١٥٧ .

(٢) أحمد شوقي : الشوقيات ، مكتبة مصر ،١٩٩٣م ، ج/٢ ص ١٨ .

(٣) محمد التهامي : يا إلهي ، دار البشير ، عمان ، ١٩٩٤م ، ص ١٠٩ .

(١) ينظر : بدوي أحمد طبانة : كوكبة من شعراء العصر ، ط١ ،الشركة المصرية العالمية للنشر ، ١٩٩٥م ص ١٥٨ .

إن للوطن في إبداع التهامي حضوره الخاص ، وتشكيلاته الجماليّة المتعددة ، فهو المكان الذي يشعر فيه الإنسان بالانتماء ، ويتمتع فيه بالبذل والعطاء، واختلاف الصور أيّاً كانت ألوانها وظلالها ، وخلفياتها ، فإنها تشكل في النهاية موقفاً وجدانياً لا خلاف حوله ، فالتهامي تغنى بمصر ، وتغنى بالنيل والسد العالي والقاهرة ، من ذلك قوله :

**طفْ بالرمالِ وأحيها يا نيلُ ... ما أنتَ يا سرَ الحياةِ بخيلُ**
**وانثرْ بها القبلَ العذابَ على الثرى ... يبعْثْ مواتاً فوقَها التقبيلُ**
**أجراك ربُك بالحياةِ وطالما ... نبتتْ حياةُ الناسِ حيثُ تسيلُ**
**وحباك قدرةَ صانعِ هذا الثرى ... فمضتْ يمينُك للجبالِ تهيلُ (١)**

لقد تنوعت قصائده ، واختلفت من حيث أنها جاءت تحكي عن أمور كثيرة وموضوعات متنوعة ، فتناولت شؤون السياسة وقضايا الأمة ، وبأغراض متباينة ، فيمكننا قراءة قصائد الفخر والمديح والرثاء ، وقصائد أخرى في الوصف ، وأيضاً في العاطفة والوجدان والحكمة والتأمل وغير ذلك ، قصائده مختلفة المضمون لكنها تعبر عن آراء الشاعر وأفكاره وتقف على شاعريته وعمق معانيه ، وقد يظن أن التهامي شاعر مناسبات عند تأمل عناوين قصائده، ولكن إذا كان شعر المناسبات من الومضات الاجتماعية فهي ومضات خفيفة قليلة ، يقول في قصيدة بعنوان " طابا وطني " وقت استردها المصريون من اليهود بعد مفاوضات طويلة ومضنية :

**لا تَقربوا من ثراهُ إنه وطني ... وأن كلّ حصاهُ قد من بدني**
**هواؤه كله قد مرَّ من رئتي ... وحطَّ بصمةَ أنفاسي على زمني**
**وماؤُهُ في عروقي مدَّ موجتهُ ... تردُّ غربة أيامي إلى سَكني**
**وأرضهُ صدرها الحاني يُلملمني ... ويجمعُ البذرَ من أصلي ويغرسني**
**ومنه صاغت لِيَ الأيام حِرفتها ... وأشبعتني من نُعمى ومن شجنِ (٢)**

ولماذا ينكر على الشاعر - أي شاعر - الاحتفاء بالمناسبة ؟ وكأنهم يطلبون منه الانسلاخ عن مجتمعه في أفراحه وأتراحه ؛ والشاعر في حقيقته لا ينفك عن مجتمعه؛ يتفاعل مع أحداثه ومناسباته معبراً عن فرحه في أنغامه، وعن ترحه في بكائياته، يتفاعل ويتأثر ليؤثر في المتلقين في كل المواقف.

---

(٢) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ١٢٥ .
(٣) السابق ، ص٦٥٥.

**الانتماء العربي :**

لقد ظهر في شعر التهامي جلياً بعد الانتماء العربي ، فأحس بألم الأمة ، وعـايش قـضايا العروبة وأدمت أعماقه وخزات الاستعمار المغروسة في جسد أخيه العربي ، كما ساءته النوايا الاستعمارية الدفينة ؛ فتأثر من فظاعة الأحداث، وانطلق في ثورة عارمة ، يفجر آلامه وينادي بالحرية والكفاح ، ويأسو جراح المنكوبين ؛ ليُشعر المضطهدين أن من ورائهم السيف والمـال والقلم ، فالأحداث والقضايا التي واجهتها الأمة ومازالت من قضية فلسطين منذ النكبة وإلـى اليوم ، والمقاومة في الجزائر وعدن ، والاعتداء الثلاثي، وحروب مصر مع العدو الصهيوني، والثورة على الاستعمار في كل بلدان العالم العربي ، وحرب العراق مـع إيـران واجتياحهـا الكويت حاضرة في وجدانه ، فجاءت أشعاره غذاءً روحيًا وصوتاً مدوياً قوّى أواصر الأخـوة بين أبناء العروبة ، وأشعرهم بشرف قـضيتهم ، وحـثهم علـى التـضامن وعـدم الفرقـة والاختلاف، ودعاهم إلى اليقظة والنهوض :

**هذي العروبةُ فينا سـرُ وحدتِنـا ورايـةُ العـربِ منَّـا أينمـا وجـدوا**
**لو هزَّها في أقاصـي الغربِ مغتربٌ فالشرقُ منْ شَوقِه المشبوبِ يـرتعـدُ**
**أقدارُنا ، هذه لو رامَ مـن جَحـدوا منها فِراراً ، لما اسطاعوا وإن جَهِدوا**
**بَنُو العروبةِ ما طـالَ الزمانُ بهـم فغايـةُ الـدهـرِ أنْ الشـملَ ينعقـدُ (١)**

فهل هناك أعمق من هذا القول في الانتساب لهذه الأمة المناضلة وتخليد ذكرى أبطالها الـذين رفعوا الرايات عالية خفاقة ؟ فالعروبة إرثه وروحه وحياته ورايته وسر وحدتـه ، وأن هـذه الأمة لن تهزها هزة ، ولن يفرق أحدٌ أبناءها وستتوحد وينعقد شملها :

**يا باعثَ الأمجادِ كـمْ صـانتْ لكَ الأمجادُ غابـرْ**
**سرُ العروبـةِ فيكَ أنْ تلقى العذابَ وأنـتَ صابرْ**
**حتى تثورَ فإنْ فعـلتَ فليـسَ للثـوراتِ آخـرْ**
**إلا ونصرُك قـدْ تأكـدَّ خـافـقَ الرايـاتِ باهـرْ**
**لوْ يعرفون لمَا مَضوا في الحربِ يا بطلَ الجـزائرْ**
**واستسلموا وتجنبـوا شـرَ الهـزائمِ والخسـائرْ (٢)**

---

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٣٤٣ .

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٣٧١ .

لم تكن المساحة الفاصلة بين شعوره الذاتي وشعوره العربي فارغة من الشعر، أو منطقة محايدة خالية من الفكر، بل كانت حلقة واصلة بين هذا وذاك، ونافذة يطل منها الشاعر من وطنه الصغير على عالمه العربي الكبير، ومنطلقا تتداح منه الدائرة لتتحول إلى دوائر آخذة بالاتساع؛ حتى تكتنف الوطن العربي كله، وهو في القدر الأعظم من أناشيده المنتمية لا يفصل السياسة عن الجمال، والحب عن النضال.

بدأ رحلته من الأرض العربية التي تقله فكان ذلك الحب الكبير وهذا الانتماء المميز، فكانت أشعاره حياة وحباً لهذه البقعة وانتماء ونصراً مؤزراً ، وبمثل هذا الحبّ اتجه قلبه إلى مصر، فلما أطلّ على أزهرها العريق وجد فيه البغية المنشودة، وعلّق على مآذنها الآمال العراض، واستلهم من الإسلام الطمأنينة، وحث على الدعوة لنشر هذا الدين؛ لأنه بنشره الإسلام، وقيامه بتبعات الدعوة يُثبتُ أركان العروبة في الأرض، ويحميها من الغزو الفكري، ويقضي على عوامل الفرقة، وينشر الوحدة الفكرية التي تمهّد للوحدة السياسية :

**صرنا حيارى فكلٌ يدَّعي عَرباً حينَ العروبةِ .. لا صدق.. ولا كذب**
**كلُ الحقيقةِ قدْ باتتْ مبعثرةً خلفَ الأكاذيبِ تستخفي وتنتقب**
**يصايحون جميعاً في مواقفهم ويدعون جميعاً أنَّهم غلبوا** (١)

يرفض الشاعر الوضع المهين المتذبذب من حيث طريقة التعاطي مع القضايا العربية ، وخاصة الشجب الذي يقوم به العرب دون أي فعل أو تحرك ، فهذا الشعور العربي الجياش الذي يحترق به قلب الشاعر حقداً علي أعداء الأمة كان باعثاً ودافعاً لإبداع أجمل قصائده.

لقد استعمل الشاعر المعاصر المدينة في كثير من أشعاره رمزاً للوطن ككل بل ربما كانت رمزاً للعالم ؛ لأنها تمثل وجهه المنظور ، كما تمثل كل اتجاهاته السياسية والحضارية (٢) ، فتتحول كل حاضرة ومدينة من حواضر ومدن العرب عند التهامي إلى معشوقة يبادلها الحب، ويستلهم من تاريخها عبق الماضي، فالتهامي لم يترك مدينة من مدن العالم العربي العريقة إلا وتغنى بها ووقف عندها ؛ لتكون الباعث الملهم لإبداع أجمل قصائده، من ذلك قوله في حلب :

**يا حاديَّ الركبِ قدْ أنزلتَنا حلبَا ألق الزمامَ فقدْ أبلغتنا الأربا**
**هذى معالمُها هزتْ جوانحَنا فاجنحْ إليها وقبلْ أرضَها طربا**
**هذا الترابُ يقيناً نحنُ نعرفُه ونحنُ ننشقُه مِسكاً لو اقتربا**

---

(٢) السابق، ص٥٢١ .

(٣) مفيد محمد قمحية : الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر ، دار الآفاق ، بيروت ، ص٣٦٤ .

**دعنا نسيرُ عليه فهــو يعرفُنا والأرضُ تعــرفُ من منها لو اغتربا** (١)

إن التجربة الشعرية لا تأتي من خارج الكرة الأرضية ، بل هي بنت الواقع الذي يعيــشه الشاعر ،وبقدر التصاقه بموضوعه تأتي القصيدة مؤثرة ، ينتقل جمرة القصيدة إلى المستمع أو القارئ ، وبذلك على الشاعر أن يصغي إلى دوافعه الداخلية ، وضغوط روحه وإلحاحها دونما محاباة لدافع آخر (٢) .

لعل ما يجعل الشاعر ينطلق بهذه المشاعر الإيمان الملتزم بأن قضايا التحرر فــي العــالم العربي هي قضايا واحدة ، ترتبط فيما بينها برباط الحرية ، فارتباط مــصر بالعــالم العربــي وبقضايا التحرر الوطني في العالم ، جعلته يرصد كل ظواهر التحرر العربي من الخليج حتــى المحيط ، فالجرح إذا نزف في فلسطين فإن الدم يسيل في الجزائر واليمن ومــصر وســوريا ولبنان والسودان ؛ ولهذا وجد نفسه محاطاً بعالم يخوض أقسى المعارك والتجارب الثريــة ، فكيف لا تكون باعثاً مؤثراً وملهماً في تجربته وإبداعه ، من ذلك قوله في ثورة الجزائر على الاستعمار :

**فوقَ الجــزائرِ في حمــاك " جميلة " نحنُ التقينا من سنينَ طويــلة**
**كنا وراءك حيــنَ ثرتِ علــى الأذى ورفضتِ أن تحيي هناكَ ذليــلة**
**كُنَّــا وراءك حين سرت على اللظى واخترتِ منْ هولِ الكفاحِ سبيله**
**وحملتِ كالأبطــالِ عــبءَ كفاحِهــم مُراً فمــا عزتْ عليــك بطولــة** (٣)

إن الالتزام بقضايا تحرر الأمة العربية من المستعمر الغاصب يبدو عملاً مميزاً في أدبنا، فهو موقف مبدئي ، وليس موقفاً مرحلياً تقتضيه الظروف وإشكالاتها ،بــل تقتــضيه قــضية أساسية وموقف ملتزم، موقف استراتيجي تحكمه أهداف إنسانية قومية كبرى لا يمكن الانحياز عنها أو الخروج عن خطها المبدئي ، وهكذا أدرك الشاعر معنى النضال ولغة الإنسان ، إنها خلفية فكرية تجعل من الحرف انفجاراً مدوياً في شتى أرجاء البقــاع ، فالــشعب المــضطهد واحد ،والحركة العنصرية واحدة ، والنتيجة أيضاً نضال مشترك ضد هذه العنصرية .

ويمتزج المعنى الإنساني عنده بقضايا الأمة حيث نرى نماذج من شعره تمتلــئ معانيهــا إنسانية، وتمتزج فيها قضايا النضال امتزاجاً كاملاً، ويمكن القول فــي ذلــك أن شــعره قــدم

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص٣٣٠ .
(٢) ينظر : علي جعفر العلاق : الشعر والتلقي دراسات نقدية ، ص ٩٥.
(٣) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٣٧٣ .

لوحات للإنسان العربي وتجاربه الثورية النضالية أينما وجد وكيفما ناضل، ويعتبر بذلك مقاتلاً من أجل كرامة الإنسان العربي وحريته، مدافعًا عن حقه في التحرر والنهوض ، فيقول :

**لمـــا تمادتْ حولـــي الأنـــواءُ وتضاعـــفتْ سحـــبُ لها دكناءُ**
**ونظرتِ حولي أستغيث فهالني أن البـــرايا مـــا لـــها إصغـــاءُ**
**فالناظرون تحولتْ أنـــظارُهم والسامعون قـــلوبُهم صـــمـــاءُ**
**والناسُ قدْ أعمتْهُم أطمـــاعُهم وطـــغتْ لـــديهـــم قـــوةٌ رعناءُ**
**فاستأسدوا فوقَ الحياةْ وغرَّهم أن الطـــغـــاة لهم بها ما شاءوا (١)**

## نكبة فلسطين :

تأثر التهامي بالكثير من االقضايا الوطنية والقومية ، حيث شهد تاريخنـــا الحـــديث أعنـــف الأحداث، وأقوى المواجهات، بين شعبنا وقوى الظلم والاستبداد ، فلا غرو أن يتغلغـــل ذلـــك الجو المشحون بالصراع والتصدي في أعماق الشاعر ؛ فتكون أشعاره صرخات مدويـــة تـــنم عن الثورة والنضال ، من ذلك قوله :

**إن الـــذي زيفـــوه كـــلُه كـــذبُ ما لليـــهـــود بدارٍ أهلُهـــا عربُ ؟**
**ولو بنوا فوقَها الأطوادَ شامخةً وأسكنوا في حِماها كلَّ منْ جَلبوا**
**ولو تعـــاونَ في إسكانِهـــم دولٌ وقـــدموا لـــهم كلَّ الذي طَلَبـــوا**
**ففي غـــدٍ نُشعل النيرانَ ضاريةً وهمْ ومـــا شيـــدَّوه فوقَها حطبُ (٢)**

هزت الشاعر التهامي نكبة ١٩٤٨ فكرياً ونفسياً ، وكانت دافعاً وباعثاً ممـــا جعلـــه يميـــل بشعره نحو السياسة والمجتمع ميلاً مقصوداً ؛ لأنه كان يعتقد أن أسبابهما تعود إلـــى عوامـــل داخلية تتمثل بالتخلف في بنية الجماعة العربية ، وعوامل خارجية متمثلـــة بمـــؤامرة الغـــرب الاستعماري مع مطامع الصهيونية العالمية في احتلال فلسطين احـــتلالاً اســـتيطانياً، وطـــرد سكانها الأصليين من أراضيهم وتدنيس الأماكن المقدسة ، فيقول في قصيدة القدس :

**أيا قدسُ ديسَ المكانُ الجليل وغطى على الطهرِ رجسٌ أشـــر**
**وسيقتْ لك النـــار خجلانـــةً وكـــادَ ينـــوحُ عليـــكِ الشـــرر**
**وفي قدميّك مضوْا يحفرون فتشهـــقُ تحتَ عـــلاكِ الحفـــر**

---

(١) محمد التهامي : يا إلهي ، ص ٦٦ .
(٢) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٢٣٢ .

**ويحرسكِ المسلمونَ الصغار على حينَ خاف الكبــارُ الخــطر**
**ولمــا تخــلــتْ عماليقُنــا تــولَّ الصــدام ذوات الخــفــر**
**تسنُ العصافيــرُ مِنقارهــا وترمي علــى الدارعيــن الحجر**
**وتهرعُ عند دوي الرصاص إلى عشِهــا في أعالــي الشجر**
**كــأن الحصــاةَ بمنقارهــا رمى خــالــدٌ ســهمها فانتصرْ**
**كــأن الأبابيــلَ في صفِّــها تعبــئُ أحجــارَها مــن سقــرْ (١)**

التهامي في تعلقه بقضية فلسطين – قضية العرب والمسلمين - عبر عما فــي الوجــدان بإخلاص ومحبة ، وعِلة ذلك طبع الشاعر المرهف، وإيثاره الرفق في كل ما يقــول ويفعــل ، فيتجه قلبه إلى فلسطين والقدس ويجول بين الشهب المتطايرة في سماء غزة والــضفة، وهــي ترجم الأعداء المحتلين ، فيأخذه العجب من جمرات صغيرات، يجابه بها الــصغار الأغــرار قذائف العدو الكبيرة الضارية، لكنها برغم صغرها تمزق صفوف الأعداء ، وتفرق جمــوعهم، وتلجئهم إلى مواجهتها بأسلحة ثقيلة عاجزة عن النيل من عزائمهم التي لا تلين، وأمام هــؤلاء الصغار الكبار ، والأطفال الأبطال ينحني الشاعر الكبير إكباراً لبطولتهم، وتعظيمــاً للإســلام الذي نشَّأهم على الجهاد ، والعروبة التي أرضعتهم العزة، فيدعوا العرب إلى إكبارهم ؛ لأنهم يمثلون البقية الباقية من أمجاد هذه الأمة ونخوتها ، يقول :

**عاشوا علــى أمــلٍ فينــا لنجدتهم ومن سوى الأهل يرجى للأُلــى قصدوا**
**والشرُ يزحــفُ مجنونــاً ويطعمُــه أنا فــرادى وأن البعــضَ قد شــردوا**
**قال اليهودَ – ويا شؤم الذي زعموا - إن اليهودَ بأرضِ العــربِ قــد وعدوا (٢)**

من يتفحص نصوص هذا الشعر المقاوم عند التهامي يجد أنه يمتلئ بــالمواقف الإنــسانية التي تنم عن نظرة الشاعر ورؤيته الواعية للعلاقات التي تربط العــالم العربــي ببعــضه، أي الانطلاق من الوطن إلى العروبة إلى الإنسانية. وهذا دليل على تعلق الــشاعر بتلــك الأرض الطيبة العريقة وبقضايا تحرر الإنسان العربي.

ومن هنا تجد أن شعره الذاتي الذي يبوح فيه برعشات نفسه وخطــرات روحــه وألــوان رؤاه قليل ، وإنما انصرف بكليته إلى الشعر البنَّاء يقرضه وهو يعلم بوظيفته في الحيــاة، فلــم تكن فلسطين مجرد كتلة تعرضت لسنوات طويلة للتعرية والبطش والتآكل بل هي أبعــد مــن

---

(١) محمد التهامي : أنا مسلم ، ص ٤٧ .

(٢) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٣٤٦ – ٣٤٧ .

ذلك وأشد حضوراً ، إنها مخزون نفسي يغذي إحساساً لا يضاهى بالفجيعة وفقدان الحرية ، إنه ميراث حي يتموج داخل الروح ويتمازج ليغذيه ويتغذى به ([1]) .

## النزعة الإنسانية :

إن الشعر كتاب المشاعر الإنسانية التي لا تحد في غاية ولا تنحصر في موضوع منذ بدأ الإنسان التعبير عن مشاعره ، وسجل فيها أحاسيسه حتى الساعة - التي لا يبقى له فيها وجوداً على هذه البسيطة - ومن هنا كانت المفاضلة بين أساليب التعبير عن مشاعر وأحاسيس مهمة ليست يسيرة ، بيد أن البواعث والدوافع حين تكون صادقة تصل وتؤثر في المتلقي الذي هو جزء فاعل في الخطاب الشعري ، فالشاعر التهامي صوت إنساني جرّب ألوانا شعرية عديدة، وطرق بموهبته جوانب إبداعية غاية في الدقة والتميز ، لقد ارتفعت الروح الشعرية الأصيلة لدى التهامي فارتفعت بمداركها عن حدود الوطنية والإقليمية إلى عالم واسع شامل يحركه الإنسان ، فأصبح الهم الإنساني ضمن اهتمامات التهامي ، فأخذ يرقب علاقة هذا الإنسان بالطبيعة من حوله ،وعلاقته بأخيه الإنسان وما ينتج عن هذه العلاقة البشرية المعقدة ، فبدأ يعالج أحداثا عالمية مهمة ويدرس الآثار المترتبة على وقوع تلك الأحداث.

إن الدخول إلى المعاني من خلال شكل صحيح وأسلوب واضح دون إبهام وتعمية ميز أشعاره، وبذلك أراد أن يطرحها بفن جميل وإحساس مرهف عميق السبر وخاصة في مواضيع الحياة وصور الإنسانية ، وهذا ما تضمنته دواوينه ، فسلاسة المعنى وروعة الصور الشعرية المنبثقة من فصاحة الكلمات وبلاغة الجمل،أعطى القارئ قدرة على الولوج إلى فكر الشاعر، وتلقف إشعاعات بديعه تضيء ما يختلج به شعوره وعقله من أشياء وأمور :

**سأعيشُ حتى يستمرَ بعالمي ... خطوُ الحياةِ لعالمٍ لم يولد**
**فلعله مني يضيءُ وجودَه ... سعداً ، يعوضُ عالماً لم يسعد**
**سأعيشُ حتى في ترابِ مضاجعي ... لأرى الضياءَ الحرَّ في الفجرِ الندي**
**وأرى ذراريناً تدوسُ ترابنا ... عِزاً ، وترفلُ في ثيابِ السؤدد** ([2])

يكتب التهامي للإنسان، في واقعه، همومه وأحاسيسه، محاولاً احتضان قضاياه ، ولكن بطريقة جديدة مبتكرة ما أمكن، حيث يصبح الهم الواحد هموماً والهموم المشتركة همًا واحداً،

---

(١) ينظر :علي جعفر العلاق : الشعر والتلقي دراسات نقدية ، ص١٥٢.

(٢) محمد التهامي : يا إلهي ، ص ٩٥ .

فلا يفكر كثيرًا بقضاياه الذاتية وإنما في كل القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، يقول في قصيدة بعنوان ( إيرما ) (١) .

**إيرما تقمصتْ الدنيا بُرمَّتــهــا صارت شعارَ ذوي طــولٍ ومقدرة**
**هم يذبحون دويلاتٍ بأكمــلــها ويضحكون على طفــلٍ بمرحمــة**
**ويخدعونَ خداعاً جازَ عندَهــم ظنــاً بــأن نُهانــا غيــرَ واعيــة**
**يتصايحون بعطفٍ في قلوبِهــم معنــاه أنَّهــم جَــاؤوا بمــكرمــة**
**دقوا على الكذب البادي طبولهم وروجــوه لأذن غيــر مصــغيــة**
**لو يسألون جراحَ الطفلِ لانفجرتْ وحدثــتْ بحديــثٍ غيــرَ مفــتئــت (٢)**

يبدو التهامي في شعره محتجاً ثائراً حزيناً متعباً بهمــوم الحيــاة فــي بعــديها الإنــساني والعربي، قصائده ترسم مأساة الإنسان في التردد بين الخير والشر، القــدرة والعجــز ،الأمــل واليأس، يتتحسس الواقع العربي في معارك الحرية والبناء، ومقاومة الحصار، تكتبه القــصيدة قبل أن يكتبها، فبمجرد أن تبدأ الدفقة الشعورية ويمسك طرف الصورة الشعرية التي يريــد أن يسترسل معها ؛ تتلاحق الصور بحيث يبدو أنها تلهث خلفه قبل أن يلهث هو خلفها : الإنــسان والأرض والوطن والأمة كلها هواجس يغوص فيها الشاعر من خلال قصيدته بفنيــة رائعــة، ولغة مليئة بالإيحاء ، والأبعاد الفكرية ، حتى تبدو كأنها لغة خاصة به، يقــول فــي قــصيدة بعنوان " ماذا هناك " :

**أهيم أفتــش الدنيــا ، لعلي أرى أسباب همي وانشغالي**
**فلا ألقى سوى تعذيب روحي وحيرة خاطري وشقاء بالي (٣)**

إذا كان المضمون الاجتماعي للعمل الشعري لا يستمد في حقيقته من واقــع الحيــاة فــي المجتمع، بل من موقف الشاعر الفكريّ من الحياة التي يحياها مجتمعه فإن التهامي في مقدمة الشعراء الذين لهم مواقف فكرية خاصة في الحياة وفي المجتمعات التي قُدِّر لــه أن يتعــايش معها ، وهي المجتمعات العربية خاصة ، والمجتمع الإنساني بصورة عامة ، لقد عــالج فــي أشعاره كثيرًا من المشاكل الاجتماعية التي ينشدها كــل مــصلح تسرب حب وطنه له فــشعر بضرورة الإصلاح في ينبوع شعره ، وقد تخللت عناصر الحياة فيه فأوجدت منه نغماً ونبــضاً

(١) الطفلة البوسنية المسلمة المصابة التي عالجها الإنجليز .
(٢) محمد التهامي : يا إلهي ، ص ٧٧ .
(٣) السابق ، ص ١٢٠ .

حياً، ومشاعر حساسة مشفوعة بحسن العرض والمران ، وهكذا كانت أشعاره تفصح عن شعور صادق ، وأحاسيس جياشة تبثها نفسه ، فينطلق مفعماً بالحركة والنشاط والحيوية :

**هل تغمرُ الكونَ أنوارٌ مقدسةٌ تطوفُ بالحق ، تستجلي خفاياه ؟**
**وتلهمُ الناسَ من أسرارِ عيشِهم ما كان جهلُهم بالحق أخفاه**
**ونحن في حاجةٍ للنورِ يغمرُنا فنستريحُ إلى حق عرفناه**
**من بعدِ ما روعَّ العدوانُ ساحتَنا وانسابَ في فمِنا مراً وذقناه (١)**

يبقى التهامي شاعراً وإنساناً، يشكل حلقة متينة وضرورية تربط بين الشعر وإشكالات الواقع، وبين عظمة الماضي وأحداث العصر ، التهامي شخصية شعرية متميزه ، فلم يكن يستمد خصوصيته الشعرية من جمال الصياغة ولغته الواضحة واهتمامه الخاص بموضوعات حياتية شديدة البساطة بل تتشكل القصيدة عنده من الحياة وما فيها من تفاصيل يومية دقيقة، إن القصيدة لديه شكوى وجدانية مباشرة وعمل تلقائي فيه ما في الحياة من كدر وقسوة :

**ومهما نالتْ الأحداثُ مني سأبقى في مفاوزِها أغني**
**وتسكنُ نارُها في عمق روحي فيصدرُ نورُها الوضاءُ عني**
**فإن حطتْ على الدنيا بليلٍ تردُ ظلامَ هذا الليلِ عيني**
**جبلتُ على مقارعةِ الليالي فبين ظلامها ثأرٌ وبيني**
**شققت سوادَه شقاً فولَّى ولم يدم الظلامُ ، ولم يرعْني (٢)**

ترْجَمَ التهامي رغباته ، وارتقى في كثير من الأحيان بمستوى أحلامه الذاتية إلى مستويات إنسانية رفيعة، لقد عشق التهامي الجمال فاستمد مضمون قصائده الشعرية منه ، ومن الحياة بجميع عناصرها ومعطياتها، فوقف إلى جانب القيم الإنسانية والمثل العليا والمبادئ السامية، وحاول أن يعكس في شعره هموم البشرية وآمالها وإحساسها بالحاجة إلى الحب والتآلف والتعاون وغير ذلك من الوسائل التي تقود إلى التطوير والتقدم والسلام، يحاول أن يكون شاعراً إنساناً، شاعراً للحياة بكل ما فيها، وأن يجعل الإنسان يحب الحياة، فيثيره منظر طفل صومالي جائع :

**أثارتْ نارَ أشجاني بقايا بعض إنسان**
**عظامٌ غير كاسيةٍ وطيفٌ واهنٌ فاني**
**وأسمالٌ ممزقةٌ تغطي بعض عريان**

---

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٥٦٨ .

(٢) محمد التهامي : يا إلهي ، ص ٩٦ .

**ووجهٌ ماتَ أكثــرُه وغارتْ فيه عينـــان**
**تدور تدور في لهفٍ ولا تحظـــى برحمان**
**جفاها النورُ فانطفأتْ ونـــامت نومَ يقظـــان** (١)

إن تطور الشاعر من مرحلة المباشرة ، والهتاف إلى مرحلة التجربة الصادقة الأصيلة هــو تطور من مرحلة الرؤية من الخارج إلى مرحلة الامتزاج الحار العميق بين التجربة الشخصية والقضية العامة (٢) ، ولكن القضية في الشعر ليست الخطوط السياسية التـــي يرســـمها القـــادة والمفكرون والسياسيون ، بل هي الخطوط التي يرسمها وجدان الشاعر على ضـــوء تجربتـــه الشخصية (٣) .

إن من طبيعة القدرة الإبداعية لدى الشاعر أن يتمكن بالفعل من التعامل مع هذه التجربـــة المحتدمة بقدر واضح من الموهبة والمعرفة في آن واحد ، والشعر عند التهـــامي فـــي حالـــة إدراك للواقع ، وباعتباره حياة - أي الشعر - فهو في حالة من فهم للحياة في جميع أشـــكالها ؛ لأن التناقض والعداء يعني اتخاذ موقف متنافر مما يعني حالة من عدم التوافق ؛ فتأتي التجربة مبهمة وضبابية ، يكتب التهامي حين تدفعه ذاته والمحيط حوله ، فتتـــشكل القـــصيدة بـــصدق والتزام مع الحفاظ على الأصالة ، فينبغي للشاعر أن يعود نفسه على البحث في كل عاطفـــة من عواطف قلبه ، وكل دافع من دوافع نفسه ؛ لأن قلب الشاعر مرآة الكون فيه يبـــصر كـــل عاطفة جليلة شريفة فاضلة أو قبيحة مرذولة وضيعة (٤) .

لعل انتماء التهامي لأشكال مختلفة من التعبير والبوح الإنساني هـــو الـــذي مكَّنـــه مـــن الانطلاق بخطى سريعة، في المشاهد الشعرية العربية المعاصرة ، وإثبات ذاته و ثباته علـــى الأسلوب منذ بدأ إلى اليوم برغم أصوات الحداثة التي ألغت قوالب وأوزان الـــشعر العربـــي ، فلم يستطع التهامي الخروج عن واقعه وحياته وطبيعته ورؤاه وأحلامه وتراثه الذي يعتز به ، وبذلك ظل محافظاً على شكل القصيدة العربية معبراً عن كل ما يجول بخـــاطره مـــن قـــضايا تمس الإنسان أينما كان بقدرة وبأسلوب مؤثر .

---

(١) محمد التهامي : يا إلهي ، ص ٧٩ .
(٢) ينظر : غالي شكري : شعرنا الحديث إلى أين ، ص١٩٩ .
(٣) السابق ، ص ٢١٢ .
(٤) ينظر :عبد الرحمن شكري : دراسات في الشعر العربي ، جمع وتحقيق محمد رجب البيومي ، ط١ ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ١٤١٥ هـــ -١٩٩٤ م ، ص ٢٣٥ .

**العقيدة الإسلامية :**

الشاعر محمد التهامي رجل مؤمن بالله وبرسله، ينهل من العقيدة الإسلامية الكثير، ويؤكد على ذلك بشعر فيه من الورع والتقوى ما يجعل المتلقي قريباً من معانيه ومضامينه الإيمانية ، فهو يمثل نوعاً أدبياً يعرف بشعر الضراعة والابتهال ، فللعقيدة الدينية مكانتها الخاصة في شعر التهامي ، حيث اهتم الشاعر في منهجه الأدبي بالجانب العقدي اهتمامًا كبيراً ، هيمن على جل إنتاجه في السنوات الأخيرة ، وشكل هذا الاهتمام اتجاهاً واضحاً في مسيرة الشاعر، فقد دأب الشاعر محمد التهامي على توظيف أدبه في خدمة الدين ونشر الثقافة الإسلامية المتمثلة بمبادئ الرسالة المحمدية ، والتنبيه إلى ما يحدق بالأمة من أخطار تلم بها ، وكثيراً ما اضطرته المواقف الإسلامية إلى الشفافية والمواجهة وكأنه يأخذ في حسبانه قول ابن رشيق : " إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق فيه فهو حسن ، وما لم يوافق الحق فلا خير فيه " (١) .

**يا سيَّدي طال الزمان وطوّحت ... بالمسلمين زَعازعٌ نَكَبَاءُ**
**جَهلوا حقائقَ دينهم فتَبَوَّأوا ... في الأرض حَيْثُ يُبَوَّأُ الجهلاء**
**الدَّار دارهمُ تَعُجُّ بخَيْرِها ... لكنهم في دارهمُ غُرَباءُ**
**سُلِبتْ بلادُهم وشُرِّدَ بعضُهُمْ ... والآخرونَ وَقد علِمْتَ غُثَاءُ**
**مُسْتضْعَفونُ فبعضُهم مْتَخَبِّطُ ... خَلْفَ القطيعِ وبعضهم عُمَلاءُ**
**مَدُّوا إلي الأَعداء كفَّ ضَراعةٍ ... يا حَسْرتي هلَ يعطفُ الأعداء؟**
**أعْدَاؤنُا كُثْرٌ وفَوْقَ أُكفهم ... من كلّ قَتْلى المسلمينَ دمَاءُ**
**هل هؤلاء يُضَمِّدونَ جراحَنَا ... إنْ صَحَّ ما زعموا فأيْنَ الدَّاءُ ؟(٢)**

يظل التوجه الإسلامي ملازماً التهامي في أشعاره ، فهو يستلهم التراث الإسلامي في أشعاره ويشيد فيها بصفات التُّقى والصلاح ، ويعظم الصالحين ويناديهم بأئمة الدين وحماة الإسلام ، وفي قصائده الداعية إلى الوحدة العربية لم يدع إليها على أساس أنها منهج ومذهب سياسي مستقل عن الإسلام بل كانت دعوته منطلقة من مبدأ إسلامي راسخ هو التوحيد والتكافل بين أفراد الأمة وشعوبها ؛ لتحقيق الوحدة الإسلامية :

---

(١) ابن رشيق القيرواني : العمدة ، ج/١ ص٢٧ .

(٢) محمد التهامي : أنا مسلم ، ص ٥٩ .

**تَعالَيْ أيُّها الذكْرَى.. وطــُوفي مرةً أخــْرى**
**أعيدي في مسامِعِنا.. حديثًا يسكُبُ السِّحْرا**
**ويسري في عذوبتِه.. نداءً يســلُبُ الفِكْرا**
**ويَنْدَى من بشاشتِه.. وينشرُ حولنا العِطرا**
**وقولي كيف هَلَّ النورُ تحملُ كفُّه الفــجْرا**
**وكيف أفاقت الدُّنيا.. وهزَّت قلبَها البُشْرى**
**وكيف ارتدَّ وجهُ الأرضِ ينضحُ كــلُّه بِشْرا**
**وكيف اهتزّ هذا الكونُ لمــَّا أدرَك الأمــْرا**
**بأن اللهَ قد ألْقــَى إلى أكوانِنا .... ســِرّا**
**يَشُقُّ مجاهلَ الدنيا.. ويلمعُ في الدُّجَى بَدْرا** (١)

تدل أشعاره على قدرة الشاعر على إيصال المضمون إلى القارئ بسهولة وبراعة، وهــذا لصدق المشاعر التي تحث على الإيمان بالله عز وجل والــسير علــى صــراطه المــستقيم، والتمسك بشرائع الإسلام ،إنه يريد من الأمة الإسلاميّة التي تعاني نكوصاً في جميع مجــالات الحياة وتفتقد لتكامل طاقاتها وإمكاناتها أن تنهض؛ لذا تحتاج إلى وقفة جادة وشــاملة لإعــادة إخراجها ، واسترداد دورها في المشهد الحضاري، فيجاهد بجماليات القول لبنــاء قــيم الحــق والخير والجمال في حياة دائبة الحركة ، كثيرة التغيّر في المشاعر والأفكار والقيم ، ولهذا كان لابد له أن يتجدّد مع الحياة، فكانت دعوته إلى التوحيد وإدراك كنه الحياة والكون بفهم شــعائر الإسلام فهماً صحيحاً ، فأشعاره تعبير جميل عن الكون والحياة والإنسان من خــلال تــصور الإسلام للكون والحياة والإنسان، وهذا التصور يهيئ اللقاء الكامل بين الجمال والحق (٢) .

حين يذكر التهامي الهادي عليه الصلاة والسلام وأصحابه في أشعاره ، تجــد شــعره ينساب برقة وصدق ، وهو في ذلك لا يلتزم مذاهب واتجاهات غيره من الشعراء ، ولم يعمــد إلى التكلف في شعره ، ولكن يرسله كما أوحت به القريحة وحدثت به الــنفس التــي تــصدق أقوالها أفعالها ، والأديب المسلم ذو صفات في أدبه ، ومنهج في ســلوكه ، يتحــرى الــصدق ويلتزم بالتصور الإسلامي ، فالإيمان فكر ، والانتصار للحق سلوك ومنهج إيجابي ، وكل ذلك ترجمات عملية لما وقر في القلب (٣) ، ذلك ما نراه في مثل قوله :

---

(١) محمد التهامي : يا إلهي ، ص ٩ .
(٢) ينظر : محمد قطب: منهج الفن الإسلامي، ص٦ .
(٣) ينظر: مصطفى عليان : مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي ، دار المنامة ، السعودية ، ١٤٠٥ هــ ، ١٩٨٥ م ، ص ١٢ ، ١٣ .

**يا أيها الهادي حملتَ رسالـــةً فيهـــا لأدواءِ الأنـــام دواءُ**
**حطمتَ أوهامَ الـــعبيدِ فكلُهـــم والمالكون رقابـــُهم أكفـــاءُ**
**ما ضرَّهم أن قد تفـــرَّق لونُهم فجميعُهم فيما شرعت سواءُ**
**لا القوة الرعناء تحكـــم بينهـــم أبـــداً ولا تتحـــكمُ الأهـــواءُ**
**فالنـــاسُ كلُ النـــاسِ فردٌ واحدٌ لا فـــرقَ إلا تلكُـــم الأسمـــاءُ** (١)

**الحب الإلهي :**

إن دعوة التهامي إلى التجرد من الماديات، ومجاهدة النفس لترك الأهواء الدنيوية ؛ ليرتقي إلى معارج السمو والرفعة ، إنما تعني الدخول في تجربة الحب الإلهي والاقتراب من شـــعراء الزهد والتصوف، والكشف عن حاجته الملحة إلى خالقه ورغبته الدائمة في الاقتـــراب منـــه، حيث تبرز في أشعاره بعض الظواهر الروحية والجسدية كالبكاء وطول السهر وتحمل المشاق ومجاهدة النفس بالبعد عن الأهواء والماديات، من ذلك ما نراه في قوله :

**القلبُ في دنيا الغـــرامِ أســـيرُ والعـــقلُ في شططِ الحياةِ يطيـــرُ**
**حتى إذا بلغا اليقينَ تعـــانقـــا وهفتْ إليه مـــداركٌ وشـــعـــورُ**
**وتعلمـــا أن اليقيـــنَ حقيـــقةً فيها العقولُ مع القـــلوبِ تسيـــرُ**
**مهما استبدَّ العقلُ في وثبـــاتِه فإلـــى المهـــيمنِ ينتـــهي التفكيرُ**
**وإذا استهامَ القلبُ في صبواته قرَّت إلـــى حـــبِ الإلـــهِ صـــدورُ**
**ومن الحياةِ مســـالكٌ ومـــهالكٌ وعـــلى الطـــريق تعثـــرٌ وعبـــورُ** (٢)

إن حقيقة التجربة الصوفية هي أن يتوجه الصوفي بكل جوارحه توجهاً خالص النية إلـــى ربه تعالى ، يناجيه في خلواته ، ويبتهل ويتضرع تضرعاً مليئاً بالخشية والذلـــة والانكـــسار، فيطلب مغفرته ويرجو ثوابه الجزيل ، والصوفي في موقفه بين يدي خالقه، يناديـــه بأســـمائه الحسنى وبعبارات الجلالة والتعظيم والهيبة، ويكرر نداءه حتى يشعر بقربه ودنوه من الحضرة الإلهية، وهو في ندائه تفيض عيناه بالدمع ويعتلي قلبه خوفًا وجزعًا لجلال الموقـــف ، وفـــي التجربة الصوفية بحث عن الحقيقة و عما وراء المحـــسوس وهـــذا مـــن أخـــص خـــصائص التصوف (٣) .

---

(١) محمد التهامي : يا إلهي ، ص ٣٩ .

(٢) محمد التهامي : أنا مسلم ، ص ٧٧ .

(٣) ينظر : صابر عبد الدايم : الأدب الصوفي ، اتجاهاته وخصائصه ، ط٢ ، دار المعارف بمصر ، ١٤٠٤ هـــ - ١٩٨٤م ، ص٤ .

ليس التهامي شاعراً من شعراء الصوفية والزهد ، إنما هو شاعرٌ عقيدته الإيمانية راسخة وتمسكه بشعائر دينه الحنيف ملموس ، مؤمن موحد ، فهو يقترب من حالة الحب الإلهي أكثر من حالات التصوف المعروفة كما عند ابن الفارض وابن عربي وغيرهما ، وبذلك يبتعد عما قد يقع فيه الصوفي في بعده الفكري من إشكالات ، وقد كانت هذه الروح الإيمانية واضحةً في ديوانيه "أنا مسلم" "ويا إلهي" ، وشواهد ذلك عديدة منها :

**يا ربِّ هبْ لي منْ لدنْك سلامَا ... أحيا به وأغالبُ الأياما**
**لولا ضياؤُك لاستبدَّ بخاطري ... ليلٌ تعدَّدَ.. حيرةً ..وظلاما**
**أدعوكَ والقلبُ الموزعُ مشفقٌ ... ورضاك أسمى ما ابتغيتُ مراما**
**بجميعِ ما في طاقةِ الإنسانِ أسعى ... للرضا .. وأعلِّلُ الأحلاما**
**أسعى – ونورُك مبتغاي- ولا أرى ... إلا ضياءَك مرشداً وإماما**
**يا ربِّ ..أنت ملأتَ كلَّ جوانحي ... وملكتَ مني الفكرَ والإلهاما (١)**

تتوهج لغة الصورة الشعرية عند التهامي وهو يتحدث عن سيرة الرسول الأعظم – صلى الله عليه وسلم - ودورها في بناء حضارة إنسانية عامرة بالهدى والإيمان ، وحب الإنسان و هدايته للخير ، فهو صاحب صورة إيمانية تعبدية ، تتمثل في مناجاته وتسابيحه :

**وانْبرى المختارُ في دعوتِه ... يوقظُ الخيرَ ويهدي الحائرين**
**ويعاني من قلوبٍ فوقَها ... نامتْ الأقفالُ من ماضي القرون (٢)**

هناك حاجة للنفس البشرية إلى التعبير عن ميولها العاطفية والنفسية دون الانطواء داخل الذات وتناسي قضايا الأمة والمجتمع، فتمتزج عاطفة الشاعر امتزاجاً واضحاً بالفكرة ؛ فتكون العلاقة بين شعر الشاعر وحياته ومجتمعه متناغمة غير متنافرة ، ومن هنا تكون وظيفة الشعر أن يخلق عوالم مغايرة للواقع بوصفه حالة إبداعية تعكس الصورة المرجوة للمجتمع ، فشعر التهامي ينزع إلى تجسيد العاطفة وإذكاء المشاعر ، فلا يقحم تجربته في شعاب الفكر ، بحيث تخبو العاطفة ، ويعلو صوت الذهن ، وإيقاع الفكر ، وشاعريته لم تبتعد كثيراً عن آفاق التجربة التأملية الإيمانية ، ولكن التأمل في شعره ممتزج بالعواطف الحارة والمشاعر الإنسانية الدافئة، فلا يلقيه التأمل بعيداً عن ظلال الرؤية الإسلامية الصحيحة ، يقول التهامي في قصيدة " عزم الأنبياء ":

---

(١) محمد التهامي : أنا مسلم ، ص ٩٤ .
(٢) السابق ، ص٥٢ .

**سُنةُ الدنيا وقــد علَّمَنَــا سرَّها المكنونَ خيرُ المرسلين**
**جاءَ بالأنوارِ يسعى وحده وجميع الكون مطوي الجفون**
**يقرع الصخرَ فتدمى كفه وعصىٌّ الصخر صلبٌ لا يلين**
**إنما العــزم فــي إيمانه كان أقوى من عُتــاة الكافرين** (١)

الشاعر على صلة بالحقائق النفسية والكونية التي تلهمه في تجربته ، ولكل تجربة شــعرية عناصر مختلفة من فكرية وخيالية وعاطفية ، والتجربة الشعرية إفضاء بالحقيقة كما هي فــي خواطر الشاعر وتفكيره في إخلاص يشبه إخلاص الصوفي لعقيدته ، ويتطلب هذا تركيزاً قواه في تجربته ، فليس ضرورياً أن يكون الشاعر عانى التجربة بنفسه بل يكفــي أن يكــون قــد لاحظها ، وعرف بفكره عناصرها وآمن بها (٢) .

لم يمتطِ التهامي صهوات القضايا المستهلكة، ولم يصدِّع شعره وقوله بالشعارات الدعائية الصارخة بل جاء بنظرة عميقة من معين رؤيته وتجربتها الخاصَّة، نظــرة غايتهــا ومــدارها الكوني: الإنسان العربي خاصة والإنسان في أي بقعة من العالم ، ومؤداها الوحــدة العربيــة الجامعة والتمسك بالعقيدة الإسلامية .

## توظيف التراث وسعة الثقافة :

حافظ التهامي على انتمائه لهذه الأمة ، فشكل ذلك في أشعاره باعثاً قوياً ينهل من معينه وبالتالي فإن استدعاء هذا التراث يشكل ويسجل لحظة وعي جديدة ، ولكن الوعي بالتراث لا يصبح ذا فعالية ، إلا إذا ارتبط بوعي مماثل للواقع ، فحالة الوعي بالتراث والواقع معاً وبنفس المقدار هي الحالة الوحيدة التي تتولد فيها علاقة تبادلية عميقة ومميــزة، حيــث إن التــراث العربي لما يحويه من فكر إنساني وقيم فنية خالدة ، ومبادئ إنــسانية حيــة ، يعــد بالنــسبة لشعرائنا معيناً لا ينضب ، ومورداً ثقافياً لا يضعف ، فالتراث كما يقول نــزار قبــاني : هــو الرحم الذي تربينا في داخله جميعاً وتشكلت فيه ملامحنا الثقافية الأولى ، والذين يقولون إن لا تراث لهم ، كالذين لا يقولون لا أم لهم (٣) ، يقول الشاعر معبراً عن ذلك :

**قلْ للذي يبــغي الحيــاةَ كريمــةً إن الحــياةَ أصــولُها في دارنــا**
**مهما ترامتْ في الوجودِ حياتــُنا فمدارُها المحتــومُ حولَ مــدارنا**
**ولنا سماتٌ لا تضيعُ .. يصــونُها إصرارُها الموصولُ في إصرارنا**

---

(١) محمد التهامي : يا إلهي ، ص ٢٧.
(٢) محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، ص٣٨٤ – ٣٨٥ .
(٣) ينظر نزار قباني : ما هو الشعر ، ص ١٦٦.

**فهو التــراثُ لنا وكلُّ صــفاتِنــا والاسمُ والعنــوانُ فوقَ شــعارنا**
**لا تــتركــوه فتــختفي أنــوارُه إنَّا نعيــشُ على سنــا أنــوارنا**
**أجــيالــُنا تركــته وهــو أمــانةٌ ولــه يعودُ الفضلُ في استمرارنا** (١)

لم يكن التهامي مسجلاً للأحداث أو مصلحاً اجتماعياً كما أنه لا يستعين علــى الموضــوع الشعري بوجاهته ونبله، بل بجهد الصياغة المتقنة، وما تتركه اللغة الثرية الشائكة مــن تــأثير في وجدان المتلقي من الشعراء ، إن الكثير من شعره يستند إلى دفء داخلي واعتمــاد علــى المكنون الفكري والحسي والتراث العربي بما فيه من مرويات وأحداث و حكمة، و نــصوص دينية، لقد كان الالتفات إلى التراث خطوة وباعثاً لإثراء التجربة الشعرية ، ولإيجاد الصلة بين القصيدة المعاصرة وما يضمره الماضي من عراقة وحضارة ، واتسعت الرؤية لتشمل التــراث بمضموناته الحضارية والثقافية (٢) ، يصور التهامي مأساة الحاضر المتمثلة في أطماع الدول الاستعمارية في العراق ، فيستلهم التراث التاريخي المتمثل بغزو التتار لبغداد ، ومــا أحــدثوه من خراب ودمار ؛ وبذلك يبعث مأساة الماضي ليصور عمق مأساة الحاضــر ، يقــول فــي قصيدة " بغداد " :

**بغداد ، قد عاد التتار وشيخــهم يــأتــي لباطلها الهزيل بحجــة**
**يا حجة الإسلام !! تلك ضلالــة ومحال أن يبقي ضــلال الدعوة**
**فالحــق لايبقي ضلالاً دائــــماً مــهما احتمي بعمــامة أو جبــة** (٣)

إن فهم قدرة الشعراء العرب على التعبير من خلال التراث يهيئ المناخ الشعري العربــي للتواصل مع روح الأمة ، ويهيئ البناء الشعري والتجربة الشعرية لاستيعاب القديم واســتلهامه ضمن نسيج القصيدة الحديثة التي تصور زخم صراع الإنسان العربــي مــن أجــل الحريــة والكرامة والوحدة بعد أن تجاوزوا مرحلة نظم أحداثه، ومدح شخوصــه ، إن وعــي المبــدع بالماضي وفهمه للحاضر ، واستشرافه للمستقبل يفرض عليه اللجوء إلى الرمز واستحــضاره واستلهامه والتعبير من خلاله (٤) .

---

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ،ص ٦٤٥ .
(٢) ينظر : خليل أبو جهجه : الحداثة الشعرية بين الإبداع والتنظير والنقد ، ص٢٦٩ .
(٣) محمد التهامي : ديوان يا إلهي ، ص ٣١٩ .
(٤) ينظر : خالد الكركي : الرموز التراثية العربية في الشعر العربي الحديث ، دار الجيل ، بيروت ، مكتبة الرائد العلمية ، عمان ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م ، ص ١٤٦ - ١٤٧.

إن مخزون الذاكرة يعمل في تشكيل السياق الشعري المعاصر ، وبذلك أصبح الشعر العربي المعاصر يعتمد كثيراً على هذه الرموز واستلهامها ، مؤكداً إنسانية الأدب باستغلال الشاعر كل بادرة في التراث الإنساني لها طبيعة الرمز والأسطورة غير مفرّق بين التراث العربي وغير العربي ، وبذلك قد أضاف مادة ثقافية إنسانية جديدة إلى الشعر العربي ، وغير ذلك الكثير من التعابير والصور التي تدل عن قرب الشاعر محمد التهامي من التاريخ العربي والعالمي وشغفه بمآثر الشعوب والمواقف البطولية التي يعتز بها ويؤمن ، فاستلهام التراث والتفاعل معه وربطه بهموم الشاعر وعصره يحقق الأصالة والمعاصرة في الإنتاج الشعري .

لم ينهض العرب في عصورهم الزاهرة إلا بعزة الإسلام وتعاليم القرآن الكريم ، هتف التهامي برابطة الإسلام وارتباطها الوثيق بالعروبة ، وهو في هتافه يجعل القرآن والدين الإسلامي أساساً لوحدة الأمة ،فهو هتاف العربي المسلم الذي يلوذ بدينه وقت العواصف والأعاصير، يقول التهامي :

**واستقبلت " يثربَ " الهادي على لهفٍ ... واسبشرتْ واستضاءتْ عند لقياه**
**واطَّهرت من دنايا الرجسِ وارتفعتْ ... فوقَ الضلالِ ، وفرَّت من رزاياه**
**حتى إذا جاء نصرُ اللهِ وازدهرت ... بالفتحِ " مكةُ " وازدانتْ لتلقاه**
**وطافَ بالبيتِ فاهتزت قواعدُه ... وبادرَ الركنَ للمختارِ حيَّاه** (١)

لم يكن شعره استغراقاً في الماضي ، بل يولد لنا لحظة وعي بالتراث متصلة غير منقطعة في صيرورة ما بين الحاضر والماضي ، فالهدف من استلهام التراث هو التفاعل مع هذا التراث وربطه بهموم الشاعر وعصره حيث تتحقق الأصالة والمعاصرة في الإنتاج الأدبي ، يعيد ذكرى مؤذن الرسول – صلى الله عليه وسلم – حين يؤذن للصلاة ؛ ليخفف بها عن المسلمين فيستلهم هذا الرمز الإيماني معبراً عن المكابدة الذي يكابدها المسلم ، فيقول :

**فتعالَ أذنْ يا بلالُ .. تعال .. لا ترددِ**
**واغسلْ جهالتَنا وما صرنا إليه .. وجددِ**
**وامسحْ هراءَ المدعين ونخبةَ الزمنِ الردي**
**علِّمهم أن الحضارةَ لا تدوم لمعتدي**
**علمهم أن التعصبَ حيلةَ المستأسدِ**
**هو عارُ دنيانا وقيدُ الزاحفين إلى الغدِ** (٢)

---

(١) محمد التهامي : أنا مسلم ، ص ٧٣ .

(٢) محمد التهامي : يا إلهي ، ص ٣٥ .

**الأغراض الشعرية :**

لقد تضمنت أعماله الشعرية مواضيع مختلفة من حيث المضمون أو المعـــاني ، ولـــم يتـــرك الشاعر باباً معروفاً من أبواب الشعر إلا وطرقه كالفخر والرثاء والمدح والوصف ، ومن ذلك قوله في الفخر :

**ولقد رأيـــت هُناكَ شعباً زاحفاً ما النحل ، ما الأمواج ، ما البركانُ**
**قد مزقوا الجبـــل العتيَّ وكلهم يتســـــابقـــون كـــأنـــهم غيـــلانُ**
**والراسيات أمامهم مـــذعورة وكـــأنهـــا قـــد مـــسَّـــها شيـــطانُ**
**إن كان قد لانَ العصيُّ لأجلهم فـــلأنهـــم فـــي حـــربِه ما لانـــوا**
**هذى طبيعتُنا وديـــدنُ أهلنـــا مـــن يومِ أن كـــان الوجودُ وكانوا** (١)

وقوله في الرثاء:

**أيهـــا الشـــاعرُ مـــاذا روَّعـــك فاحترفتَ الصمتَ كيلا نسمعك**
**وارتضيتْ البـــعدَ عن أنظـــارنِا فحملتَ الصبرَ والسلوى معك**
**فقدْ تركتَ الروضَ قفرًا موحشاً فتَمَنـــى كـــلُنـــا أن يتبـــعَـــك**
**هـــذه أرواحـــُنا نفـــدي بـــهـــا إن يكنْ في طوقِها أن تُرجعـــك** (٢)

لم يعدد التهامي أغراض قصيدته وإنما قصرها على غرض واحد ، فـــإن مـــدح جعلهـــا للمدح وإن رثى جعلها قصيدة للرثاء ، وإن وصف جعلها محض وصف وإن كانـــت وطنيـــة جعلها تدور حول الأمة ومتطلباتها ، هذا في الغالب الأعم من قـــصائده ممـــا جعـــل الوحـــدة المعنوية ذات الصبغة الذهنية تسيطر على وحدة القصيدة ، وشواهد ذلك أكثر من الإحاطة بها في شعره ، من ذلك قوله في رثاء كامل الكيلاني :

**ملأ الدنـــيا كفـــاحـــا ثـــم أغفى واستـــراحـــا**
**لم يثرْ فيها ضجيـــجا لا ، ولـــم يكثرْ صياحـــا**
**كم بنى للمجدِ في صمـــ تٍ وكـــم علـــمٍ أتـــاحـــا**
**ليسَ يعنيه إذا ما النا سُ أولـــوه امـــتداحـــــا**

---

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ١١٠ .

(٢) محمد التهامي : يا إلهي ، ص ١٢٢ .

**أو إذا ما ا لحاسدُ المو تــورُ عنـــه قــد أشاحا**
**هو في دنياهُ فوقَ الـــ كــلِ قــد مــدَّ الجنــاحا**
**ومضـــى يعبرُ للمـــجـــ دِ ســمـــاوات فســاحــا (١)**

إن تضمين التراث الأدبي في أشعاره يدلل على تأثره بأشعار الكثير من شعراء العربية في عصور الأدب المختلفة ، مستلهماً التراث وشخصياته الأدبية ، فهذا عنترة المدافع عن قومه ببسالة وشجاعة ، يتذكر محبوبته في ساحة الوغى فيود تقبيل السيوف حين تلمع في المعركة ؛ لأنها تذكره بثغر محبوبته (٢)، يبعثه شاعرنا محمد التهامي في قوله:

**كانت هوايتُه وشغــلُ حيــاتِه لو مـــاتَ في غير الوغى يتحسرُ**
**وَيَعدُّ من أثرِ الجراحِ بجسمِه وشماً تــدلُ بـــه الرجـــالُ وتفخرُ**
**وتتم فرحتُه ويعــذبُ لحنـــُه في المهرجـــانِ إذا تلاقى العسكرُ**
**ويود تقبيلَ السيوفِ كأنـــها ثغــرَ الحبيـــبةِ في الظـــلام يُنوّرُ**
**سيان في فمه رضابُ حبيبه ودمُ العــدا مـــن سيّفـــه يتقــطرُ (٣)**

فالشاعر في الأبيات السابقة يعيد لنا ذكرى الشاعر الفارس عنترة ؛ ليلمح للمجاهد الـــذي يرى في مجابهة الأعداء هوايته وشغل حياته لينصر الحق ويرد الظلم ، فمهما حدث لـــه فـــي المعارك من جراح فهي علامة تشير للرجال الأبطال ومناسبة للفخر ، وتتشابه الـــصورة فـــي أبيات عنترة وأبيات التهامي فيود الشاعر تقبيل السيوف ؛ لأنها تُشبه ثغر الحبيبة الذي يحـــوّل الظلمة نوراً ، وبذلك يماهي بين الابتهاج بتقبيل ثغر الحبيبة وتقبيل الـــسيوف ؛ ليثبـــت عـــدم الخشية من مواجهة الأعداء ، ويبعث معاني النصر التي تشيعها أجواء قصيدة عنترة ، وبـــذلك وظف الشاعر التراث بشكل إلماحي وفنية رائعة .

---

(٣) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٦٩٨ .

(١) لما رأيتُ القومَ أقبلَ جمعهـــم يتذامرون كررتُ غيـــر مذمـــمِ
يدعون عنترَ والرماحُ كأنهـــا أشطـــانُ بئـــرٍ في لبـــانِ الأدهمِ
ولقد ذكرتُك والرماحُ نواهـــلٌ مني وبيضُ الهندِ تقطرُ من دمي
فوددتُ تقبيلَ السيوفِ لأنهـــا لمـــعتْ كبـــارق ثغركِ المـــتبسمِ

ينظر : فوزي عطوي : شرح المعلقات العشر ، الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت ١٩٦١ م ، ص ١٥٠ .

(٢) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٢٧٢ .

يُعد التهامي كغيره من الشعراء الذين تعاصر معهم، أو نهج نهجهم الشعري ، امتداداً للشعراء الإحيائيين ومن جاء بعدهم من شعراء عصر النهضة الذين تمثلوا التراث الشعري تمثلاً فنياً مخلصاً، صياغة وأسلوباً وصورة ، وإن كانوا يختلفون في قدراتهم الشعرية وفي قراءاتهم للشعر العربي القديم، حيث تباينت في ضوء تلك القراءة صورهم الشعرية، فكان البعض يأخذ الصورة كما هي لا يحرف ولا يبدل، فتبدو كأنها ليست من صنعه، نافرة في السياق ، وكان البعض يعدل فيها حيث يضفي عليها من شاعريته ما يجعلها تتناسب في داخل السياق، وأما البعض الآخر فقد استطاع أن يتمثل تمثلاً كافياً، فيبدو السياق متناسباً وتظهر الصور متوائمة داخل القصيدة ، ومن هنا يستطيع القارئ أن يتحسس الروح الشعرية الاتباعية في شعر هؤلاء الشعراء، الذين نبذوا وحدة البيت التقليدي وجنحوا إلى وحدة القصيدة حسب فهمهم وتصورهم الفني لها، وامتازوا بجزالة اللفظ وقوة الصياغة وبراعة التعبير وإبداع النسج وإحكام القوافي وطرافة المعاني مع توافر الغنائية والمقاصد والاتجاهات، ومع المحافظة على قواعد الشعر العربي الأصيل ، لقد استمد التهامي مواقفه التي استقى منها تجاربه الشعرية من جميع المذاهب الفنية والفلسفات، فهو أحياناً شاعر كلاسيكي لا يختلف في قليل أو كثير عن تلاميذ المدرسة الاتباعية التي أنجبت أمير الشعراء وحافظ إبراهيم والرصافي والزهاوي والجواهري والنجفي وغيرهم من عمالقة الكلاسيكيين في الشعر العربي المعاصر، يقول حافظ إبراهيم وقد كان يشعر بالغربة وهو على ضفاف نهر النيل :

**أيها النيل كيف نمسي عطاشاً  في بلاد رويت فيها الأناما**
**يرد الواغلُ الغريب فيروي  وبنوكَ الكرامُ تشكو الأواما** (١)

وأحياناً أخرى نجده شاعراً رومانسياً ينسج على المنوال الذي نسج عليه الشابي وأبو ريشة و البارودي وجبران خليل جبران والأخطل الصغير وإبراهيم طوقان ونزار قباني ، ففي قصيدة بعنوان (الأمس) يذكر جبران عهده الذي مضى بما فيه من حب ومرح وسرور :

**كم سهرت الليلَ والشوق معي  ساهراً أرقبه كي لا أنام**
**وخيالُ الوجدِ يحمي مضجعي  قائلاً: لا تدنُ ! فالنوم حرام**
**وسقامي هامسٌ في مسمعي  من يريد الوصلَ لا يشكو السقام** (٢)

وحين نتأمل أبيات التهامي التالية في قالبها الكلاسيكي الاتباعي ، تذكرنا بهذه الروح و بكل من ذكروا آنفاً ، حيث يقول :

**خلوا الضلوعَ بحضنِ الأهلِ تقتربُ  تشفي قلوباً من الأشواق تلتهبُ**

---

(١) أنور الجندي : من أعلام الفكر والأدب ،الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٤م ، ص ١٨ .
(٢) نادرة جميل سراج ، شعراء الرابطة القلمية ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٤ ،ص ١٩٣ .

**فيها حنانٌ رحــيمُ الدفءِ محتشــدُ يذوبُ في لفحةِ اللقيا وينسكــبُ**
**فكم تأبَّــت عــلى الأنــواء تجذبُها وإن تهــادى نسيمُ الأهل تنجذبُ**
**تطوي الشراعَ وترسو في ملامسةٍ ينسى الحيارى لديها أنَّهم تعبوا**
**ويجــمعُ الحــبُّ أشتاتاً مبــعثرةً إذا تلاقتْ توارتْ خلفها الشهــبُ (١)**

لم تركز أشعار التهامي على الجوانب المشرقة من الحياة ،بل ركزت فــي أغلبهــا علــى الجانب المحزن ممتزجاً بالأمل والبشرى التي يرى أنها ســتتحقق – إن شــاء الله - فالحيــاة ليست لوناً واحداً مستقلاً ، بل تتمازج الألوان فالشاعر يرى الجانب الناصع والقاتم ممتــزجين معاً ، إن هذه النزعة الحزينة في شعرنا المعاصر بدت واضحة جلية حيث حاول الكثيــر مــن الشعراء إيجاد الصلة بين الذات والوجود ، والحق أن نزعة الحزن في شعرنا المعاصــر قــد أضافت إلى التجربة الشعرية آفاقاً جديدة زادتها ثراء وخصباً ، وولدت طاقات تعبيريــة لهــا أصالتها وقيمتها(٢) ، من ذلك قول التهامي معبراً عما يكابده :

**إن فــي جنبــي آلامــاً لــهــا في حنايا الصدرِ وخزات الإبر**
**والذي يمشي على الشوكِ يرى في جمالِ الزهرِ جمراً يستعــر**
**إن لي قلــباً وعــى كــلَ الذي لم توزعْه من تصاريفِ القــدر**
**ومن النــاسِ جمــعٌ لا تــرى من معاني الكونِ إلا ما ظــهر (٣)**

التهامي من الشعراء الذين تفرض التجارب الشعرية نفسها عليهم وتخــضعهم لجبروتهــا وسيطرتها؛ لذلك نجد التجربة الشعرية عنده هي التي تختار لنفسها الثوب المناسب الذي تظهر به على الناس، لا يجبر محمد التهامي إلى تجربة من تجاربه الشعرية على ارتــداء ثــوب لا يُناسبها أو يستهويها ، وهذا هو شأن الشعراء المطبوعين الذين يحترمون فنهم ومواهبهم .

إن التهامي داعية رسالته صدق الانتماء ورؤياه الوطن الكبير الموحــد ، فهــو الــصوت الصارخ للجماعة وهو الضمير المستيقظ أبداً ، الذي يضيء عتمة الواقع، يطل عبــر رؤيــة مأساوية تنهض على أنقاض التاريخ والواقع ، فكلما اقترب من واقعه لامس بعده المأســاوي ، وأخذته الخيبة أكثر فأكثر فيجد خلاصه في الشعر، في الهروب عبــر الــشعر مــن الهــزائم المتراكمة ليصبح الشعر معادلاً للواقع والتاريخ ، ومن خلال قراءته المتنبئة للواقع وفي ضوء تاريخ وحضارة الأمة يستشرف المستقبل ، فالكثير من قصائده قيلت في سنوات خلت ، ولكــن

---

(٣) محمد التهامي : يا إلهي ، ص ١١٤ .
(١) عز الدين إسماعيل :الشعر العربي المعاصر ، ص٢٧٢ .
(٢) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص٦٦٢ – ٦٦٣ .

حين نقرأها اليوم نجد أنها تناسب ما يحدث الآن وما نعاصره من أحداث ، وكأن الشاعر بشفافيته وإحساسه وإدراكه كنه الواقع الذي نحياه يستقرئ من المعطيات ما سوف يكون ، فيقول :

**بغدادُ مهما تلاقي أنت بغدادُ ... لا بد يوماً لك الأيامُ تنقادُ**
**كمْ عشتِ في قمةِ التاريخِ سيدةً ... يعنو لجاهِك أحرارٌ وأسيادُ**
**أغرمتْ بالمجدِ حيناً وانفردتْ به ... لم يبقَ حولك للباقين أمجادُ**
**حتى إذا جاءَ عهدُ القيدِ ما انخفضتْ ... فيك الجباهُ ولم يهزمْك أوغادُ**
**فالتبرُ في القبوِ تبرٌ عزَّ معدنُه ... والأُسدُ في ظلمةِ الأقفاصِ آسادُ**
**لم يثنِ عزمَك أعداءٌ جبابرةٌ ... ولم يردَّ خطى الأحرارِ جلادُ**
**وعشتِ فوقَ حياضِ الموتِ مزهرةً ... كأنما الموتُ في دنياك ميلادُ**
**وكم سخرتِ من الطاغين في يدهم ... حولَ المشانق أحبالٌ وأعوادُ**
**وجاء نصرُك لما ثار في شممٍ ... من شعبِك الحر أجنادٌ وقوادُ**
**نفسي فداؤهم من كلِّ مدّخرٍ ... حرٍ على قسوةِ الأهوالِ معتادُ**
**لم يثنِهم عن لقاءِ الموتِ أنَّهم ... حلمٌ ترجيه زوجاتٌ وأولادُ**
**فكوا القيودَ فهبَّ الشعبُ منتفضاً ... له من البحرِ إرغاء وإزبادُ**
**ففي البلادِ جميعاً ثورةٌ وثبتْ ... وللملايين إبراقٌ وإرعادُ** (١)

لم يغفل محمد التهامي مكانة التاريخ في التعبير الشعري ومدى تأثيره في حياة الناس ، حيث استخدم هذا العامل المحفز للإشادة بأمجاد السلف ، وتذكار تراثهم العريق الحافل بالمفاخر والبطولات ؛ ليستنهض همم أبناء جلدته ، ويثير في نفوسهم الحماس والحمية من أجل الدفاع عن مبادئ الدين القويم ، والحفاظ على سيادة الوطن واستقلاله ، إنها الرؤية التي تؤلم ولا تبهج، تصطدم بالواقع وتواجهه ،وحين تعجز عن تغييره تمعن في تعريته وفضحه أملاً في تبديله يوماً ما، فالشعر الذي يضج بالرموز التاريخية والحضارية يحاول أن يجسد مالا يتجسد في الواقع الملموس ، وأن يحقق الرؤية التي تخالج أعماق الشعر ، فيستنهض الهمم باسترجاع ذكرى الأبطال الذين حققوا أمال الأمة بالنصر المظفر ، فهذا صلاح الدين يعود ليسترجع الحق من جديد ، والشاعر أراد بعودة صلاح الدين عودة الأمل بأن يرزق الله الأمة قائداً ربانياً كصلاح الدين الأيوبي ، يخلصها من ظلم اليهود كما خلص بيت المقدس من ظلم الصليبيين ، فيقول :

---

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٢٥٢- ٢٥٥ .

**إنَّا نريــدُ الحــقَّ لا نرضى بــه  منّــاً ، ولا نشكــو ولا نتظلم**
**هذا صلاحُ الديــنِ تحتَ ترابــه  أسدٌ على أرضِ المعاركِ يجثم**
**وعلى نداءِ الحربِ هزَّ مهــادَه  فــإذا به في صمتِه يتكــلــم**
**ومضى يكبِّر في صفوفِ جنودِنا  ويضــمُ هاماتِ الرجالِ ويلثم** (١)

التهامي شاعر الأمة أو الشاعر الذي يتحدث عن هموم أمته، ولكن بلغته الشعرية الخاصة وبالصورة والكلام الموجز الذي يستطيع أن يقول فيه كثيراً من الأمور التــي لا تقــال بغيــر الشعر، إنه مسكون بهواجس الإنسان، متفاعل معه ، مغروس -عن وعي- في واقع الحيــاة اليومية لمجتمعه، ولكن روحه المسكونة بالتمرد والثورة لا تغلق باب التفاؤل ، وهذا الوجه من التمرد مرتبط بالتجربة الحياتية للإنسان ومعاناته، فالتجربة وحدها هي الكفيلة بخلــق الــوعي اللازم لإدراك الواقع والبديل معاً ، ولا يمكن تصور هذا الوجه من التمرد خارج التجربــة أو بمعزل عنها (٢) ، فبقي محافظاً على الأمل بطلوع فجر جديد وانتهاء الظلم والشر، ولا سبيل لتحقيق ذلك إلا الاستمرار بالعمل في كل الدروب وكل المواقع ، فيقول :

**أيها السائــرُ لا تلــق العصــا  كلُ ما تلقاه من صعبٍ يهــون**
**ودُجــى الشرِّ وإن طالَ المدى  منتهاهُ طلعة الفــجرِ المبيــن**
**كــلُ شرٍ لــجَّ فــي طُغيانــه  في ظلالِ الخــيرِ يوماً يستكين** (٣)

أشعار التهامي حوار مع ذاته ومع واقعه التاريخي بكل ما يحمــل مــن دلالات عقائديــة وأخلاقية واجتماعية وإنسانية، فالقصيدة بصورها وهيكلها الفني وليدة التفاعــل بــين الــذات والواقع ، وهذا ما يفسر وجود المضمون أو الغرض في القصيدة عند الــشاعر مــن جهــة ، ويشير من جهة أخرى إلى التزام الشاعر بخط واضح في محاكاته وتقليــده لقــصائد وصــور الشعر الكلاسيكي الذي سبقه وبخط مغاير يستجيب فيه لنداء الذات، وبهذا تفهم قصيدته ببنائهــا الفني ونكهتها الشعرية المتمثلة بأغراضها الوجدانية والذاتية والأخلاقية والوطنيــة والقوميــة والإنسانية، وبأسلوب التهامي الخاص.

للشعر عند التهامي رسالة ؛ فالجمال والوظيفة لا يتنافران ، لكنّ عبقريّة الشاعر تكمن في قدرته على إضفاء مسحة من الجمال الأدبي على موضوعه ، والارتقاء به إلــى الأدب فــي خصوصيته ، والشعر هو أرقى فنون القول ، وأعلى مراتب الكلام ،لكنه ليس أيّ كــلام وأيّ

---

(٢) محمد التهامي : أنا مسلم ص٨ .
(١) عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر ، ص٤١١ .
(٢) محمد التهامي : يا إلهي ، ص٢٦ .

صناعة وأيّ فن ، إنه في جميع هذه الصور تشكيل جمالي لغوي ، وإن الجمال التام في الأسلوب الشعري عند التهامي لا يتحقق إلا بالانسجام التام ، والتوافق الكامل ، فيكون البناء اللغوي والرؤيا متلازمين في بنية محكمة ، جيّدة السبك ، متينة البناء ، بالغة الروعة ، ويكون الجسد مثالاً في تناسقه ، واعتدال أعضائه ، وتوافق زيّه وحليته ، وحركته وموضوع الشعر وأغراضه .

التهامي صانع جمال ، وبهذا الفهم الدقيق يتخطى شعره مقولات الأغراض الشعرية المألوفة من مدح وغزل وفخر ، لأن هذه الأغراض تُفقد الفن جمالياته ، وتحصر الشعر في دوائر مغلقة ، فضلاً عن أنها لا تقف على حقيقة الشعر من حيث هو رؤيا استشرافيّة وتشكيل جمالي خاص ، ولأن للشعر هذه القوّة السحرّية كان الشاعر مناضلاً بأغانيه ، يعيش في قلق دائم ، وعذاب لا ينقطع ، رغبة منه في تغيير الواقع ، فالشاعر يناضل بالجمال وللجمال، متكئاً على رؤية صافية ، وإدراك دقيق لما هو قائم ولما هو ممكن ، من ذلك قوله:

**وقفتَ وقفةَ من خانتْهُ عيناه ... فلم تدلْ على نورٍ بدنياه**
**أسائلُ الكون عن فجرٍ لنا اختنقت ... فيه الحياةُ فلم نظفرْ برؤياه**
**كنا نظنُ ظلامَ الليلِ مرحلةً ... تمضي وتسرعُ أحياناً لتلقاه**
**نعيشُ نصرخُ فيها وهي وانيةٌ ... ليصبحَ الليلُ كابوساً طويناه (١)**

اتسم شعر التهامي بحرصه على احترام اللغة وقواعدها مما جعله في طليعة شعراء العربية المعاصرين ، الذين يحرصون على قدسية لغتهم والتمسك بمقوماتها ، التي تكفل لها المحافظة على شخصيتها التي تميّزها عن غيرها من اللغات ، فاللغة العربية باعث قوي لتجربته الشعرية ، وقد عبر عن موقف واضح من أعداء الفصحى في غير قصيدة ، ففي قصيدتة " شاعر وموقف " يمدح التهامي الشاعر عزيز أباظة لدفاعه عن اللغة الفصحى ، فيقول :

**ما قلتَ أعظمُ ما يقالُ وأكبرُ ... هل بعد قولِك من حديثٍ يذكرُ**
**أو بعد شعركَ تستقيمُ لشاعرٍ ... أوزانُه أو تستجيبُ الأبحرُ ؟**
**فلقد وقفتَ بقمةٍ ، بجوارها ... تعنو الجبالُ الشامخاتُ وتصغرُ**
**وأتيتَ بالحق الصراح مجلجلاً ... يعلو على فمِكَ الكريمِ ويزأرُ**
**أخضعتَ للفصحى رقابَ عداتِها ... فمشتْ على أعناقِهم تتبختَرُ (٢)**

---

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص٥٧٢ .

(٢) قيلت القصيدة حين هاجم الشاعر عزيز أباظة في حفل تسلمه جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٦٥ م أعداء الفصحى . - ينظر : محمد التهامي: الأعمال الكاملة ، ص ٦٧٧ – ٦٧٨ .

لقد عكس التهامي على صفحة شعره صورة ما طبع عليه من السماحة التي نراها في أسلوبه الصافي وفي ألفاظه العذبة ، التي لا نرى فيها شيئاً من غريب اللغة ، أو من التعقيد في المعاني ، وليس ذلك إلا لتمكنه من اللغة التي أمدته بهذا الحشد من المفردات ، الذي أعانه على الوفاء بما تقتضيه كل فكرة من الفكر ، وكل معنى من المعاني في غزارة ملحوظة وذوق سليم ، كما أعانه على تخير اللفظ الرشيق الذي يؤنس القارئ ، ولا يوحش المتلقي (١).

بالإضافة إلى ما لاحظناه من سعة اطلاع التهامي على التراث العربي والإسلامي ، والمتمثل بفهمه عقيدته الإسلامية فهماً صحيحاً ، وحفظه الكثير من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ، والذي ظهر بتضمينه الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأحداث التاريخ التي سجلت بطولات أو مآسى الأمة كل ذلك أثرى تجربته الشعرية، ولعل التنقل في أقاليم الوطن العربي والعالم أيضاً ، أتاح له أن يكتسب خبرة واسعة ، ومعرفة بالثقافات المتنوعة وقد أدرك أبعاد هذه الثقافات بالمعايشة الحقيقية مع هذه الشعوب ، فهذا التنقل أعطى الشاعر بعداً انعكس على شعره ، حيث نلاحظ قلة اهتمام التهامي بكتابة الشعر العاطفي وكأنه يرى أن هذا الشعر لا يتطابق مع رؤاه وأفكاره عن هذا العالم ، وتصوره لكل ما يحيط به ، هذا بالإضافة إلى ما يلاحظ من تربيته الإسلامية ولتنشئته الأخلاقية ؛ فبقيت قصائده محملة بمضامين فكرية وفلسفية تستند إلى فهم واضح لوظيفة الأدب الاجتماعية لما حددها النقاد .

الشاعر التهامي مرتبط بالعصر وقضايا مجتمعه ، وهو غير غافل عن الجوهر الإنساني الخالد المتجدد عبر دورة الحضارة ، فهو أحد الأصوات القليلة في الشعر العربي التي استطاعت أن تقدم إجابتها على جدلية الحداثة ، ومفهوم الأصالة والالتزام ، وجماليات القصيدة فالمتأمل لشعر التهامي لا يفوته أن يلاحظ ثقافته الرفيعة ، ومعرفته الواسعة، وحسه المرهف ، وتجربته العميقة وتمكنه من أساليب اللغة ، وجماليات التعبير، يزاوج في شعره - بمهارة فائقة - بين القديم الموروث والرومانسية الحالمة ، والفكر الفلسفي الرصين، والخيال المجنح، ومثلما جاء محمد التهامي في كثير من تجاربه الشعرية بالجديد المبتكر من المعاني والصور، فإنه كرر في القليل منها بعض الألفاظ والمعاني والصور والرموز التي استقرت في حافظته نتيجة لثقافته الواسعة وقراءاته الكثيرة ، ومن ذلك يقول :

**بلْ أفرغوا بدمِ القربى سمومَهُم فأصبح القُرب سُماً وهو ترياقُ**
**يا ويلهم – ضُلِّلوا عنَّا وساقهُم عُمياً إلى خندق الأعداء سوّاق**
**يا ويلهم – أيقظوا قابيل واستبقوا واتقنوا الفِعلَ حتى أنهم فاقوا** (١)

---

(١) ينظر :بدوي أحمد طبانة : كوكبة من شعراء العصر ، ص ١٧٥ .

إن دواوين التهامي الشعرية غنية بالكثير من الصور الشعرية المعبرة عن قدرة في توظيف الرمز في السياق حيث يعطي بعداً جديداً ودلالة تناسب الفكرة والشعور ، وتعبر عن الموقف في ضوء مضمون القصيدة أو فكرتها أو لغتها الشعرية - بصرف النظر عن كون التهامي شاعراً عمودياً - وليس أدل على ذلك استخدامه الرمز " يأجوج ومأجوج " بشكل مناسب ، فيقول :

**بغدادُ ، لم تعدِ الأمورُ صغيرةً قد دقتْ الغيلانُ بابَ القلعةِ**
**وأتوا بيأجوجَ ومأجوجَ لنا ويفتشونَ ببابنا عن فرجةِ**
**في موجةٍ فكَّ الضلالُ عِقالها والويلُ كلُ الويلِ خلفَ الموجةِ** (٢)

وإذا كان الشاعر يرى مالا يراه الناس، أو بعبارة أخرى ينظر إلى أسرار الأشياء لا إلى الأشياء ذاتها، فهذا يعني قدراته المتميزة ، وخياله الخصب ، واستعداده الفطري ،ومواهبه الشعورية الفذة ، ومن الطبيعي أن تكون هذه العوامل أساسًا لبلورة الشاعرية إلا أنها غير قادرة بحد ذاتها على ترجمة الصور والأخيلة إلى ألفاظ شعرية ما لم تتوفر لدى الشاعر آلية بيانية تساعده على نقل الأفكار من عالم الذهن إلى عالم اللفظ والكلمة ، وإذا كانت العوامل السابقة حصيلة مواهب فطرية بحتة ، فإن الآلية البيانية لا تحصل إلا من خلال الثقافة الواعية والاحتكاك الدائم بطبقات الأدباء والشعراء .

إن الشاعر محظوظ لأنه يُسري عن نفسه ويخفف معاناته ويلجأ إلى الشعر متى شاء!! ، فلا يأتي الشعر طوعاً، ولا ينثال اختيارًا ، بل يأتي مغالبة، ويهبط بمشيئة لا يرتقبها الشاعر، ولحظة لا تشترط عليه الاستعداد ؛ لذلك فلا تعارض بين الموهبة والالتزام ، فالشاعر يلتزم بأمور ترتبط بثقافته وصدق مشاعره واعتقاده وانتمائه لكل ما يمثل الأمة، التهامي ارتبط بالكثير من الأدباء والشعراء مما أضاف له الكثير لقد كان عضواً في لجنة الشعر - بالمجلس الأعلى للفنون والآداب - يوم كان رئيسها العقاد، من ذلك نخلص إلى أن التهامي شاعر عاصر الكثير من العمالقة وتأثر بهم :

**حياتُك في فم الدُّنيا حكاية وموتُك في كتاب الخلد آية**
**مسيرتك الطويلة لا تُولِّي فلم ، يكتب لها الموتُ النهاية**
**كتبت فصولَها وحكمتَ فيها وصُغتَ بعبقريَّتك الرواية** (١)

---

(٣) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٣٠١ .

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ص ٣٢٠ .

إن المؤثرات التي صقلت شخصية الشاعر وكشفت تجربته تدفعه لكي يبقى الصوت المعبر عن قضايا الأمة ، فلا ينفصل عن المحيط البيئي الذي عاشه ، فانهماك الشاعر المعاصر في قضايا عصره ، وتفهمه لمشكلات الحياة في المجتمع الذي يعيش فيه- مهما ارتبطت هذه المشكلات بظروف وقتية، أو مهما تكن مشكلات محلية خاصة - لا يناقض طبيعة الشعر في شيء، فالمطلوب في الشاعر حصيلة موفورة من الثقافة والخبرة فضلاً عن حس مرهف، وإدراك سليم للأمور، والشاعر يواجه نفسه ومجتمعه بضمير واحد، لأنه سرعان ما يحس أن مشكلاته الخاصة لا تنفصل عن مشكلات الناس وأنها المحور الحقيقي لكل معاناته .

يتسم إنتاج التهامي الشعري بالغزارة و التواصل، على مدى أكثر من خمسة عقود دون توقف ، مما أسفر – في ظني - عن إنتاج له أثر بالغ في المتلقي العربي (٢) ، إن تجربته الشعرية الثرة ، تعني الانفتاح والالتزام ،فيما يعني التعصب الانعزال ، فلا يكفي جمال الفن الشعري و تأثيره على النفوس في الحكم على القصيدة ما لم يعزز ذلك الفن الجميل بأفكار ومضامين تجعله ذا هدف و فائدة ، فالقصيدة وجدان و إحساس و فكرة و قضية تنزلق في قالب الكلمات على نسق معين يحقق لها أداء المعنى و أداء الصورة و شرح القضية ، و إعطاء الحلول حسب رؤيته من خلال ما يلائم التجربة الشعورية .

لقد استمد الشاعر كل أفكاره و معانيه في الأغلب من ثقافاته العربية والإسلامية ، ولم يتأثر بمذاهب الغرب و مدارسهم ، فالشعر عنده رسالة جميلة ، يسعى بها لإيجاد عوالم مغايرة للواقع الصعب الذي يعيشه العربي، ليقطف الورد ولا يأبه بالشوك ، وقد عبر عن ذلك في خطابه للشعراء :

**جئت بالشعرِ ضياءً ساطعاً  فتحرتْ كلُ عينٍ موضعك**
**تعبرُ الغيمَ وتضوي فوقَه  ما استطاعت غيمةٌ أن تمنعك**
**تقطفُ الوردَ وتهديه لنا  وعضوضُ الشوكِ يدمي إصبعك**
**وتصبُ الشهدَ في أفواهِنا  قانعاً من نحْلِه أن يلسعَك** (١)

---

(٢) السابق : ص ١٤٨ .

(١) إن العديد من نصوص شعر التهامي شقت طريقها إلى المناهج الدراسية في مدارس دول عربية مثل : مصر وسوريا والجزائر وفلسطين ...

لقد حاول التهامي أن يطوِّع تجاربه الشعرية لتتمشَّى مع روح المعاصرة دون أن ينزلق في مسارب الحداثة الفارغة ، لذلك خلت تجارب التهامي من الإبهام والتعمية والألغاز ، ومن الركاكة والإسفاف والخلط بين الأجناس الأدبية وغير ذلك ، وقد شاعت الوحدة العضوية في معظم قصائده؛ حيث ينتظم الشعور والإحساس أجزاء معظم قصائده (٢) ، وهكذا يلتقي الفن بالشعور عنده كما تلتقي الوحدة الفنية بالوحدة الشعورية ؛ لأن كليهما واحد على الرغم من تباين المعاني التي تنطوي عليها كلمة الوحدة وتنوع دلالاتها. فالتجربة لدى التهامي ليست إلا مخاضا للألم والمعاناة التي تصطرع في أعماقه، فتفور حتى تظهر بثوبها القشيب بعد أن تتآلف مع روافد أخرى، إن مسألة الإبداع الشعري ليست مسألة ذاتية خالصة أو موضوعية محضة ، وإنما هي مسألة رؤيا وكشف ، إذ ليس في الإبداع الشعري انفصال بين الذات والموضوع ، فالذاتية تعني إمكان مواجهة الواقع لتغييره وتجاوزه (٣) وقد رأينا تعبير التهامي عن ذلك في غير شاهد ، ومن ذلك قوله :

**من طولِ ما عانيتْ من تمزيق — قد صارَ جُرحي في الحياةِ صديقي**
**آلامُه احتضنتْ لهيبَ مشاعري — مثل الشقيق إذا احتفى بشقيق**
**لما استقرتْ للعذابِ نوازلٌ — في مُهجتي واسترسلتْ بعروقي**
**وتيقنَتْ أني حملتُ من الأسى — ما لم يجزْ يوماً على مخلوق (٤)**

يعلي التهامي من شأن الموضوعات الفكرية والسياسية و الاجتماعية ،فتحمل معظم قصائده أفكاراً وموضوعات وهموماً تتصل بالناس ، فلم يؤثر شعره في المتلقي لما فيه من جمال الصياغة أو اللغة فحسب ، بل لوجاهة تلك الأفكار وانحيازها إلى الناس في كدهم اليومي وأملهم بحياة أفضل ، إنه شعر المحتوى الراقي والقيم العليا ، لا شعر الصناعة اللفظية، وكما قال عبد القاهر الجرجاني : " ألا تراهم قالوا : إن خير الكلام ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك " (١) .

---

(٢) محمد التهامي : يا إلهي ، ص ١٢٢ –١٢٣ .

(١) تستلزم هذه الوحدة أن يفكر الشاعر تفكيراً طويلاً في منهج قصيدته ، وفي الأثر الذي يريد أن يحدثه في سامعيه ، وفي الأجزاء التي تندرج في أحداث هذا الأثر ، بحيث تتمشى مع بنية القصيدة بوصفها وحدة حية ، - ينظر محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، ص ٣٩٤ .

(٢) ينظر : أدونيس : فن الشعر ،ص ٢٨٨ .

(٣) محمد التهامي : يا إلهي ، ص ٨٥ .

ولا شك أن للشعر دوراً هاماً في حياة الناس، ومن الطبيعي أن يحفل بالفكر ووجهات النظر، ومن الضروري أيضاً أن يجسد موقفاً إزاء الحياة، وحين لا يكون الشعر كذلك فإنه يصبح نصوصاً فارغة من جذوة الروح ، ورصفاً لأحجار اللغة ،ويخسر دوره العظيم باعتباره رائياً، لكن الخلاف يظل عميقاً حول نقطة التماس التي تربط بين الشعر والأفكار، بين التقنية والمواقف (٢).

إن الصلة بين الحياة والقصيدة صلة أخذ وعطاء؛ فالقصيدة باعتبارها تجربة لغوية خاصة لا تنهض بإتقان وحيوية، دون أن تستند إلى حياة مؤثرة فاعلة بما يجعل كتابة الشعر إبداعاً ووظيفة ، فالحياة من جهة أخرى لا تظل في منأى عن هزة الشعر وتأثيره السحري عليها؛ فللشعر لمسة مغيرة، تستدرج الواقعة الحياتية إليها بحنو ؛ لتوقعها في شبكة القصيدة وما يعتمل في ثناياها من قوى الموهبة والإبداع ، فالشاعر فنان يؤدي وظيفة اجتماعية لا تتحقق إلا بأن يستقبل الجمهور ما أبدع ، وتحقيقه لذاته بأن يبدع عملاً فنياً لا يتم مطلقاً إلا إذا كان هناك من يتلقى هذا العمل (٣) .

إن المشهد الشعري اليوم لا يتشكل كلّه من شعراء التفعيلة وحدهم، أو شعراء قصيدة النثر فقط ؛ فللقصيدة الكلاسيكية إنجازاتها أيضاً، لقد أسهمت وتسهم باستمرار في التعبير عن فورة الحياة وتصدعاتها في المجتمع العربي، ورافقت وما تزال أكثر تحولات هذا المجتمع شراسة وإرباكاً، من جهة أخرى، فإن المتتبع لإنجازات شعراء القصيدة العمودية يجد، وباستثناءات قليلة أن نبرة الاحتفاء بالحياة- على وعورتها - أعلى من نبرة الاحتجاج عليها، أو القلق منها، ويتجلى ذلك في معظم ما يكتبه شعراء القصيدة العمودية مثل شاعرنا التهامي ، الذي نجح في خلق صورة شاملة غير قابلة للتجزئة جعلت القصيدة لوحة فنية ، تستأثر بإعجاب المتأمل من القراء.

---

(٤)عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة في علم البيان ، تعليق السيد محمد رشيد رضا ، المكتبة التوفيقية ، ص١٢١ .

(١) ينظر : علي جعفر العلاق : الشعر والتلقي دراسات نقدية ، ص ٩ .

(٢) ينظر : محمد عبد المنعم خفاجي: مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٥ م ، ص٣٢ –٣٣ .

إن أول ما يلاحظ في شعر التهامي التمسك بأوزان الشعر العربي القديم التي استقرأ قواعدها الخليل بن أحمد الفراهيدي، وانطلاقاً من هذا الإخلاص لتقاليد الشعر العربي فإن جميع ما أبدعه التهامي من قصائد ومقطوعات ورباعيات لا يخرج عن أحد هذه البحور أو ما يتفرع عنها من مجزوءات، وقد كان من اليسير على التهامي أن يلحق بالركب ، ويتعلق بالموجة التي تشبث بها نفر من قرنائه ومعاصريه ، ولكنه ظل مؤمناً بعظمة الشعر العربي ، وبقدرة أعاريضه وأوزانه ونظام قوافيه على استيعاب خواطر الشعراء وتجاربهم كما استطاعت أن تستوعب مشاعر الماضيين وتجاربهم ، فكان من أهل الحفاظ على التقاليد الفنية للشعر العربي في قوالبه وأشكاله ، ومن الذين تصدوا لأولئك الداعيين إلى التحلل من الالتزام بنظام الوزن ووحدة القافية (١).

هذا الشعر الجميل الذي يسيل في فم قارئه ماءً عذباً، وينسكب في أذن سامعه نغماً رقيقاً، لم يخرج التهامي عن النمط التقليدي في الشعر العربي، لقد التزم بالوزن والقافية، فلم يرهقه الوزن، ولم تثقل عليه القافية، فهو عند الالتزام بالوزن والقافية جديد في الروح ، جديد في اختيار الكلمات ، وهو يجمع بين عمودية القصيدة ، واللغة الحديثة في فنيةٍ رائعة الأداء دون أن يخرج من تفاعيل العروض، وقد أصرّ أن يجعل من الأصالة والشفافية وعمق التجربة والإيمان بالحياة والتأمل العميق، والوقوف في وجه أعداء الأمة الذين يريدون مسخ شخصيتها والقضاء على هويتها منطلقات راسخة ينطلق منها في تصوير تجاربه الشعرية التي تشتمل عليها دواوينه كلّها.

إن التهامي وفق هذا التصور النقدي، عمودي في بناء قصائده، محدث في رسم صوره المستمدة من واقعه وأحداث ذلك الواقع، سواء أكانت تلك الأحداث ذاتية وجدانية أم تتجاوز الذاتية إلى أبعاد أخرى، فهو إحيائي في بعض صوره ، ووجداني في بعضها ، ومحدث في بعضها الثالث، فالشعر عنده كيان وجداني وفكري ،قائم على أركان ركينة ، اللغة البيانية الشاعرة ، والإيقاع الذي يؤلف موسيقاه ونغماته ، والأبيات التالية تلمح لهذا الوجدان ، ومن ذلك قوله :

**ساقت لنا الأيامُ وهي تدورْ ... عبراً يحارُ أمامَها التفكير**
**قلبتْ موازينَ الحياةِ فخاننا ... كلُ الحسابِ وأخطأَ التقدير**
**حتى العواطفُ غيرتْ إيقاعها ... فأصابها – فيما نحسُّ- فتور**
**فالحبُ لاشيء يثيرُ عطاءَه ... والحقدُ يغلبُ عندنا ويثور**

---

(١) ينظر : بدوي أحمد طبانة : كوكبة من شعراء العصر ، ص١٥٥ – ١٥٦ .

**وغدتْ معاني القــولِ في أذهاننِا خلطــاً يســيءُ بيــانه التعبير**
**حتى المعــاني الراسيات تناثرتْ بدداً،وشــوَّه صدقَــها التغــيير (١)**

لا شك في أن للعاطفة الشعرية ومدى ارتباطها بأفكار الشاعر ويقظته الحسية واستــشرافه لواقعه الآني واستنطاقه لأحداث عصره المختلفة، دوراً فاعلاً ومؤثراً حين يسري نــسق تلــك الصورة العاطفية في جسد الكلمات وسياقاتها ؛ فتصير مجازاتها جزءاً من العاطفة الإنــسانية التي تعمق الاستجابة الفنية عند المتلقي حيث تحقق الصورة غايتها الجمالية أو متعتها الجمالية فهي صورة مركبة ، فالقصيدة الرائعة أو العظيمة هي التــي يجــب أن تكــون ذات علاقــة بالحاضر ، فالشعر عنده في مختلف مناحيه ومعانيــه لا يخــرج عــن حــدود الانطباعــات والانفعالات وثورة النفس ، ومن ذلك قوله في ديوانه أغاني العاشقين :

**أراكِ فتشردُ الأفكار مني ويطوي عقلي المفتون طيا**
**جمال يشبع الدنيا جمالا ويسكبُ فوقها طعماً شهيا**
**ويجعلها فراديساً وفيها ترى حوراً وولداناً ســويا (٢)**

إن الشعراء الذين كانوا أكثر تأثيراً ، ليسوا أولئك الذين رسموا الواقع وصوروه للنــاس ، بل هم الشعراء الذين حاولوا أن يضعوا أمام قرائهم لحظة فنية تثير فيهم مشاعر وتساؤلات لم يألفوها ، وتدفعهم بالتالي إلى تجاوز واقعهم والبحث عن واقع آخر (٣) .

واللغة الشعرية في ضوء هاتين الدلالتين ترتبط ارتباطاً وثيقــاً بالمعانــاة الــشعورية أو التجربة الشعورية التي تمهد السبيل إلى ميلاد هذه القصيدة أو تلك، والمعاناة الشعورية هــي التي تخلق شكلها التعبيري من خلال مفردات ذلك التعبير أو دلالاته المختلفــة ذات الانتمــاء بحركة الواقع بأفعاله ومواقفه، حيث تصير اللغة ضرباً من التقنية التعبيرية التي تعبــر عــن شاعرها ، وتعكس بعض خصائص شخصيته الشعرية فنياً وأسلوباً وجمالياً .

يتلاشى الخط الفاصل بين الشكل والمضمون وهما جوهر واحد حــين يتحقــق التوافــق الجمالي بينهما من خلال اللغة الشعرية، التي تُعد الصورة وجهها المشرق والبنــاء كينونتهــا وبنيتها الظاهرة، وهذا ما يفسر اللقاء الحميم بين بناء القصيدة وصورتها الشعرية في كثير من الأحيان ولا سيما عند المبدعين من الشعراء، وبذلك فإن القصيدة لقاء إبــداعي بــين الــشكل والمضمون من خلال لغة شعرية متقنة ومبدعة بمستواها الصوتي والدلالي والتركيبي، وفــق

---

(٢) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٥٩٠- ٥٩١ .
(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، المجلد الثاني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١م ، ص٣٠٣ .
(٢) ينظر : أدونيس : زمن الشعر ، ص١٠١ .

مفهوم الأسلوبية المعاصرة " التي تُعنى بالتشكيلات اللغوية السطحية حتى اتسعت دوائرها لتشمل النصوص الأدبية التي يحتاج تحليلها إلى قسط كبير من فلسفة الفنون ، وعلم الجمال وعلوم النفس والاجتماع ، وتظل الأسلوبية فناً ألسنياً ، مما يتطلب معرفة عميقة بخصائص الفن الأدبي ، فهي بحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب ، وعن سائر الفنون الإنسانية ، فتستعمل أدوات الألسنية في عمليات التحليل ، ولكنها تفارقها لأنها تستخدمها لأغراض أخري ، إنها اكتشاف للأشكال التعبيرية التي تستخدم في حقبة زمنية ، ورصد للآثار التي تنتجها تلك الأشكال في نفوس المتلقين " (١) .

التهامي شاعر مطبوع بعيد عن التكلف والافتعال والتصنع، ومن هنا فإن بناء القصيدة عنده يولد من هذه النظرة وهذا الموقف الواضح الصريح، فهو في عمل الشعر يجري مع تيار العاطفة التي يستولي عليه، والحالة التي توحي إليه القول، فيبدأ بالمطلع، ويسلسل الكلام قلما يقدم أو يؤخر ، لا يفكر إلا في اطراد الشعور وانسجامه ، واستيفاء المعاني والأخيلة في نسق أخذ بعضه برقاب البعض، أما نهاية القصيدة فيكاد يراها واضحة قبل أن يبلغها ، ومن شواهد ذلك الوفيرة نذكر قوله :

**أيها السائرُ أضناكَ السفرْ فاتئدْ قد ضاعَ في الدرْ الأثرْ**
**أنتَ تجري في فراغٍ مطلقٍ كلُ ما فيه خيالٌ وصورْ**
**لا تصدقْ ما تراه إنَّه من سرابٍ ، كلما تدنُو .. يفرْ** (٢)

إن للعاطفة الشعرية في مدى ارتباطها بأفكار الشاعر ويقظته الحسية واستشرافه لواقعه الآني واستنطاقه لأحداث عصره المختلفة، دوراً فاعلاً ومؤثراً في النبوغ الشعري الأصيل حين يسري نسق تلك الصورة في جسد الكلمات وسياقاتها فتصير مجازاتها جزءاً من العاطفة الإنسانية ، التي تعمق الاستجابة الفنية عند المتلقي ، حيث تحقق غايتها الجمالية من حيث كون القصيدة الكاملة الكلاسيكية أو الرومانتيكية أو الواقعية أو المعاصرة صورة مركبة، فالقصيدة الرائعة أو العظيمة هي التي يجب أن تكون ذات علاقة بالحاضر ، والشاعر مكتشف عظيم في عالم الجمال والوجدان ؛ لأنه يرى الأشياء والأحاسيس رؤية طازجة فليست نظرته وليدة المنطق أو العلم ولكنها وليدة الحدث وليست أدواته التحليل والتركيب بل الخيال المصيب (٣) .

---

(١) ينظر : عدنان حسين قاسم : الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي ، ط ١ ، مؤسسة علوم القرآن ، عجمان ودار ابن كثير بيروت ١٩٩٢ م ، ص٩٧ - ٩٩ .

(٢) محمد التهامي : يا إلهي ، ص ٨١ .

(٣) ينظر : صلاح عبد الصبور : قراءة جديدة لشعرنا القديم ، منشورات اقرأ ، بيروت ، ص ١٦ .

يصنف شعر التهامي في دائرة الشعر العمودي الذي ينتهج نهج القدماء ، لكن ذلك لا يمنعه من أن يتطلع إلى التجديد – بقدر يسير - إذ لم يحجب ذلك عنده تلك الرؤى الجديدة، وروح العصر ومعايشة الواقع ، ففي معانيه أفكاراً جديدة وطرحاً لموضوعات ساخنة ، وتناولاً لكبريات الأحداث الدائرة من حوله ، فهو يعيش مشكلات عصره ويعي متطلبات هذه المرحلة من حياة أمته ، ويحاول أن يكون أصيلاً في تجربته الإبداعية ، فالقصيدة عند الشاعر تتنامى بصورة طبيعية في سياق شبكة الرؤية التي يفجر فيها كل أدواته الفنية، بغية الوصول إلى قصيدة تتوازى مع أحاسيسه لحظة التوهج الإبداعي ، إن قيمة الشعر في صدقه وأصالته الفنية فافتعال التجارب والجري وراء الدعوات الجديدة لجدتها أو الخضوع لها عن غير اقتناع يفقد الشاعر أصالته وحريته في فنه (١) ، يحاول نقل تجربته بصدق، وفي لغة بسيطة موحية وعفوية ، وحسبه التزام الصدق التزاماً ؛ لأنه حمل ثقيل ، لا يقوى على الاضطلاع به إلا الصفوة الممتازة (٢) .

إن التهامي من فرسان الشعر العربي المعاصر الذين ثبتوا في ميدان المعركة، وأبوا أن يترجلوا عن خيولهم ويسلموا الراية إلى المتآمرين على أصالة هذه الأمة ، وتراثها الأدبي النبيل ، إنه صوت وطني ،وصوت عربي ، وصوت اجتماعي ، وروح إسلامية وثابة ، وهمس ذاتي ، وبلبل شدا على أفنان الأدب وآرائك الشعر .

---

(١) ينظر : محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، ص٤٨٦ .

(٢) ينظر : محمد النويهي : وظيفة الأدب بين الالتزام الفني والانفصام الجمالي ، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٦٧م ، ص٨٦ – ٨٧ .

# الفصل الثالث

## الفصل الثالث : موضوعات شعر التهامي

- الرؤى الإنسانية
- القضايا الوطنية
- قضايا العروبة
- قضية فلسطين
- الإسلام والنفحات الإيمانية

**تمهيد**

شكل الشعر بدون منازع طوال فترات التاريخ العربي أحد أعمدة التطور الفكري، وظل أقرب الفنون لكل العرب لحمله هموم الإنسان العربي، وترجمته قضاياه الإنسانية والروحيـــة، فكان مفهوم الالتزام منذ أواخر القرن الثامن عشر بشكله الذي ظهر بعد احتكاك الثقافة العربية بالثقافة الغربية، وما انجلى عن ذلك من فهم واع لدلالات وأهداف الالتزام في الأدب ، وعرف هذا المفهوم انتشاراً وتداولاً كبيراً بعد حركة التغيير الشعري التي شـــهدتها الثقافـــة العربيـــة أواسط القرن الماضي، خاصة بعد انتشار مجموعة من الأفكار غير المنتمية للواقـــع العربـــي والوعي الوطني، و بدايات التفكير العملي ، وعهد حركات التحرر التي تسعى للـــتخلص مـــن الاستعمار ، مما أدى إلى تبلور مفاهيم عديدة أفرزتها ثقافة ذلك العصر كـــالتحرر والوطنيـــة

والمساواة والعدالة الاجتماعية ، وإلى ارتباط المثقف بهذه المفاهيم وجعلها رباطاً مقدساً تكون الانطلاقة منه وتعود إليه ، وهكذا كان الالتزام في الأدب العربي المعاصر، يقول محمد مندور، فيما يسميه " المنهج الإيديولوجي" : لم يعد الأدب والفن مجرد تسلية أو هروب من الحياة ومشاكلها وقضاياها ومعاركها ، وأن الأديب أو الفنان يجب ألا يعيش في المجتمع ككائن طفيلي أو شاذ ،وأن مذهب الفن للفن لم يعد له مكان في عصرنا الحاضر ، فالأدب والفن للحياة ولتطويرها الدائم نحو الأفضل ، وأجمل وأكثر إسعاداً للبشر ، لقد انتهى ذلك الزمن الذي كان ينظر فيه إلى الأدباء والشعراء والفنانين على أنهم طائفة من الفرديين الآبقين الشذاذ المنطوين على أنفسهم ، وأنه حان الحين أن يلتزم الأدباء والفنانون معارك شعوبهم ويتحملوا مسؤولياتهم في تغذية الوجدان البشري ، وتنمية الضمير الإنساني على نحو يمكن من السيطرة على العلم وتسخيره لخيرهم (١).

إنّ قصيدة الشاعر التهامي بالرغم من بنيتها المشحونة بالسوداوية واليأس والفجيعة فإنها ذات رؤية إنسانية ؛ لأنّ فيها يقف شاجباً ومعرّياً تاريخ السلب والفجيعة ، إنّه العين التي رأت وكشفت ، ومن ثمّ أدانت الزمن المستلب الغارق بالكبوات والكوارث ، لقد جعل الإحساس بالمحنة شعر التهامي يستسلم للحزن والألم إلا أنه أبقى على خيط للأمل ضرورة للانفراج ولم الشمل ، فالشعر عنده إلهام يثير النفس فإذا بها تهتز لا تستطيع حبس ما بداخلها، فتدفعه إلى اللسان الذي يرسله بدوره إلى المتلقي فإذا به نور مرسل من الشاعر، ليضيء به بطون الليالي المقبلة ، مستشرفاً المستقبل ، محولاً الأشواك ورداً وزهورا :

**في قصةِ الأرض والإنسان ملحمةٌ فيها الصراعُ من الجنبين يقتتلُ**
**هذا الصراع دؤوبٌ في مسيرتِه فيه البقاءُ وفيه المرُ والعسلُ**
**والشاعرُ الحقُ إنسانٌ يعذبه كون على الوردِ والأشواك يشتملُ**
**غنَّى ليضمنَ للدنيا مسيرتها ورداً بغيرِ عذاب الشوك يكتملُ (٢)**

إن دواوين التهامي الشعرية تستطيع أن تؤرخ لمراحل النضال العربي أحداثاً ورموزاً ، فتجد لكل حدث مكانة ، إما تعبيراً عن الواقع أو استشرافاً لآت ، وإن اعتبر التهامي شاعرًا إحيائياً إلا أنه لم يستغرقه تراثه إلى الدرجة التي تمحو حضوره المستقل ، فيغدو شاعراً تقليدياً لا يرى إلا بعيون السابقين ، ولا يسمع إلا بآذانهم فينتزع ذاته من قبضة التراث ؛ ليصوغ

---

(١) ينظر : محمد مندور : النقد والنقاد المعاصرون ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة د- ت ، ص٢٣٤ - ٢٣٥.

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٦٩٥ .

تجاربه على نحو مستقل ، يفضي به إلى أفق الحضور الإبداعي ([1]) ، " وإذا جاز لنا رصد طبيعة الفروق بين الشاعر والمؤرخ تراءت لنا منها جوانب منطقة الانفعال ، تلك التي تدفع بالشاعر دفعاً لاستكشاف ما يدور في أعماقه من تجارب وما يعكسه موقفه مما يدور حوله من أحداث " ([2]) :

**بغدادُ.. كم ثار في جَنْبيَّ مشتاقُ كَوَتْهُ عَمْداً و لم تَرْحَمْه أَشْوَاقُ**
**يَظَلُّ في لهفةِ الأشواق مُنْفَرِداً مهما تَزاحَمَ في مَغْنَاكِ عُشَّاقُ**
**فكم بَعُدْنا و في أكبادنا سقَمٌ و كم قَرُبْنا و في عينيك ترياقُ**
**كأن حبّك روحٌ دبَّ في بدني لما برانِي لدى الأرْحامِ خَلَّاقُ** ([3])

يعيش التهامي الواقع فيصوره أحسن تصوير ،بحيث يجسم بخياله الخلاق المبدع تلك المعاني، ويكسوها بأسلوبه الجميل ، فتغدو قصائده لوحات رائعة مؤثرة ، فهي تتجلى في ذلك الشعور الحي والإحساس الرقيق، والاهتزاز القوي الذي يحدثه هذا الشعر في المتلقي، مما يجعل جوارح المتلقي تمتثل وتستجيب له، فالشعر إذن محرك، وموجه للإنسان؛ لأن الشاعر صاحب رسالة ، يشترط فيها الالتزام بالفطرة السليمة، لأن هذا الالتزام في حد ذاته إيمان ذاتي لا يؤثر على حرية التعبير ؛ بل هو خدمة للمصلحة العامة.

يمتلك التهامي التجربة الحية والصدق الفني والموهبة الأصيلة والأداة الفنية الملائمة ، ولا يعني تمسكه بالعمود الشعري العربي من الوزن والقافية والتفعيلة إلا أصالته والتزامه واقتداره ، فالتجربة والشعور مع جمال الأسلوب وروعة الأداء يتكاملان ،وسمو المضمون ورفعته لا يشفعان للشاعر أن يقصر في الشكل الفني ، فشعر التهامي وإن بدا وقوعه في التقريرية والخطابية والوعظ ، إلا أنه حافظ على فنية متميزة ، فكتاب الله بإعجازه الفني تحفل سوره

---

(٢) ينظر :جابر عصفور : استعادة الماضي- دراسات في شعر النهضة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠١ م ، ص ٢٦٠ .

(٣) عبد الله التطاوي : الشاعر مؤرخاً ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ، ١٩٩٦ م، ص٢١ .

(٤) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٢٩٦ .

بالمواعظ البليغة ، قال تعالى : " هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين " (١) صدق الله العظيم .

يبدو أن أشعاره امتازت بتدفق الشعور وصفاء الخيال والذهن والفطرة، والتفرد، فكان له طابع شخصي يلمسه القارئ ،فكان الفنان المتألق حين يصف الجمال والطبيعة والمشاعر الإنسانية من فرح وحزن وغضب، فتكون القصيدة لوحة تتحدث بجمالية الأشياء وأسرارها وسبب وجودها. " والنفس تسكن على كل ما وافق هواها وتقلق مما يخالفه ، ولها أحوال تتصرف بها ، فإذا ورد عليها في حالة من حالاتها ما يوافقها اهتزت له وحدثت لها أريحية وطرب ، وإذا ورد عليها ما يخالفها قلقت ، واستوحشت " (٢) ، فإذا لم يستطع الشاعر أي شاعر أن يبلغ بشعره من ذات المتلقي وحسه ما يحرك مشاعره ، ويستنفر في نفسه كل العواطف الكامنة ، فإذا أخفق فإنه لاشك ناظم لا علاقة له بالشعر ، ولم يدخل إلى مملكته الانفعالية التي لا يمكن بعثها وتحريكها وتأجيجها إلا بنفس شاعر يملك الشفافية والحس والموهبة التي تلهمه القدرة على التصوير والتعبير بشكل تلقائي :

**هو الفَنَّانُ لا يَثْنيه قَيْدٌ ولو أَلْقَوْهُ في أَعْماق سِجْنِ**

**فلا يَحْيَا الوُجودُ بِغَيْرِ رُوحٍ ولا تَبْقَى الحَياة بِغَيْرِ فَنِّ** (٣)

تؤرق الشاعر وتشغل تفكيره القضايا الاجتماعية والإنسانية والسياسية، فهو من الناحية الاجتماعية يعبر عن ضيقه بواقع الأمة، وتحول أخلاق الناس ؛ كما يدين هذه الظواهر التي أخذت تغلب على المجتمعات العربية ، ظواهر التنكر للخير، والإمعان في الشر؛ كما تشف قصائده من الناحية السياسية عن هذا الاضطراب السياسي الذي يشغل العالم العربي بقضاياه العربية والوطنية والإنسانية ، فالأديب حين يتأثر بالمجتمع إنما يعكس فهمه ، والأدب تصور لهذا الفهم فهو ينقل حياة المجتمع ، أو يكون المرآة التي تعكس حياة المجتمع (٤) . ولا شك أن الشاعر يعد بذلك عضواً في المجتمع ، ويمتلك مكانة اجتماعية محددة ، ويتلقى درجة من درجات الاعتراف الاجتماعي به (٥) .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٣٨ .

(٢) ابن طباطبا : عيار الشعر ، ص ٢١ .

(٣) محمد التهامي : يا إلهي، ص٩٨ .

(٤) ينظر :عز الدين إسماعيل : الأدب وفنونه ، ص٤٤.

(١) ينظر : السيد ياسين: التحليل الاجتماعي للأدب ، ص٧٩ .

ولما كانت قصيدة التهامي تنطلق من تفاعلات الواقع وصراعاته، فإنها لا تعتمدُ أصلاً على إعادة صياغة الحدث أو الفعل الثوري أو المشهد النضالي لاستدرار عواطف المتلقي وإلهاب حماسته، وتأجيج مشاعره الثورية، بل هي تخلق شحنةً تفتح الرؤى والمدارك والوعي بالواقع المعاش، وما يمكن أن يتمخض عنه لاحقاً، أو أنها تدفع باتجاه خلق وابتكار أفعال وأحداث جديدة تعجل بعملية التطور والتقدم خطوات سريعة نحو الأمام.

في مقدمة ديوانه " أشواق عربية " وبين يدي الديوان يعتز التهامي بهذا الديوان ؛ لأنه العطاء والشريان الأكبر في كيانه الذي صاغه التراث العربي والإسلامي ، واحتضنه عمله في الجامعة العربية لأكثر من ثلاثين عاماً ، يتطلع للوحدة ويحلم بهذا الأمل ويعمل من أجلها ، ينتقل من مكان لآخر ، يحضر المؤتمرات ، ويعاصر الأحداث ، ويلقي شعره في المهرجانات الكثيرة وندوات الأدب ، يقول التهامي : " ألقيت شعري وألححت فيه مراراً و تكراراً في الاجتماعات و الاحتفالات و المهرجانات و الإذاعات و نشرته في الصحف ، و درس بعضه في المدارس و حفظه الشباب ، وكم أسعدني مراراً وكم أحرجني مرات ، في مهرجان الشعر في غزة عام ١٩٦٦ و بعد إلقاء قصيدتي:

**لا تَلُمْهُ إذا أَطَال سُؤالَهْ ضاقَ ذَرْعاً بِمَا أحس فَقَالَهْ**

صاح جمهور الشباب الفلسطيني نريد قصيدة:

**إن الذي زيَّفُوه كلّهُ كَذِب ما لليهودِ بدارٍ أهلُها عربُ ؟**

و كانوا يحفظونها من برامج الدراسة و ألقيتها ، يومها قال لي المرحوم الشاعر الكبير محمود غنيم و كنت أجلس بجواره : كأننا جئنا لنسمع شعرك و أردف و لكن المهم أنهم يحفظونه.

و في الأسبوع الثقافي المصري بالجزائر عام١٩٨٦ بعد إلقاء قصيدتي :

**إلي متي تَعْظُمُ البَلْوى و نَحْتَمِلُ "أوراسُ" لم يَبْق إلاّ أَنْتَ و الأمَلُ**

صاح الجمهور نريد قصيدة "بطل الجزائر":

**في الهَوْلِ في لَهَبِ المجازِرْ ألقاك يا بطلَ الجزائرْ**

و كانوا يحفظونها من مقرراتهم الدراسية، و قد ألقيتها أيضاً.

و في عام ١٩٦٠ علي طائرة متجهة من القاهرة إلي دمشق عرفتني سيدة سورية فاضلة تعمل مُدرسة ، و قالت :إننا ندرس قصيدتك "أخي في سوريا":

**أخي في رُبَى الشَّامِ و الغُوطَةِ فديْتُكَ بالرُوح و المْهجَةِ**

علي أنك قلتها عام ١٩٥٧ عندما هددت الجيوش التركية الحدود السورية الشمالية، فهل هذا صحيح ؟ فقلت لها : نعم " (١) .

---

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص٢١٢- ٢١٣ .

اتسع أفق الشاعر الإنساني والوطني والعربي، حيث شغل هذه العوالم بكل وهجها وتداعياتها وأوجاعها ، فاستحوذ على قلب الشاعر وقلمه، فخرج بتلقائية وشفافية إلى هذه العوالم ، يعزز طموحه ، أو يداوي جراحاته ، أو يستلهم تجاربه، ودق نواقيس الخطر الذي يقتحم بوابات المدائن العربية ، ويدمر أحلام البسطاء، أو يشوه القيم الأصيلة ، فتنوعت أساليب التعبير الشعري لدى التهامي ، فارتقى في قصائده أو بعض مقاطعها إلى أعلى درجات الفن إيحاء بالفكرة، وبراعة تصويرها، وسار في طريق أئمة الشعر العمودي باقتدار ، وتدرج في هذا الأفق فاتضح شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والإصابة في الوصف ، والمقاربة في التشبيه ([1]) ، لكنه يبقى في مواضع كثيرة أقرب إلى التعبير المباشر الصريح، لا يزوق ولا يتصنع ، ولعل ما يفسر ظاهرة الوضوح أو التعبير المباشر أن الشاعر ينظم أشعاره والعقل في كثير من أحواله مستيقظاً مواكباً للحالة الشعورية، وقد يضاف إلى ذلك عامل ثالث هو طول النفس الشعري لدى الشاعر والموهبة الفذة ، ورغم أنه عاصر شعراء الحداثة إلا أن أشعاره ظلت مؤثرة وفاعلة .

إن شعر التهامي دخل ساحة الواقع الموضوعي بوعي وصدق ، فعبر عن آمال الجماهير وتطلعاتها ؛ ليعالج القضايا الآنية والعصرية ، ويلتحم بكل صغيرة وكبيرة ، مشحوناً بقضية عادلة ، ومعبراً عن موقف واضح وصريح ، وعامراً بالمحتوى المثير ، فلم يكن شعر التهامي بكائياً نائحاً - وإن بدا - بل استطاع الإثارة وتحريك النفوس وشحذها بقوى دافعة للاستمرار رغم كل الظروف ، فكان من الشعراء العرب الذين انغمسوا في الحياة العربية العامة ، وشاركوا مجتمعاتهم همومها وقضاياها ،وانعطفوا على معضلات القرن وأمراضه الحضارية ، وعلى مشكلات الإنسان العربي وتحولات واقعه وإمكاناته الكبرى، فعالجوها في أشعارهم بعد أن عانوها أشد المعاناة ، واتخذوا منها المواقف المناسبة ، فغدا شعرهم إيقاعاً لتلك التحولات، وتفجيراً لرموز الثورة العربية حضارياً وإنسانيا نحو تحقيق مستقبل مشرف ([2]).

**وقِف بمنازل الشُّهداء وارکعْ عانِق القبرا**
**وقبِّل تربَه الغالي وقبِّل فوقَه الزهرا**
**فإن ترابَ هذا القبرِ أنبت فجْرَنا الحُرا**

---

(٢) القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني : الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق وشرح أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ،القاهرة ١٩٥١ م ، ص ٣٣ .

(٣) محمد أبو حاقة : الالتزام في الشعر العربي ، ص ٣٨٧ .

**بدأنا منْ هُنا نصحو  بدأنـــا ندركُ السِّـــرَّا** (١)

تتواصل رحلته الجّادة في مناجم العظام ، والتي تشير إلى موقفه باعتباره شاعراً ملتزمـــاً وهب نفسه للشعر وحبّ الوطن والعروبة والإسلام- كما تفصح ذاته الـــشعرية عـــن ذلـــك ، فالدفاع عن الإنسان وكرامته أمر جوهري في قضية خلود القصيدة وبقاء أثرها ، وهذا متعلق بمدى الالتزام الحقيقي بقضايا الناس،أينما وجدوا وكيفما قاوموا وواجهوا .

**الرؤى الإنسانية :**

إن إحساس الشاعر بمعاناة الناس في ممارسة حياتهم بحقيقة وواقعية ، من أهـــم الأمـــور التي تجعل القصيدة تتفاعل مع الجماهير تفاعلاً كبيراً، وتعلق آمال استمرار النـــضال للكلمـــة الواعية المتزنة لشاعر أدرك برؤية وبصيرة واقع أمته ،وما يواجهها ، فلا يعد الأثر الأدبـــي جيداً إلا إذا عبر بوضوح عن موقف صاحبه من قضايا عصره وأمته و حس مشاعر مجتمعه وأصبح فاعلاً فيه مؤثراً ،فإن لم ينهض بذلك ولم يحتمل تبعاته فإنه يعد متخلفاً عـــن مـــسايرة الحركة الصاعدة في أمته (٢) :

**قد يصدقُ القولُ أنّا في جواهِرنا  عزمٌ علـــى قدرةِ الإنجازِ خلاقُ**
**وأن فـــي قلبنِا نبـــضاً به أمـــل  يشتدُّ حيناً إلى الأمجـــادِ تواقُ**
**وأن في عمقنا روحاً لو انطلقتْ  وفكَّها من زمامِ الأســـر إعتاقُ**
**توحـــدتْ من شظايانا عمالقـــةٌ  ما هزَّها في ظلام الهول إخفاقُ** (٣)

الشعر قبل كل شي ء هو تعبير انفعالي وجداني لموقف دفين كان له أقوى الأثر في نفـــس الشاعر ، إنه الطريقة الوحيدة التي اهتدى إليها الإنسان بحكم تكوينـــه البيولـــوجي والنفـــسي للتعبير عن انفعالاته (٤) وهذا ما دعا الشاعر دائماً إلى إبداع قصيدة تعبـــر عـــن مـــشاعره، وتخاطب مشاعر المتلقين ، لتقيس درجة انفعالهم الظاهري مقارنة بانفعاله الداخلي والخارجي؛ لأنه لا يطلب من الشاعر أن يتعمق في أغوار الآخرين ليعرف مشاعرهم ، ولكن يكتفي بـــردة الفعل الظاهر أمامه فقط ، فالشعر فن جميل ينشأ عن الناحية الوجدانية للنفس الإنسانية، فيعبـــر بلغته الكلامية الموسيقية عن أنواع الانفعال والعواطف ، والانفعال قوة وجدانية تسيطر علـــى النفس ، وتصحبها تغيرات جسمية ظاهرة ، وأخرى عقلية باطنة ، واضطرابات عصبية مـــن

---

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٥٥ .
(٢) ينظر : شوقي ضيف : البحث الأدبي ، ص ١٠٢ .
(٣) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٣٠٢.
(٤) ينظر :عز الدين إسماعيل : الأدب وفنونه ، ص١٣٠ .

الممكن أن يلحظها الإنسان في نفسه وفي غيره، في أحوال الغضب والرضا والفرح والحـزن، والتفاؤل والتشاؤم ،والفزع والهدوء ([1]) .

إنّ الشاعر التهامي يرفع شراع الإنسان ورايته باعتباره هدفاً أسـمى ، فيلتـزم بالكتابـة لأجل الإنسان المفجوع المظلوم :

**يا ضيعـة الإنسـان في أيامـه التائهُ المحـرومُ من أحـلامه**
**آمالـه عصفت بهـا أعـداؤه وفـؤاده قـد ذاب مـن آلامه**
**والظلـم حطَّمـهُ وهدَّ كيـانه ورمى لعصف الريح كل حطامه**
**والجهل سد عليه مشرق نوره فمضى يهيمُ على بهيم ظلامه**
**والعدل حاد عن الطريق فلم يقم إذ حالَ ظلم الناس دون قيامه** ([2])

إنّ رؤية الشاعر تنبثق من تلك الهوّة الفاصلة بين ما هو قائم ، وبين ما هو مرجوّ حـصوله في المستقبل ، إنّها تحمل همّ إعادة تشكيل الحياة ، والعلاقات ، وصياغتها وفق بنى سـليمة . ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه : إلى أي مدى استطاع هذا الشعر -حتى الآن- الارتقاء إلـى مستوى هذه الأحداث التاريخية الهامة ؟! وهل المستوى الإبداعي والفني لهذه الأعمال الشعرية استطاع أن يُوازي هذه الأحداث التي ألمت بالأمة ومازالت في ضخامتها وحجمِ تأثيرها ؟

عند استعمال هذه الصفة في مواضع كثيرة مثل: نزعة إنسانية- تجربة إنسانية- موقـف إنساني- أدب إنساني- علوم إنسانية- عاطفة إنسانية-مشاعر إنسانية. يتضح القاسم المـشترك بين هذه المواضع التي استُعملت فيها صفة الإنسانية أو الإنساني؛ وهو النسبة إلـى الإنـسان على أنه جنس أو كائن بشري يشتمل خصائص وميزات وصفات مشتركة، وتعتمل فـي قلبـه مشاعر وأحاسيس متشابهة، وتشغل نفسه همومٌ وآمالٌ واحدة، وتدور في عقله أفكار متقاربة ، وتميزه قدرات وإمكانات تنتهي بالعبقرية عند البعض ، فالإنسان هو الكائن البشري المنظـور إليه بمعزلٍ عن التأثيرات الإقليمية ، أو الانتماء الوطني ، أو الولاء القومي ، أو اللون العرقي أو الفروق اللغوية ، أو الخصائص الفكرية والنفسية، " ثم إن الخصائص التي تميـز العبقريـة الفردية ليست أجمل ما في تلك العبقرية ، بل لأنها تشمل في حناياها الحياة الجماعية لعصر أو هيئة وترمز لها أي تمثلها ، ووجب معرفة كل تلك الإنسانية التي أفصحت عن نفـسها خـلال

---

(١) ينظر : أحمد الشايب : الأسلوب- دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، ط ١، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٨م، ص ٧٣ .

(٢) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، المجلد الثاني ، ليس آخر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،٢٠٠١ م ، ص٤٨٩ .

كبار الكتاب ، كل تلك التضاريس الفكرية أو العاطفية الإنسانية أو القومية التي يرشدوننا إلى اتجاهاتها وقممها " (١) .

وبذلك يجب تحديد الفرق بين العالمي و الإنساني، فقد يكون أحد الأدباء عالمياً طَبَّقت شهرتُه الآفاق وتُرجم إلى معظم اللغات ولا يكون إنسانياً ؛ وقد يكون شاعرٌ ما إنسانياً ولكنه لم يصل إلى العالمية شهرةً وذيوعاً وانتشاراً كالمتنبي مثلاً؛ وقد يجمع الأديب بين الصفتين ويفوز بالامتيازين كما هو الحال لدى شكسبير الإنجليزي وطاغور الهندي وديستويفسكي الروسي.

إن الآثار الأدبية بتناولها العواطفَ والمواقفَ المشتركة بين الناس هي الجديرة وحدها بأن تكون آثاراً إنسانية حينما تصور الحب أو الغِيْرة أو الطمع مثلاً على أنها حالات عامة قائمة عبر الزمان والمكان ، وقد يتبادر إلى الذهن أن هذه الآثار الكلاسيكية وحدَها هي الجديرة بأن تكون إنسانية ، وأن الآثار الرومانسية بما فيها من فرديةٍ وإغراقٍ في الذاتية وتعبيرٍ عن الشخصي المتميز المفرد ليست إنسانية ، ولكن الأمر ليس كذلك ، فالشاعر لا يمكن أن يحصر عمله في دائرة الذاتية؛ لأن هذا لا يتسنى له إلا إذا غاب في شعوره عن كل شيء حوله ، وهو في هذه الحالة لا يستطيع التعبير الشعري ، ولا يتمكن من صوره الإيحائية ، لأن هذا التعبير التصويري ليس فراغاً ، وإنما يعتمد على الموضوعات التي تحيط به ، وهو ذو صبغة إنسانية، والشاعر لا تنقطع صلته بالحياة والمجتمع . بل توحي تجربته باتخاذ موقف ذي أثر في دلالته الاجتماعية ، هذا الموقف قد يعبر عن آمال واسعة أو عن قلق وضيق (٢) .والأدب من بين سائر الفنون هو أبرزها وأسماها إنسانية ؛ لأنه هو الفن الناطق ، وقديماً ميز الفلاسفة الإنسان من سائر الحيوان بأنه حيوان ناطق ، والواقع أن اللغة التي هي مادة الأدب ووسيلته إلى التعبير وعاء لكل ما في المجتمع من أنماط فرية وخلقية وجمالية ، فهي صدى البيئة وسجل لما تتضمنه من قيم عليا ومن مثل (٣) .

يبدو أن قصائد الحب والغزل وما تحويه من عواطف ووجدان وشوق ولهفة في شعر التهامي قليلة ؛ واقتصرت على ديوانه أغاني العاشقين ، وقد يبرر ذلك بأن الشاعر شغلته هموم الأمة وظروفها وأطماع المستعمرين في خيراتها ، فالحب بالنسبة للتهامي إما أن يكون حباً للوطن ، أو للعروبة وأبنائها ، أو لحاضرة من حواضرها ، أو حباً إيمانياً للرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم – مما يؤكد انتماء الشاعر لهذه الأمة ، والتزامه بقضاياها ؛ فلا يخدش

---

(١) ينظر : محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، د - ت ، ص٤٠٠ .

(٢) ينظر : محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، ص٤٦١ .

(٣) ينظر : محمد محمد حسين : الإسلام والحضارة الغربية ، ص ٢٥٩.

الحياء بلفظة ولا يتجاوز أخلاق الأمة ومثلها العليا وذوقها العام بفكرة ، يـدعم ذلـك حقيقـة فطرته النقية وصدق تجربته الشعرية :

**ولولا نداء الحب ما باح عاشقٌ ولا كـان للفن الجمـيل سبيلُ**
**وما أدرك الأقـوام أن قلـوبنا إذا مسَّها الوجد الحنون تسيلُ**
**وأن النسيم العذب في خطراته يداوي جراح القلب وهو عليلُ**
**وأن ظلام الليل ليـس بدائـم ففي الحب يَقْصرُ تارة ويطولُ (١)**

تتكرر في قصائد التهامي معاني الحنين المطروحة في الشعر العربي في تصوير واضـح ورائع لمشاعر الشاعر وأحاسيسه الحقيقية نحو وطنه مصر أو وطنه العربي الكبير أو العالم ، فقد أثر في شعره ارتباطه العاطفي والإنساني بهذه الأماكن التي زارها بحكم تنقله في كثير من البلدان والأقطار، وبوصفه شاعراً وإنساناً ، فكان لها تأثير كبير في رؤيتـه الـشعرية وفـي موضوعات شعره ، وكان من بينها تجارب ثرية وغنية، فكانت المدن العربية وغير العربيـة التي زارها ، والوجوه التي ألفها موضوعاً ملهماً عبّر من خلاله عـن حنينـه وتعلقـه بهـذه الأماكن . يقول في قصيدة (عاشق الأندلس ) :

**أحسستُ فيه عواطفاً تتهلـلُ ويثيرُها النَّسَـمُ الغريبُ فتسألُ**
**حتى إذا عَلِمَت تـألقَ حبُّهـا ومضتْ تبـوح وتشتكي وتُعللُ**
**وتقول ما هزَّ الفؤادَ ، حديثه من غيرِ ما نَطَق اللسانُ يُجلجلُ**
**فسمعتُ عينيها وخفقَ فؤادِها ولَظَى الهيـام بقلبهـا يتململُ**
**وتذوب حباً كنت أحسبُ أنَّني وحْـدي لكـلِّ عـذابه أتحـملُ (٢)**

عبر التهامي في كل قصيدة عن حالات إنسانية متنوعة ، وهذه الحالات الإنسانية لم تتغير ولن تتغير؛ لأن الكيان الإنساني والطبيعة البشرية لا يتغيران، ووظيفة الشعر أن يعبر عن هذه الحالات الإنسانية بالذات، حالات الحب والكره، والحرب والسلم، والظلـم والرأفـة، والـشعر الجيد هو الذي يستطيع القيام بهذه الوظيفة بغض النظر عن زمانه ومكانـه، والوصـول إلـى البشر في كل زمان ومكان ، فمن ضمن موضوعات أشعاره : الموضـوعات الجديـدة التـي ترتبط بالقضايا الذاتية والإنسانية والتي تنطلق من هموم وأحاسيس الناس الإنسانية والذاتيـة ، فكانت رسالته الشعرية التي أراد لها أن تكون واضحة المعالم دون أن تتلون أو تتشكل حسب

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، المجلد الثاني ، أغاني العاشقين ، ص ٢٦٨ .
(٢) السابق ، ص٤٦١ - ٤٦٢ .

رغبة الناس ولكن حسب رؤيته ومفهومه ، فكانت قصائده للناس وللمجتمع ، يعالج مختلف القضايا التي تمس الإنسان بصورة عامة والإنسان العربي خاصة :

**نشتد في طلبِ الخلاص وفاتنا ... أن الطريقَ مليئةٌ ألغَامَا**
**فإذا استوتْ أقدامُنا وتهيأتْ ... شبَّ الحريق فعوَّق الإقداما**
**رُحنا نلمُّ حُطامها ونُقيمه ... ونسير نَحملُ في الطريق حطاما**
**فيؤودنا السيرُ الكليلُ .. يعيقُنا .. ... يستنفدُ الأيامَ والأعواما**
**ونصيح أين أصولُنا ؟ وأصولُنا ... تلقاهُم فينا دماً وعظاما** (١)

لم يكن التهامي متعصباً في أشعاره - وهذا الشيء الجوهري في الإنسان الشاعر - حيث إن التعصب هو وجه للضعف والانهزام ، لكن اعتزازه بأرومته وجذوره وتراثه وقيمه وعقيدته قضية مغايرة ؛ لأن في التعصب لا يستطيع رؤية المتغيرات بل لا يستطيع أن يرى الأمور بموضوعية ، فالشاعر هو الإنسان بموقف واضح حيث الإنسان هو الأساس، بأخلاقه وكفاحه ونضاله وصموده كل ذلك يتشكل بالبساطة والطيبة والبذل، الإنسان العادي الذي يحمل بذور واقعة لا الإنسان الخارج من دفاتر النظريات وحماسة الشعارات ، ففي قصيدته " وداعاً " يقول :

**ورأيتُ القهرَ يَطغَي ... موغِلاً في كلِّ ركْن**
**يَصْرَعُ الإنسانَ مِنّا ... في غُلُوٍّ و تَجَنّ**
**لَسْتُ أدْري ما تَوالي ... بَيْنَه فينا و بَينْي**
**لستُ أدْري فاشْرَحوا : ما ذلكَ الطُّغْيانُ يَعْنى**
**لا تَقولوا: ذلِكَ الإنسانْ - إنى خَابَ ظَنّي**
**كُنتُ ألقي عنده الإتقانَ في علمٍ و فَنّ**
**مُوروداً من حَوْله الإنسانَ في جَنَّاتِ عَدْنِ**
**يَرْتَعُ الإنسانُ فيها من رُبى حُسنٍ لحُسْن**
**فلماذا أوْغلَ الإنسانُ منه في التَّدَنّي؟** (٢)

يعمد التهامي إلى إبراز العلاقة بين الإنسان والمجتمع سواء في اختيار عنوان القصيدة أو مضمون أبياتها ، فعناوين قصائده عبرت عن ذلك وحملت خصوصية الواقع العربي الذي ينتمي إليه الشاعر " صيحة في وجه الاستعمار – حي على الجهاد - ذكرى الشهيد – وطني

(١) محمد التهامي : أنا مسلم ، ص ٩٥.
(٢) محمد التهامي : يا إلهي، ص ٦٩.

– فلسطين العودة – الفراق المستحيل – على باب العروبة – تلاقي الأشواق – الحيرة الكبرى – سرقة الأوطان – النور في الظلام – طريق الخلاص " . إن نصوص قصائده قامت بطرح السؤال الملح دائماً على الإنسان نفسه في ظل العملية التراجيدية البارزة في الصراع بين الإنسان ومحيطه من كائنات حية ومخلوقات أخرى ؛ وهو : ما وظيفة الشعر في ذلك الصراع القائم والذي أدى إلى تدني البشرية ؟ .

إن التهامي شاعر الحرية بامتياز، وهذا يعني أنه شاعر الإخلاص للحياة ، لهذا السبب يضفي الشاعر على التزامه الشعري صياغة الإنسان الحر الذي خلقه الله طليقا وصاغه في أحسن تقويم ، ويعيد بذلك للإنسان منحه فرصة الحرية المنضبطة بشريعة الله السماوية، فالفكر الإسلامي والثقافة العربية إنما تلتمس عناصر الوحدة والتكامل في جزئياتها على نحو يحقق لها بناء الفرد السليم والمجتمع السليم ، حيث لا تعارض بين الروح والمادة ، ولا تصادم بين الأدب والأخلاق ، أو بين الفن والمجتمع ، ومقياس الجمال النفسي الإنساني إنما يتمثل في الوسطية بعيداً عن منحدر الشهوانيات واللذات، وبعيداً عن الجمود فالفكر الإسلامي أعطى الحرية في متاع الحياة دون إسراف أو تبذل على هدي الفطرة التي فطر الله الناس عليها (١) ، فالحرية في قصائده تبقى في دائرة التصور الإيماني الذي يتجلى في أشعاره ، فهي الحياة بإدراك كنهها وماهيتها وهي الوعي بالحياة دون الغرق في الأوهام وبالتالي التخبط والتشتت ، وقد خص وعيه للحرية بدعوة الإنسان لتحطيم القيود وفك أغلال الذل والهوان ، ومن ذلك قوله :

**فحَطِّمْ - يا رعَاك الله - قيْدا تمكَّنَ منك أعواماً ثِقَالا**
**وأقدم قَدَ ضَمِنَّاهُ انْتصَارا نَنَالُ به المَهَابَة والجَلالا**
**ودَعْهُم يَشْهَدُون بأنَّ فينا رجالاً يُحْسِنُون لنا الفِعَالا** (٢)

ريشة التهامي بديعة في ترجمة أحاسيسه الوجدانية ، حيث قامت بتصوير معاناته وحيرته، كما أنها عبرت عن تأملاته في مخلوقات الله ، وما يحيط به من الجبال الشوامخ الراسيات والصحاري الواسعة، مما يؤكد أنه شاعر يتمتع بالخواطر الرقيقة والقريحة الطيعة التي هي متعة فنية مشاعة للقارئ ، فانسابت على لسانه جملة أشعار مفعمة بالمعاني الجليلة والنظرات الإنسانية، أبيات متسمة بالحكمة تصويراً لنظراته في الحياة وخبراته في المجتمع الذي يعيش فيه :

---

(١) ينظر : أنورالجندي : الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ، ص١٤٥.
(٢) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٣٤ - ٣٥ .

**سألتُ و قد تَحَفَّــزَت اللّيالـــي ولم يَكْشــفْ خَبيئَتها خَيالي**
**وأدْمَنْتُ السُّؤالَ عــلى رَجــاءٍ فَجَلْجَلَ في متَاهَتِها سُؤالـــي**
**وَروَّعني صدَي صَوْتي وولّـــي ولم يُدْرِكْ حقيقةَ مَا جَرَى لي**
**فقد لوت الطَّلاسِمُ لي يميــني وقيَّدَني التوجُّسُ من شِمالي**
**وغــامَ الأفْقُ و انطَلقت ظُنونٌ تُحاولُ فَــكَّ أَغْــلالِ المُحَالِ**
**وكُلُّ الكائناتِ تَضِــجُّ حــوْلي تُعرْبدُ فــي جُنُونٍ و انْفِعالِ**
**وبينَ الغيــمِ تَلْسَعُني بُــرُوقٌ تُطيل من الطواف و الاشتعال**
**ولكــن لا تُضئُ بجــنْحِ لَيــلٍ تَمــرَّد في رُسوخٍ و اتِّصَــالِ** (١)

الصور مليئة بالشحنات الانفعالية، وهي تعبِّر عن توتر الكائن وتأثره بالعالم ،إنَّ الــشاعر العظيم هو من كبرت هموم الإنسان في خلده، فاحتواها بفكــره وقلمــه وقلبــه، وراح عبــر إيحاءات الفضيلة والجمال يرسم للمعذبين سبل النجاة ، ويحذِّر الغافلين من مغبَّة السقوط فــي مهاوي الرذيلة والفساد ، فلم يكن التهامي شاعراً عادياً ، إنه شاعر ذو رسالة، فلــيس الــشعر عنده لمديح من لا يستحق، ولا لهجاء الخصوم والأعداء، ولا للتعبير عن الغرائــز الهابطــة والجسد الفاني، إنه شاعر إنسان مؤمن ، في شعره الإنساني تتجلى العاطفة الإنسانية في شعره فيتأثر بما يواجهه أي أخوه الإنسان في أي مكان من العالم ،من ذلك ما نراه في قصيدة " أنا و الزلزال " :

**هُمْ قَيَّدُوني و سَدُّوا وَجْه قافِلــتي وحاصــَروا كــُلَّ إبــْداعٍ يُبَادِرُنــي**
**فانْ نَظرْتُ إلــي الدُّنْيا بما وَسِعَتْ لعلَّــهــا بنــداءِ الحــُبِّ تُدْرِكُنــي**
**وجدتُها غابةَ الأشــْواكِ ضــَاريةً تَســُدُّ فــرْجَــهَ أيــَّامي و تُؤْلِمُني**
**يَحارُ عَقْلي في شَتَّى طــَلاسِمِهــا وتَغْرِسُ الذُّعْرَ في عَيْني و في أُذُني**
**إني صَحَوْتُ علي الزلزالِ واعَجَبي!! حتى ثَرَي الأرض في الدُّنَيا يُطاردُني**
**لولا انطلاقــةُ إيمانٍ تُحَلــِّقُ بــي وتَجْمــَعُ النُّــورَ في قَلْبي و تَسْكُنُني**
**ما عشتُ يوماً على أنقاض زائلةٍ تبيــعُ قيمتــها العُــليا بلا ثمــن** (٢)

صوَّر التهامي غربة الإنسان العربي في الحياة، وكشف عن ضــياعه، وعــن الحــصار المضروب على أفكاره في ساحة تعجُّ بالتيارات العنيفة المدجَّجة بالفكر الضال، ودعــاه إلــى التمرد على كل أشكال القهر والظلم، وإلى الحرص على المقاومة والتحــدي، وحمــل همــوم

---

(١) محمد التهامي : يا إلهي، ص ١١٩.

(٢) السابق ، ص١٠٧ – ١٠٨ .

الناس، ولفت انتباه المتساقطين على دروب الرذائل برحابة صدر وحسن توجيه، والمحافظة على قيم المجتمع ومثله العليا ؛ لأن من العبث تجريد الأدب أو الفنون من القيم التي يحاول التعبير عنها وعن وقعها في الحس الإنساني (١) ، يقول :

**فكيف أُطيقُ صَمْتي وهْوَ نَارُ ... وكيفَ يُريحُني في الصَّمْتِ صَبْرُ ؟**
**فَمِنْ قَدَري يسيلُ الشِّعْرُ قَسْراً ... وكيفَ أفرُّ مِنهُ و هْوَ قَسْرُ ؟**
**سَأعْصِرُهُ كَما تَبْغي اللَّيَالي ... وَاَشْرَبُ مِنْ جَنَاهُ و هْوَ مُرُّ**
**تُقَيِّدُني الحَوادثُ حيثُ حَطَّتْ ... ولا تَدْرِي بأنَّ الشِّعْرَ حُرُّ**
**يَصُوغ من الصّراعِ له حَيَاةً ... ولا يَثْنيهِ مَهْما كَانَ أسْرُ**
**فَإنْ غَامَت رُؤَى الأيَّامِ حَوْلي ... وضَلَّ عَلَي مَدي الأفْهامِ فِكْرُ**
**يَحُومُ الشِّعْرُ فَوْقَ الفِكْرِ حُلْماً ... له بَيْنَ الدُّجى كَرٌّ و فَرٌّ (٢)**

يرسم التهامي في قصيدته هذه بعضاً من معالم دور الشعر في قدرته على تجسيد الأفكار والمشاعر بأجمل الصور التي تنفذ بعذوبة وشفافية إلى القلب والروح ، فيصبح الشاعر صاحب دعوة وفكر ورسالة، يؤديها بواسطة الأسلوب الفني المؤثر في السامع والقارئ فيزيده حباً وشوقاً لأسمى القيم الإنسانية. والشاعر في هذه القصيدة يعبر عن تجربة الاغتراب الداخلي ، فتبدو في القصيدة روح الشكوى والبوح الذاتي الذي يمثل سمة وجدانية (٣).

تعبر قصائد الرثاء عن صدق الشاعر وانطلاقه في التعبير عن أحزانه وآلامه التي طالما رماه بها الدهر، حيث نكاد نلمس دموعه التي تتساقط على وجناته وهو يرثيهم بكل حرقة وانكسار ، يقول في قصيدة يرثي فيها البارودي مذّكراً بدوره في نهضة الشعر العربي :

**يا باعثَ الشِّعر قد أوتيتَ مَوْهبةً ... تَكْسو العظامَ بلحم نابضٍ و دَم**
**كأنما جئت دُنْيانَا بمعجزةٍ ... تُحْيى من الموت أو تشفي من السّقَم**
**تَجْرى المواهبُ باسم الله قادرةً ... مَجْرى النبواتِ في التحليق بالأمم**

---

(١) محمود الربيعي : حاضر النقد الأدبي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٥ م ، ص ٥٤.

(٢) محمد التهامي : يا إلهي ، ص٩٠، ص ٩١.

(٣) الشعر يشكل أجمل صور دعوات الخير ، ووسائل نشرها وإيصالها إلى أعماق القلوب والأرواح الإنسانية، وقد استطاع الشعراء والأدباء الواعدون رسم أسمى القيم الإنسانية في صحائف الدهر بخطوط خالدة ، وإيصالها إلى الأجيال اللاحقة ، فالشاعر لا يوصل القيم توصيلاً مجرداً ،ولا ينقل الأشياء كما هي ، إنما يوصلها توصيلاً ينطوي عن إدراك ذاتي متميز .
ينظر : جابر عصفور : استعادة الماضي دراسات في شعر النهضة ، ص ٤٥١ .

**والشعر في الكون كالسلطانِ يَحْكمه وســائر الفــنِّ للسلطــانِ كالحَشَــمِ** (١)

يرثي الشاعر أصحابه ويبكيهم ويصور هول الفجيعة التي ألمت بهــم ، ويتحــدث عــن صفات المرثي، وأحيانا يؤبن المتوفى بذكر أفعاله أو بذكر صفاته وحزن الكائنات والليل عليه، وعلى هذا المنوال يتحرك قطار قصائده على سكة مفعمة بالصدق والحرارة ، إذ نجــده يفــتح الباب الموصد على مصراعيه وبلغة شاعرية تتألق فيها الصورة والمــضمون يــضع القلــق الإنساني تحت المجهر ، فيقول:

**و كنتَ عندي ضياءً في تألقه يَذوبُ ما امتَدَّ في دربي من الحَزَنِ**
**أراكَ حينًا و أحيانًا أرى قَبَسًا من بعضِ نورِكَ تحتَ الليلِ يَشمَلُني**
**ما كنتَ يومًا ضنينًا في تآلُفِنا بل كَنت تَسْعــدُ باللُّقــْيا و تُسْعِدني**
**ما ذقتُ غصة أيامي و قسوتها إلا لأنــك مــن لُقيــاكَ تَحــْرمُني** (٢)

اتسم شعر التهامي بالواقعية النابعة من كل ما يشكل وجدان الأمة وفكرهــا وقيمهــا ومــا تكابده وما تواجهه ، من الحياة الحقيقية التي يعيشها العربي والمسلم في كــل مكــان حيــث يصور واقع المجتمع بكل أبعاده، مما يعني أن عطاء الشاعر يشكل إضافة مهمة لرصيد الشعر الحديث والمعاصر، الذي يخضع - ككل التجارب الإنسانية - لمصفاة التاريخ، فيبقي منه مــا يعيش مؤثرا في الأجيال القادمة ، ففي القصيدة الحقيقية ليست هناك مسافة بين ما هــو ذاتــي وما هو عام، توجد المسافة حين يكون الكاتب بعيداً عن الحياة الفعلية؛ لأن في الكتابة الحقيقية تكون كل القضايا مهمة ، لكن الذي يجعلها صغيرة أو كبيرة هو مستوى الكتابة ، الشعر أكثــر قربا من أحاسيس الإنسان الأولية الفطرية ، ومن ذلك هذه الأبيات من قصيدة " يا أمي " :

**من قطرةٍ .. قطرةٍ من قلبك الحاني قد صــوَّر اللهُ يا أمــاه جُسماني**
**ما كنت شيئاً وفي أحشائك أبدَعَني ومن كيــانك والأعضــاءِ سوَّاني**
**وأنزل الــروح بُنياني وقد مُزجتْ من روحك العذب وانسابتْ لبنياني**
**وكنــت أوَّل مــن هــزَّتهُ فرحتهُ لما تحــرك مِني بعــضُ إنســان** (٣)

كانت لوحاته الإنسانية التي تحاور علاقة الإنسان بالعالم الخارجي تلامس جوهر الحيــاة فكانت حافلة وهي تفتح واجهة الصراع بين الذات والواقع الصعب، فأشعاره صــرخة مدويــة

---

(٤) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ١٥٣ .

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص٦٨٢.

(٢) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، المجلد الثاني ،أغاني العاشقين ، ص٣٧٣ .

تجوب شوارع المدن العربية المحتدمة بالمعاناة السياسية والفوضى وقتل الحلم، فكانت صوره الشعرية تتدافع نحو الواقع ؛ لتكشف عن ثقل الليل وعن عذابات الإنسان ، إن للثورة سبيلاً غير الانكفاء على الذات ؛ أي إلى المشاعر الذاتية الانعزالية المجترة آلامها وأحلامها بعيداً عن المجتمع (١) .

لم ينس التهامي مشاعره تجاه قضاياه الخاصة ، ولم يباعد التزامه بالقضايا العامة بينه وبين شجونه الخاصة ، وإنما غنى لذاته وعبر عن أشواقها ؛ وصور ما تكابده في أحايين قليلة، حيث تنصهر الذات في المجتمع ؛ لأن الذات على عظمتها هي جزء من المجموع ، وإنها تتأثر به وتؤثر فيه ، وهاهو في قصيدته " دعوة الخلاص " يقول :

**والعاجزُ . الإنسانُ . يُسْرِعُ خَطْوهُ ... ويَظُنُّ أن وصولَهُ إقْدَاما**
**وخُطَاهُ قَدْ رُسِمَتْ ، وَ حُدِّدَ سيرُها ... خَلفَا تدورُ بها الخطي وأماما**
**ومشيئة الرَّحْمنِ في أعماقها، ... ومسيرنا قد أحْكِمَتْ إحْكَاما**
**مَلَكتْ زمامَ النَّفْسِ فينا مثلما ... مَلَكَتْ لسير الحادثات زِماما**
**وَتَفرَّدَتْ - في حِكْمَةِ عُلْوِيَّة - ... بالسِّرِّ قد ضَرَبَتْ عليه لِثاما**
**وملاذُنا .. قَلْبُ يطيعُ .. و دعوة ... تسعى.. بأبوابِ السما تَتَرَامى (٢)**

اعتمد التهامي على العفوية في صور حسية وبصرية ممتزجة بمشاعره وذاته ، محاولاً أن يبقى جدياً قريباً من واقعه إلى درجة الالتصاق بالإنسان والمجتمع ، فلا ينسى في غمرة ذلك ما يواجهه الإنسان العربي من عثرات ، ولا ضير أن يعالج الأديب قضايا بيئته ، ولكن الضرر البالغ في أن يقصر أدبه على ذلك وحده ، وأن يصبح الأدباء صورة واحدة مكررة ، فلا يتغنى الأدب بالجمال أو الطبيعة أو الفن المجرد (٣) .

بين دفتي ديوان " قطرات من رحيق العمر " قصائد متصلة بمشاعر الشاعر المتألقة وأحاسيسه المتدفقة ، قصائد متعلقة بالكون البهيج، حيث الربيع الزاهر ، والظلال الوارفة والغصون المخضبة بالندى ، ممتزجة بمشاعره ووجدانه ، يقول في قصيدة " أنا والربيع " :

**حَدِّثوني عن ربيعٍ يَسْتمرْ ... وأخْبروني .. أي عُمْرٍ لا يَمُرْ؟**

---

(١) حسين مروة : دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي ، مكتبة المعارف ، بيروت ١٩٨٨م ، ص ٧٧ – ٧٩.

(٢) محمد التهامي : أنا مسلم ، ص٩٤ .

(٣) محمد عبد المنعم خفاجي : مدارس النقد الأدبي الحديث ، ص٢٠٨

**وصفوا لي الحسنَ لم تعبثْ به عثــراتٌ مــن خُطى دَهْرٍ عَبَرْ**
**وقفوا بالدَّهــرِ فــي أفْراحكــم ودعُــوه مــا استَطعْتُمْ ينتظِرْ**
**لن تَروا غيرَ رِكــابٍ جامــحٍ وجــَوادٍ مــن ربُا الحُسنِ يفرْ**
**هذه الروضةُ فــي أعْراسِــها بــين سِحــرٍ و غناءٍ و سَمَرْ**
**كلُّ طــيرٍ قــد تَغَنّــى شــاديًا وتمــادَى في غنــاُه و اسْتَمَرْ**
**يُرقص القــلبَ عــلي أنغامه ويَهُــزُّ الــروحَ هــزِّ المُقْتَدِرْ**
**ويــُذيب الســِّحــر في ترديده ثم يَمْضَي لا يُبالي مَنْ سَحَــرْ**
**والــبرايا كــلُّها مــن حــَوله تتغَنَّــى كــلُّ قــَلْــبٍ بــوَتــَرْ (١)**

إن المتلقي الذي يمر بذات الحالة سوف يكون انفعاله وتجاوبه مع الأبيات كبيراً وعميقاً، وإحساسه بأنه هو وليس الشاعر الذي يقول تلك الأبيات لشدة انطباقها علــى حالتــه ، وهــذا العبء لا يتمثل في كون القصيدة بنية جمالية، منقطعة إلــى هاجــسها الــشعري المحــض، ومتماهية معه فقط، بل يتمثل في شيء آخر أيضاً هو طاقتها المتجهة من ذات الــشاعر إلــى ذات المتلقي ، وفي وقعها على الآخر سواء كان هذا الآخر ذاتاً أو موضوعاً.

لقد ظل الشعر، عبر القرون، يحتفظ بحيويته الكبرى ، فظل رفيقاً للإنــسان فــي جهــده العضلي والعقلي والوجداني طوال رحلته من كهفه إلى الحقل، ومن حقله إلى المدينة، وكانــت القصيدة مصباح روحه الذي يبدد وحشة القلب ، وقصائده برمتها قائمة على حق البــشر فــي الحياة ، وحق البشر في الحرية وحقهم في أن يحتضنوا أبنــاءهم دون أن تختطــف القــذائف هؤلاء الأبناء فليس في تدمير البشرية فخر ، فلا يكون الإنسان معول هدم لأخيــه الإنــسان ، وحقهم في العيش أحراراً وأن ترسخ حقوق الإنسان في كل مكان شرقاً وغربا ،وتنبذ الحروب ويسعى الناس لكسب أقواتهم دون قهر أو تسلط :

**فتعساً للأُلى شغلــوا البرايا بفكرٍ، كــلُ ما يجنــيه مــر**
**يُلوِّح بالمهالــك ضــارياتٍ تضجُّ لها النفوسُ وتقشعر**
**فمنها ، تصبح الدنيا جحيماً وفيها الناسُ والأقوات جمر**
**وفيها تُقلَب الدنيــا فــيرمى - على أنقاضها - بطن وظهر**
**يُهدِّمهــا فلا تــبقى حيــاة لغــير مُشوه يُؤويه جُحر**
**ويزهــو أن يطاوعَه سلاحٌ إذا دوَّى فكلُ الكــون قبر**
**ويفخرُ أنه أضــحى قــديراً وهــل في قدرةِ التدمير فخر**

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص٦٦١ - ٦٦٢ .

**ويسقي الشرَّ للإنسان صرفاً فينبتُ عنده ناب وظُفر**
**وينهشُ غيره نهشاً مَريراً كمن أغراه بالأعداءِ ثأر (١)**

يركز الشاعر في قصائده على مضامين إنسانية تمس حياة البشر، وترتبط بإيمانه وعقيدته، مما يكسب أشعاره زخماً ، ويكسب الصور الشعرية جمالاً ، لتعبر بشكل دقيق عن هذه المضامين وعن الحاضر الدامي ، والمعاناة الشديدة، والدماء المبذولة الغزيرة والأحزان المتدفقة التي يستعر أوارها في النفوس، فكل أولئك ثمن ومقدمة لمستقبل وضيء يرسم الشاعر ملامحه ، فالشعور بالمأساة صفة تلازم كل من يتفاعل بصدق مع الواقع الاجتماعي، إنه حالة منسجمة مع طبيعة النفس الإنسانية، وليس من الضروري أن يسوق صاحبه إلى التشاؤم والشعور بالضياع - إذ الفرق بينهما واسع- وهذا ما لم يفطن إليه بعض الأدباء عربياً وعالمياً ، فتشاءموا بدعوى الشعور بالمأساة ، واتهموا كل متفائل بالبرجوازية والسلبية تجاه مشاكل المجتمع ، والجدير بالذكر أن الشعور بالمأساة يتحول عند الشاعر المسلم بعكس التيارات الوجودية والعبثية إلى رافد يمده بالتفاؤل بشروط البقاء والاستمرار، إنها الصبغة القرآنية التي تخرج من السلبي -حسب مفهوم الناس - بذور الإيجاب والنماء (٢) ، ففي قصيدة " الإنسان" يقول :

**والحائرُ الإنسانُ يصْلَى نارَها وخُطاه مضطربُ المسيرِ ضريرُ**
**يتَرنَّحُ الإنسانُ .. تُرْهِقُه الخُطى فالسَّيْرُ في شَوْكِ الحياةِ عَسيرُ**
**يَجْتازُ معركةَ علي جَنَباتها يَعْلو صُراخٌ ضَارعٌ و زئيرُ**
**تَتَشابكُ الأصواتُ حَتى أنَّها تُعْيي العقولَ، فيَذْهَلُ التفكيرُ**
**لكنَّهُ الإنسانُ ،أقْدَم راضياً واختار، حين تَعَرَّضَ التَخْييرُ**
**والأرضُ والجَبَلُ الأشَمُّ تَراجَعا أمَا السماءُ فَرَدَّها التقصيرُ**
**وتقدَّمَ الإنسانُ نحو مسيره يُغْرِيه لِلْبَرِّ الأمينِ عُبُورُ**
**فَمَنِ اسْتطاعَ فللخلودِ مآلُهُ ومكانُه فوق السماءِ أثيرُ (٣)**

إذا لم يكن الشاعر صورة لمجتمعه ، مرآة لشعبه تنعكس على شعره حياة أمته وملامح مجتمعه لا يستحق البقاء والخلود ، وإذا لم يكن الشعر تعبيراً انفعالياً عن أحداث الزمن

---

(٢) محمد التهامي : أنا مسلم ، ص٦٥.

(١) ينظر : محمد إقبال عروي : جمالية الأدب الإسلامي ، ط١، المكتبة السلفية بالدار البيضاء ، المغرب ١٩٨٦م، ص٥٧-٦٣ .

(٢) محمد التهامي : أنا مسلم ، ص٨٠.

ومسايراً للحياة الإنسانية ، تتغنى صوره بشخوصها في التعبير عن المعاني الراقية بعيداً عن الأساليب التقريرية والخطابية، ومفعماً بالمشاعر والأحاسيس لا يعد ذلك شعرا . يقول فاروق شوشة في مقالة بعنوان " عموديون يسبحون ضد التيار : " هذه هي لغة التهامي لا عجمة فيها ولا هشاشة ولا تردد، وتكاد تنقل إلي قارئها صوت صاحبها وهو يهدر بها ساعة كتابتها كأنه ينشد قصيدته وهو يسكبها علي الورق، فتحمل هدير الإنشاد وجلجلة الإلقاء، هذا الإنشاد وهذا الإلقاء مسئولان - إلي حد كبير - عن اختيار مفردة بدلا من أخرى، وصيغة بدلا من أخرى، وقافية بدلاً من أخرى ، ليتحقق للسياق الشعري الوضع الذي يتسق مع حالة الإنشاد ، والجرس الذي يلائم نشوة الإلقاء، في مثل هذا الشعر الصافي الرائق، يمكن التماس شاعرية محمد التهامي وهي في أكثر حالاتها تدفقاً وانسياباً واقتدارا ً ، وابتعاداً عن الظل الذي خلع عليها قدراً كبيراً من الجهامة ، وهو الأمر الذي لحق من قبله بشعر العقاد، فحجب عن الناس أنه شاعر من طراز كبير؛ لأن هذه الجهامة التي شارك فيها العقاد نفسه جعلت قراءه يقبلون علي نثره ويبتعدون عن شعره، ويحرمون اكتشاف حجم التفرد في شاعريته، ونفسه الإنساني في العديد من القصائد البديعة التي نجت من جهامة العقاد ! فهل ينجح محمد التهامي في إبعاد ما لحق بقصائده من صفات الصخب والجلجلة والخطابية ؟ واستصفاء الكثير من قصائده ذات النفس الذاتي الوجداني والإنساني الهادئ والعميق في ديوان يحمل مختارات من شعره، تجعل قراءه من الأجيال الجديدة أكثر قدرة علي اكتشاف حقيقته الشعرية، التي ظلمها مرتين مرة بالابتعاد الطويل عن نشر دواوينه وأخرى بالاستجابة الفورية لصخب العصر وقضاياه الزاعقة، وإغلاق الطريق أمام شجوه العميق، وهمه الكوني والإنساني ! (١) ، نعم ، لقد تميزت أشعار التهامي بهذه الخاصية ، لعلاقتها بموضوعات فرضت نفسها على تجربته ، موضوعات عبرت عن حجم الواقع الصعب ، الذي يعيشه العربي المسلم ، وكمية المعاناة التي يواجهها ، فهجمة المستعمرين وأطماعهم متتالية ، وأشكال السيطرة مختلفة ولا تتوقف ، فحرص التهامي على تنبيه العربي وتثويره وتوجيه طريقه ، واستنهاض همته ، لمواجهة كل الأخطار المحدقة به متأثراً ومؤثراً ، لكن هذا لا يعني أن التهامي لم يكتب شعراً وجدانياً ذاتياً عبر عن نفسه الإنسانية ووجدانه ، واكتشف حقيقته الشعرية ، ومن ذلك يقول :

**فصرتُ لا شيءَ في الدنيا يعلِّلُني ولا نداءَ حياةٍ دبَّ في بَدَني**
**أعيش في خدَرٍ جفَّت مَلامسهُ وأغْرق الروحَ والأعضاءَ في العفن**
**أذوقُ من قسوةِ الأيامِ حُرقتها حتى تَرَدُّدُ أنفاسي يُعذِّبني**
**أكادُ أصرخُ في قفراءَ عاويةٍ يا ليتني في حساب العَيشِ لم أكن (١)**

---

(١) فاروق شوشة :عموديون يسبحون ضد التيار ،صحيفة الأهرام، العدد ٤٢٦٥٠ ،الأحد - ١٤ سبتمبر ٢٠٠٣م .

**القضايا الوطنية :**

تطورت دلالة كلمة الوطن في لغتنا العربية من الدلالة على السكن إلى الدلالة على منزل الإقامة ، والوطنية تعني حب الوطن والشعور بارتباط باطني نحوه ، وأيضاً ارتباط الفرد بقطعة من الأرض تعرف باسم الوطن (٢) ، والاتجاه الوطني في الشعر هو المنحى الذي يعرض فيه الشعر شؤون الوطن والمواطنين، ويعكس مواقف النضال والقوة والعزة ضد المستغلين والمستعمرين، ويعالج مواطن الضعف والتقصير، ويدافع عن الجماهير وحقوقها وتراثها، وينافح عن مقدساتها وحريتها واستقلالها بجرأة وعناد، من غير أن يؤثر فيه ترغيب أو ترهيب" (٣) ، ويربط محمد محمد حسين بين الوطن والشعب، فيرى " أن الشعب كلمة برزت في قاموس الشعر، واقترن ظهورها بظهور الحركة الوطنية الجديدة، فأصبح شعراؤها يستعملونها في مقابل مرادفها القديم، الرعية " (٤) .

فالإنسان محب لبيئته ووطنه وهو متمسك بهذا الوطن، يحن إليه ، ويدافع عنه ، ويبذل في سبيله كل غال ورخيص للذود عن حياضه (٥) ؛ ولذا ينطلق الشاعر فيما يكتب من موقع جغرافي خاص به، ويكتسب هذا الموقع عنده سمات خاصة تميّزه عن غيره من المواقع والأماكن، وغالباً ما يرتبط الشاعر بعلاقات حميمة بالمكان الذي نشأ وترعرع فيه، وتنعكس هذه العلاقات فيما يبدع، كما يؤثر المكان في خطاب الشاعر؛ فالشاعر يستحضر صوره الشعرية من كل ما هو ماثلٌ في المكان الذي أحبه، وارتبط به ارتباطاً مشيمياً، فالمكان – الوطن- ودلالاته وإيحاءاته وإيماءاته هو من أهم العناصر التي تسهم إسهاماً عظيماً في تشكيل

---

(٢) محمد التهامي ، يا إلهي ، ص ١٠٧ .

(١) ينظر :محمد عطوات : الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر من ١٩١٨-١٩٦٨، ط١، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٢٥٥.

(٢) السابق ، ص٢٥٧.

(٣) ينظر : محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، ج١، ط٣، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م، ج١، ص٨٧.

(٤) ينظر : محمد إبراهيم حور : الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، د - ت ، ص١٨ .

القصيدة الشعرية ونسيجها وبنائها، ولذلك فإن المكان –الوطن- يصبح عند الشاعر هوية تاريخية ووطنية ونفسية واجتماعية وثقافية ، من ذلك ما نراه في قول التهامي :

**يا مصرُ كَمْ حَنَتْ إليك قلوب وكمْ ارتوى من راحَتيْكِ حَبيبُ**
**صفحاتُ مجدكِ منذ ما قرأ الورى عنوانهن الحبُّ و المحبوبُ**
**و بماءِ نيلك منذ طابَ مَسيلُهُ الخيرُ و الحبُّ العميقُ يذوبُ**
**للنَّاس و الزَّرعِ النَّضير وللحصَى والرَّمل من حبِّ الحياةِ نصيبُ**
**وفؤادُنا يحكي شواطئ نيلنا فَرِحُ بأشواق الحياةِ خصيبُ (١)**

ملكت مصر على التهامي مشاعره وأحاسيسه ووجدانه ولبّه، وغدا كل شيء فيها مثار اهتياجه وتعلقه، وتركيزه ، ويعدّ التركيز على المكان كظاهرة أسلوبية في بناء القصيدة من جوهر الشعر، فالظاهرة المكانية تتصل اتصالاً وثيقاً بالصورة الشعرية، والمكان بجمالياته ودلالاته هو المسرح الحقيقي الذي تصاغ في معمله الصورة الشعرية، وهو الموضع الذي يحوي في زواياه وتضاعيفه تشكيلات مكانية وفكرية (٢) ، ومن ذلك قوله:

**خَلُوا الضُّلوعَ بِحِضْنِ الأهْلِ تَقْتَربُ تَشْفي قُلوباً من الأشْواق تَلْتَهبُ**
**فيها حنانُ رحيمُ الدِّفْءِ مُحْتَشِدُ يَذوبُ في لَفْحَةِ اللُّقْيا وَ يَنْسَكِبُ**
**فَكَمْ تَأبَّتْ علي الأنْواءِ تَجْذبها وإنْ تَهَادَي نسيمُ الأهْلِ تَنْجَذِبُ**
**تَطْوي الشِّراعَ و تَرْسُو في مُلامَسَةٍ يَنْسَي الحَيَارَى لديها أنَّهمْ تَعبوا**
**ويَجْمَعُ الحُبُّ أشْتَاتاً مُبَعْثَرَةً إذا تَلاقَتْ تَوارَتْ خَلْفَها الشُّهُبُ (٣)**

بين الإنسان والمكان الذي ينشأ فيه، ويعيش فيه سنينه الأولى علاقة تنبض بالحياة والمحبة، وتبدأ هذه العلاقة بمحاولة تعرّف الإنسان على مكونات المكان وملامحه وجمالياته، ومن ثم يحاول أن يتآلف وينسجم مع المكان الذي أحبه، ثم ينتقل إلى مرحلة التعاطف والتواصل معه والانتماء إليه ، لقد عشق شاعرنا القاهرة منذ أن بدأت حياته في قلبها، فسكنت قلبه بل جرت فيه مجرى الدم من الجسد ، ولذلك كان لزاماً عليه أن يصورها في شعره لما منحته إياه من مظاهر الخصب والحياة ، ومن خلال تصويره للمكان الذي أحبه وأقام فيه يعكس نفسيته، ويكشف عن دواخلها واتجاهاتها وانتماءاتها ، فلا غنى للقصيدة عن المكان؛

---

(١) محمد التهامي: الأعمال الكاملة ، ص٦٤٦.

(٢) ينظر : ياسين النصير، إشكالية المكان في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ط١، سنة ١٩٨٦م ، ص٣١٥.

(٣) محمد التهامي ، يا إلهي ، ص١١٤.

فهي من دونه تفقد خصوصيتها بل بنيتها، ذلك لأن القصيدة "بنية زمانية ومكانية ([1]) ، ذلك ما نراه في معظم شعره الوطني ، ومنه قوله :

**أَدْعو وقَدْ مَلأ الرَّجــاءُ حَيَاتــي ... أدْعو بِقَلْبٍ ذابَ في دَعَواتــي**
**أدْعو لمصرَ و قد تَنَاثَرَ حَوْلَهــا ... زَبَدٌ من الأحْقــادِ والنَّــزوَاتِ**
**زَبَدٌ يُؤَجِّجــُهُ العِــداءُ لِشَعْبِهــا ... والحِقْدُ و الحَمْقَى من النَّكراتِ**
**زَبَدٌ يُوَزِّعــُهُ العَمَــى أَنْفَاسُــهُ ... مِنْ نَافِثاتِ الحِقْدِ في الظُّلُمَاتِ ([2])**

تمثل مصر بالنسبة للتهامي تراثه وتاريخه وحاضره وكيانه ومستقبله، هي كل شيء فــي حياته، هي الهواء الذي يتنفسه، هي الحياة التي يحياها، وهي ليست قريبة من قلبه فحسب بــل متوحدة فيه، تخفق بخفقانه، وتنزف بنزيفه، وقد انصهرت به والتحم بها التحاماً كلياً .

إن الأديب لا يستطيع اعتزال مجتمعه ، والابتعاد عن قضايا الناس ومشاكلهم وهمــومهم وآلامهم، فهو كما يرى طه حسين " كائن اجتماعي، لا يستطيع أن ينفرد، ولا أن يستقلَّ بحياته الأدبية، ولا يستقيم له أمرٌ إلا إذا اشتدت الصلة بينه وبين الناس، فكان صدى لحياتهم، وكــانوا صدى لإنتاجه " ([3]) ، فالعلاقة بينهما جذرية، لا يمكن لأحدهما أن يستقلَّ فــي وجــوده عــن الآخر، فالأديب يستلُّ مادته من واقعه الاجتماعي والسياسي ، وأفراد المجتمع يجدون صورتهم منعكسة في أدبه.

الأديب لا ينشئ أدبه لنفسه فحسب ، إنما لبيئته التي يعيش فيها أيــضاً ، ويــستمد منهــا آراءه ومعتقداته ومبادئه، ولذلك فإنه يعدّ المسؤول الأول عن تقدم مجتمعه أو تأخره باعتبــاره مشاركاً ومؤثراً فيه، ولذلك فإن المبدع الحق "بكونه إنساناً وفناناً لا بد من أنه سيخلص لواقعه الاجتماعي باعتباره واعياً الوعي الناضج لما يدور حوله، راصداً بحدقته الثاقبة أنواع الصراع حوله متحملاً مسئوليته بأمانة وصدق، على أن تكون هذه المسؤولية وهذا الإحساس نابعين من وجدانه الشاعري" ([4]) ؛ لأن الإنسان مكمل لبيئته وهي مكملة له ، في نشأته وتطــوره ومــن هنا كان لذلك الأثر الكبير في أخلاقه وتكوينه النفسي واستعداده الفكري وإبداعه العقلي ([5]) .

---

(٤) ينظر :عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، دار العودة ودار الثقافة ، بيروت، د - ت ، ص٥٨.

(١) محمد التهامي : يا إلهي ، ص١١٧ .

(٢) فصول في الأدب والنقد : دار المعارف بمصر ، د- ت ، ص٨.

(٣) ينظر : رجاء عيد : فلسفة الالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، ص٩٥.

(٤) ينظر :محمد إبراهيم حور : الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي ، ص١٢ .

صور التهامي في شعره العلاقة المتينة التي تربط المجتمع المصري بكل طوائفه ومعتقداته وانتماءاته وتوجهاته ، وأكد في أكثر من مقطوعة شعرية ترابط الشعب المصري ووحدته ، فالمأساة والمعاناة وحدت المجتمع ضد قوى الاستعمار التي تهدف إلى اقتلاع كل طوائفه ، ومن ضمن قصائده قصيدة يصور فيها صمود مدينة بور سعيد المصرية ، وشجاعة الشعب المصري في مواجهة العدوان الثلاثي ، وتصديه للقوات المعتدية ، صور الشاعر في هذه القصيدة انتصار المقاومة في بور سعيد على أنه انتصار للأمة ، كما أن الشاعر يدعو إلى بعث الروح الوطنية ، فيقول:

**قسماً بشعبك بور سعيد ... قسماً بموقفك المجيد**
**وبرايةِ الأبطال ينقلُها الشهيد إلى الشهيد**
**وجماجمُ الأعداء تهوي فوقَ أرضك كالحصيد**
**والثابتين لديك والدنيا بمن فيها تميد**
**قسماً بعزمِك في النضال وروح أهلك في الصمود**
**فلأنت روح من تراثِ النيلِ شامخة الوجود** (١)

لا تتعارض الهوية الوطنية عند التهامي مع الدعوة للانتماء للعروبة والإسلام ،بل إن تعزيزها يساهم في إذابة الانقسامات القائمة داخل البلاد العربية على أساس طائفي أو قبلي أو عرقي ، حيث تصبح الوحدة الوطنية داخل كل وطن عربي أساس الدعوة للوحدة العربية، وحيث يكون الولاء للوطن الواحد أرفع درجة من الولاء للطائفة أو القبيلة أو العشيرة ، لقد عمقت قصائده إحساساً بالقضية الوطنية ، وأضاءت بعض جوانب الصراع من حيث غناها بالفكر ،والتجربة الإنسانية، لقد وظفت القصيدة الحدث بشكل أقام علاقة منطقية بين الشعر والحياة وبين الإنسان والحدث .

تمتد على طول الديوان تنويعات التهامي على قيثارة الوطن ، ولأن النيل يمثل الحياة بالنسبة لمصر ولأهلها (٢) ، أنشد التهامي في ديوانه " أغنيات لعشاق الوطن " الكثير من القصائد في هذا السياق ، ففي قصيدة " مسيرة النيل " يصور بأسلوبه الشعري البديع صنيع النيل وهو يجري بأمر الله حيث شق الطريق لمياهه ، وحطم الشم الرواسي بيمينه ، وأحال تلك الشوامخ سهولاً مبسوطة ، وبعث الأرض الموات (٣) :

---

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٧٦ .
(٢) قال هيرودوت قديماً كلمته الصادقة : " إن مصر هبة النيل" .
(٣) ينظر : بدوي أحمد طبانة : كوكبة من شعراء العصر ، ص١٥٩ .

**أجراك ربــُك بالحيــاةِ ، وطالمــا نبتتْ حياةُ الناسِ حيث تسيلُ**
**وحبــاكَ قدرةُ صانعِ هذا الثــرى فمضتْ يمينُك للجبالِ تهيــلُ**
**فإذا بها وهــي الشوامخُ تنحنــِي وإذا بها فــي راحتيْك سهولُ**
**وإذا الصحاري القفر تفتحُ صدرها وتصولُ أنت بصدرها وتجولُ**
**وتحيلها وهــي العبــوس بشاشــةً خضراء يقطرُ ريقها المعسولُ** (١)

كذلك لم يقصر التهامي في إطرائه أو إشادته بدعاة الإصلاح من رجال السياسة أو أبطال الجهاد ، بل عني بتمجيد طائفة من أعلام المفكرين والعلماء والأدباء والشعراء وأرباب الفنون في مصر ، من الذين عاصرهم ، والذين ذاع صيتهم ، ودوت أسماؤهم فــي أجــواء الحيــاة الفكرية والثقافية والأدبية والفنية ، وشهد لهم بطول الباع وعمق الأثر فــي نهــضة الــوطن وتربية العقول وإمتاع النفوس ، ووصف كل واحد منهم وصفاً دقيقاً ، مجــد فيــه نبــوغهم ، وأشاد فيه بمواهبهم (٢) ، من ذلك مثلاً قوله في البطل أحمد عبد العزيز من شهداء ١٩٤٨م:

**يقيــنٌ بنفسي أنــَّك اليــوم راجــعٌ وأنــك واع مــا أقــولُ وســامــعُ**
**فما أنت بالثَّاوي على مضجعِ الرَّدى ولا أنــت بالفاني الذي هــو ضائعُ**
**فمثلُك لا يَقوى على هَضْمه البلــى وعزمك لا تُطوى عليــه المضاجعُ**
**فقد كنتَ ، بل ما زلت وثبــةَ قــادرٍ تحدَّى، وقد هانت لديــه الموانــعُ** (٣)

استرجع التهامي حياة المبرزين الذين ازدانت بروائح سيرهم صحائف التاريخ ، من قدامي ومحدثين ، حيث أنتجت عقولهم وأخيلتهم الروائع المعجزة ، التي أرست دعــائم الحــضارة ، فهو حين يحاول إظهار حزنه عله يستنفده فيقوى على مواجهة الحدث ، بعد أن يقنــع نفــسه بتصديقه ، إلا أنه لا يقوى على ذلك ، وبهذا تظهر عواطفه ،فيطلق العنان لمــشاعر الحــزن والخسارة والفقدان عبر انفعالات متداخلة تتكامل فيها العواطف ، وتتكثف الصور ، فيقــول في مرثية للعقاد :

**فقدْ أدركت أنــك عبقريٌّ وأن الــلــهَ أولاكَ العــنايهْ**
**وأن العلمَ بين يديك حقٌّ وإن فــاتــك الدرس الرعايهْ**
**وأنك قــادرٌ حتماً عليــه ولأن كفاحَكَ المُضني هوايهْ**
**وأن إرادةَ الإنسانِ ترمي على صِدق فلا تنبو الرمايهْ** (١)

---

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ،ص ١٢٥- ١٢٦ .
(٢) ينظر : بدوي أحمد طبانة : كوكبة من شعراء العصر ،ص ١٧١ .
(٣) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ١٤٤ .

وفي ظل هذا التلازم العميق بين الوطن والمواطن شكل الشاعر نصوصه الشعرية ، وتوهجت شعلته وهو يؤدي لحن العاشق للوطن، قاوم الريح العاتية والاستبداد والسقوط ، إنه الحب والانتماء الذي يضرب بجذوره في أعماق هذه الأرض، ويستطيل فوقها شموخاً بالماضي التليد ، وازدهاراً بالحاضر المجيد ، حيث تتفجر من كيان التهامي الكلمات لتصنع أنشودة جميلة، تجسد أجمل معاني الانتماء والحب ، وشواهد ذلك عديدة ، نذكر منها قوله:

**يا ربِّ باركْ في طهارةِ شعبنا وارحم مسيرتهُ من العقباتِ**
**حتى يواصلَ للكفاحِ خلاصَهُ حرَّ الضميرِ مباركَ الخطواتِ** (٢)

## قضايا العروبة :

ينسب العرب إلى يعرب بن قحطان أبو اليمن كلهم ، وهم العرب العاربة الخالصة، ويقابلهم العرب المستعربة الذين سكنوا بلاد العرب - الجزيرة العربية - وتكلموا العربية، والعرب هم الذين استوطنوا القرى والمدن وقيل سمي العرب عرباً ؛ لأنهم سكنوا وادي العربات بفتح العين والراء، وأقامت قريش بعربة فتنحت بها وانتشر سائر العرب في جزيرتها فنسبوا كلهم إلى عربة (٣).

إن المتتبع لمدلول كلمة العرب لا يجده واحداً على امتداد التاريخ ، كانت كلمة العرب قبل الإسلام تطلق على سكان جزيرة العرب ، ولما توالت الفتوحات ، وتتابعت هجرة القبائل العربية إلى الأمصار المفتوحة على اختلاف أسبابها، وانتشر الإسلام شيئاً فشيئا وانتشرت معه اللغة العربية التي لا غنى للمسلم عنها في معرفة دينه ، وإقامة شعائره ، وحفظ كتابه ، وأصبح الإسلام دين السواد الأعظم من سكانها ، وكادت لغات البلاد القديمة تُنسى بعد أن أقبل الناس على العربية ، وعلى توالي الأيام زاد امتزاج العرب في الأمصار بأبناء البلاد بالتصاهر وبتداخل المصالح واختلطت أنسابهم بتوالي الأجيال ، من أجل ذلك كان التفريق بين العروبة والإسلام لا يستند إلى أساس فالإسلام هو الذي أعطى للعرب لغتهم ووحدهم عليها ، وعلى القيم التي تضمنها كتابه وسنة رسوله ، فالتفت قلوبهم وعقولهم وأمزجتهم على ما يحلون وما يحرمون وما يحبون وما يكرهون وتوحدت أنماط حياتهم في عباداتهم وفي

---

(٤) السابق ، ص١٨٥ .

(١) محمد التهامي : يا إلهي ، ص ١١٨.

(٢) ابن منظور : لسان العرب ٥٨٨١/١.

أفراحهم وأحزانهم ([1]) ، يدعو التهامي أبناء الأمة العربية للعودة لأصولهم العريقة ، والتحلي بصفات العربي العزيزة الكريمة ، وأن يكونوا وحدة واحدة متماسكين موحدين ، بعد أن أصبحوا شيعاً متفرقين ، فلا نفاق ولا حقد ولا حسد ولا بغي وظلم ، ومن ذلك قوله :

**عودوا إلى أعمق الأعماق في دمكم ... تلقوْا عروبتَكم في الدم تتَّقدُ**
**تلقوا عروبتكم حباً وتضحيةً ... ووحدة لجدارِ الحق تستندُ**
**فيها عروبتُنا الشماء صادقة ... فلا نفاقٌ ولا حقدٌ ولا حسدُ**
**بناءةٌ حرةٌ بيضاءُ ما ظلمتْ ... ولا على أحدٍ فيها بَغَى أحدُ ([2])**

يدرك التهامي أن الأمة العربية هي الأمة الوحيدة بين أمم كل العالم الإسلامي التي لا يصحّ التناقض فيها بين الإسلام والانتماء للعروبة ، وهي تتميز بهذا عن بقية الأمم الأخرى ولو كانت أمماً مسلمة. وبينما الإسلام هو دين وحضارة للعرب المسلمين، فانه حضارة وتاريخ وتراث للعرب غير المسلمين. لقد مثلت الوحدة العربية الشخصية الجماعية المتميزة للأمة العربية عن غيرها من الأمم بفضل واقعها التاريخي واللغوي والثقافي والاجتماعي ، بما فيه من أهداف ومصالح وتقاليد وعادات ؛ لينتمي إليها كل إنسان يتكلم اللغة العربية وينتمي إلي التاريخ والمجتمع العربي ، فإذا كنا ننكر المبادئ العنصرية والقومية ، فإنا نرحب باتحاد العرب وتعاونهم وتمتين أواصر القربى بينهم على أساس الإسلام ، فالعرب هم مادة الإسلام ، بلسانهم نزل القرآن الكريم ، ومنهم اصطفى الله عز وجل الرسول الذي بعثه إلى الناس كافة بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ؛ ولهذا فلا يمكن فصل الإسلام عن العروبة ، وليس عجباً أن يكون تفكير العربي الصادق في عروبته تفكيراً إسلامياً ([3]) ، ويرى التهامي أن لا خيار للذين تاهوا من الأهل إلا بالعودة لحضن العروبة التي ترحب بهم محبة موحدة شملهم وصفوفهم ، فتشرق الحياة من جديد :

**قلْ للذي عن ظلالِ الأهلِ يبتعدُ : ... بابُ العروبةِ مفتوحٌ لمن يفدُ**
**ومنهلُ الحبِّ في أعتابه عجبٌ ... سلْ عنه ، سلْ عن حُمياهُ الأُلَى وردوا**
**تلقَ العروبة روحاً مسَّهُم جَسَداً ... فأشرقت بالحياة الروح والجسدُ**
**وصاحَ بالحبِ فيهم صوتُ رائدِهم ... فأوقِظُوا ، فأحسُّوا الحبَّ فاتحدوا ([4])**

---

(٣) ينظر :محمد محمد حسين : الإسلام والحضارة الغربية ، ص ٢٢٧ - ٢٣١.

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ،ص٣٤٤.

(٢) ينظر : علي محمد جريشة ومحمد شريف الزيبق : أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، ط٣ ، دار الاعتصام، المدينة المنورة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ، ص ٧٩ .

(٣) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص٣٤٢.

تبقى موضوعات التهامي منتمية لقضايا الأمة ، ومنها الدعوة إلى نهضة الوطن العربي وتحرير طاقاته والانتماء إلى كل ما يتصل بماضينا وتاريخنا من جذور ، وتحقيق الوحدة وتجسيدها تجسيداً فعلياً، والدعوة إلى نبذ الفرقة والتشتت، فيذكرهم بماضيهم المشرق الذي سادوا فيه العالم ؛ لأنهم كانوا متحدين متآلفين ، بينما أتاح تفرقهم الفرصة لعدوهم كي يحتل أرضهم ويستعمرهم ، ويغرس فيهم الطائفية وتعدد العرق والاختلاف في الفكر والانتماء ؛ لأن القوى الاستعمارية أرادت بكل هذه التناقضات انصراف أبناء الأمة عن عقيدتهم ودينهم، ومن هنا كان التهامي صوتاً داعياً لوحدة الأمة والاعتزاز بتاريخها وحضارتها :

**فالدارُ دارٌ بكل العرب شامخة ... كيانُها كالجبال الشُّم منتصبُ**
**يسعى الكبارُ إليها فهي ندُّهُمُ ... وعندها ما بَنَى أبناؤها النُّجُبُ**
**تسعى إلى الحق لا ترضى دنيتهم ... ولا تخونُ ولا من شأنِها الكذبُ**
**هذه الأصالةُ فينا لو نُمارسُها ... جمعاً ونَسعى لما استعصَى لنا طلبُ** (١)

ليس الانتماء للعروبة للوحدة العربية عند التهامي عنصرية عدوانية توسعية كما كان الحال عند بعض الشعوب الذين نشئوا في ظل الأنظمة الغربية ، بل كانت أداة للتحرر والاستقلال والوصول إلى حياة أفضل ، وظلت هذه الفكرة تنمو حتى برزت في النضال ضد المستعمر للتحرر من سيطرته ، ومن استغلاله للأرض وخيرات البلاد، ومن استعباده السياسي والفكري وما يسببه من التجزئة الطائفية والعنصرية، فهي تعني الانتماء والاعتزاز بهذه الأمة بتاريخها وتراثها . فالعلاقة بين الإسلام والعروبة تقوم على أساس تعاقد روحي واجتماعي عميق دون أن يحمل معه أي معنى من معاني الاستعلاء بالجنس ، أو العداء للأجناس الأخرى ، بل على العكس يؤمن بالانفتاح والالتقاء مع القوميات الأخرى ، التي يجمعها معها وحدة فكر ، وأصول ثابتة لا سبيل إلى تجاهلها أو نكرانها ، ومن هنا فقد عجزت كل المحاولات عن جعل العروبة مناقضة للإسلام ، أو مصادمة للأمم الإسلامية غير العربية (٢) ، فالعروبة بطبيعتها وبحكم نشأتها وازدهارها والعوامل التي ضبطت هذا الازدهار والتطور هي عروبة إسلامية ، وقد ساهم في تطورها الحضاري على مدى القرون والأجيال عناصر عربية غير مسلمة ، ولكن مساهمتها ظلت في داخل الإطار الإسلامي ، ولم تجد هذه العناصر العربية من غير المسلمين غضاضة في أن تساهم في بناء هذه الحضارة في الحدود الإسلامية ، لأن هذه الحدود لم تكن تتعارض مع عقائدهم ، فالعروبة إذن شخصية

---

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٢٢٧ – ٢٢٨ .

(٢)ينظر : أنور الجندي : الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ، ص٢٥٠.

معنوية لها وجود تاريخي ذي مقومات ثابتة محددة لا لبس فيها ولا غموض ، وليست مولوداً جديداً تقترح له المقومات ، وتخترع له الأسس والمبادئ في مصانع دعاة العروبة على اختلاف أجنحتهم وزعاماتهم (١) .

إن التهامي الذي احترف الشعر والنضال العربي بعيد المدى ، وتحدث بمختلف شؤون الأمّة وشجونها، ووعى منذ حداثته دور أمته في التاريخ والحضارة والفكر، وآمن بأنّ حياة أمته الجديدة لن تكون إلاّ بالفهم الصحيح لحقيقة نفسها وتاريخها في ضوء نظرتها الأصلية إلى الحياة والكون والفن ، في محاولة منه للاقتراب من نبض الشارع .

يقول التهامي في مقدمة ديوان ( أشواق عربية ) : " والأمر الذي لا شك فيه ، أنه لا يختلف مفكر عربي أو أجنبي على أن الوحدة العربية هي طوق النجاة لكل العرب ، وهي طريقهم الوحيد إلى الدخول في المعترك العالمي الذي لا يرحم الصغار ، ولا يعترف إلا بالكيانات الكبيرة " (٢) .

حين اتجهت الشعوب العربية إلى وحدة تصون الكيان ، وتدعم الاستقلال ، أسهم الشاعر بقصائد تحث على الكفاح ، وأسهم بمقطوعات شعرية صفعت وجه الظالم ، وبددت عتمة البغي حباً في تحقيق الوحدة الشاملة ، والحياة الكريمة ، كما أسهم الشاعر في إيقاظ الوعي العربي وإبراز معاني الفداء والعزة من منظور إيماني ، ومنطلق إسلامي ، وأبانت أن الله أعز العربي بالإسلام ، فشيد حضارة مبنية على الحق والإيمان ، والشريعة الغراء ، فالإسلام لا يمنع من التفكير في شئون الوطن العربي ، وأن الدعوة إلى العناية بالأمة العربية وثرائها وثقافتها ، والتعاون مع الأشقاء العرب هي كلها من صميم الإسلام ، وأنها خطوة نحو تدعيم مجده القديم (٣) .

**يا ربِّ أنت خلقتَنا ووهبتَنا ... ديناً لديه شريعةٌ غراءُ**
**أرسلتَ بالدينِ الكريمِ محمداً ... قاد الهداةَ وكلُهم كرماءُ**
**أرسَو على الإيمانِ عِزةَ دينهم ... وتألقت قمم لهم شماءُ**
**شادوا على الحق البناء فأحسنوا ... ما بزَّهم في العالمين بناءُ**
**في قلبِهم نورٌ وفوقَ مسيرِهم ... أنَّى تَوَجَّه هِمةٌ قعساءُ** (٤)

---

(٣) ينظر : محمد محمد حسين : الإسلام والحضارة الغربية ، ص٢٤٥ - ٢٤٧ .
(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٢١٦ - ٢١٧ .
(٢) ينظر : محمد زكي العشماوي : الأدب وقيم الحياة المعاصرة ،ص٢٤٣ - ٢٤٤ .
(٣) محمد التهامي : يا إلهي ، ص٦٦- ٦٧ .

تشكل اللغة العربية جزءاً مهما من قضية الوعي العربي ، والانتماء إلى الإسلام ودستوره القرآن الذي نزل بلسان عربي ، وقد زادها القرآن قوة وغني وقواها بالعقيدة فثبتت أمام الغزاة والفاتحين ، وهزمت كل المتآمرين عليها ،وحملت في مواكبها الثقافة والأدب والعلم ، وقد أشاد التهامي بالذين ساهموا في توطيد دعائم الفصحى لغة القرآن والأمة ، من ذلك قوله في مرثية الشاعر عزيز أباظة :

**وارتادَ آفاقَ البيانِ مظفراً ... فيه ، فكلُّ فنونه مَيدانه**
**قد روَّض الفُصحى وأحسنَ صوغَها ... فأضافَ في أمجادِها إحسانُهُ**
**وأتاحَ للشعر الأصيل مكانَةً ... عليا رستْ بسمائها أركانُهُ**
**فالمحتوى فيه النبوغُ أصالةٌ ... وعلى مفاتِنه استوى بُنيَانه** (١)

إن التزام التهامي الإبداعي للأمة بكل ما تمثله فوق كل التزام ، لحرصه على تثوير وعي المتلقي ، وحلمه بالغد الذي ترتفع فيه راية الأمة عالية ،ويكون لها الدور الحضاري الريادي بين الأمم ، فظل ينتقد الواقع المهزوم ، والوضع الاستبدادي الذي أدى إلى الهزيمة ، ويكشف عن كل ما يؤدي إلى الانكسار على المستويين الوطني والعربي ، وظل يؤكد أن قضية وطنه مصر هي قضية الأمة العربية ، وأن العلاقة بينهما متبادلة ، فكل تقدم للوطن تقدم للأمة ، فكانت هذه الرؤية تزيده إيماناً بدور مصر في ريادة وقيادة العالم العربي نحو المستقبل وتحقيق أماني العرب في كل بقعة من الوطن العربي الكبير ، ومن ذلك قوله :

**وأنت يا مصر تسقينَ الهُدى غَدقاً ... ما شاب نيلكِ في أفواهنا كدرُ**
**إن سار فارسك الوثابُ مقتحماً ... فمنك ينطلقُ الإقدام والظفرُ**
**أو صانَ في السِّلم حقاً لا يضيعُه ... فأنت إلهامُهُ والفكر والنظرُ**
**يا مصرُ روحك فينا لا تفارقنا ... إذا توارى شهابٌ يَنبري قمرُ**
**تمضي المسيرة مثل النيل دائبة ... لا للمآسي ولا الأفراح تنتظرُ**
**نبني ونبتلعُ الأحزان في شَمم ... ونستوي وشغاف القلب ينفطرُ**
**فأنتِ يا مصرُ رمزُ الخلد ثابتة ... ونحن نمضي وتبقىعندك السيرُ** (٢)

---

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ،ص١٦٨.

(٢) السابق ، ص٢٠٤ - ٢٠٥ .

لقد حمل التهامي بين ضلوعه قلباً صادقاً ، وفي عقله فكراً راسخاً يتحدى مـا تواجهـه لياليه من صعاب بروح وثابة وأمل مضيء منحازاً إلى ما يحاصر هذه الأمـة مـن همـوم ، يرفض كل ما يحول بين الإنسان وحريته والوطن وكرامته ، فكان شعره منتمياً لأمته ، يـستند فيه إلى الوعي بإمكانات الأمة المهدرة ، وإلى البسطاء من أبناء الأمة الذين يبحثون بكـل مـا أوتوا من قوة عن متسع لهم على هذه الأرض ، ويحلمون بالفجر بعد ليل حالك، ممـا جعـل الشاعر يعيش إحساسًا عميقاً في نفسه وفي قصيدته :

**مهما تنمَّرت الأحداثُ واشتجرتْ وعَربَدت في دياجي ليلِنـا النـُّوبُ**
**وهزَّنا ليلُنا القاسـي وأوهَمـنا أن السـمـاءَ والأرض تضطـرِبُ**
**ففي دِمانا صبـاباتٌ مؤجـجـةٌ نبضُ المشاعرِ في نيرانِها حطـبُ**
**تُضيءُ في فحمةِ الدنيا وتتركها تُعلِّـم الليـلَ كيـفَ الليلُ ينسحبُ** (١)

طاف الشاعر المدن العربية وجاب شوارعها والتقى بأهلهـا وناسـها ، فأخـذت الأرض العربية ومدنها الكبرى دوراً رائعاً في قصائده بما تستدعيه الذكريات مـن معـاني ومـشاعر تتماهى مع انتمائه للأرض العربية ، فالمدن العربية في دواوين التهامي شكلت حيزاً كبيـراً ، حيث كانت في وجدانه إلهاماً أثرى تجربته ، وأضاف إلى فكرته زخماً ، وإلى انتمائـه للأمـة بعداً عاطفياً ظهر جلياً في قصائده الكثيرة والتي تذكر فيها أغلب المدن العربية من القاهرة إلى بغداد وحلب وعمان وجدة والقدس الأسيرة وتونس الجزائر والرباط :

**ركبـتُ إليكِ أشواقـي وحُبـي وجئـتُ لصـوتك الحاني ألُبي**
**وجئتـك يا رباطُ على اشتياقٍ فسارَ على هُدى الأشواق رَكبي**
**فمن دقـاتِ قلبـكِ مـن بعـيدٍ تصوغُ وجِيبـها دقـاتُ قلبـي**
**عشقـتُك في بعادك والتقـيْنـا فذقـتُ الحـبَّ في بعـدٍ وقربِ**
**وجدتُ لديـك حباً قـد تَنَاهـى وضاعَفَ في عناق القُرب حُبي** (٢)

تبعث هذه المعاناة في قصائد التهامي شعوراً طافحاً بالخذلان والأسى، تزيد حدته المفارقة القاسية بين ماضي الأمة العربية المتوج بالعز ، وحاضرها المتشظي على عتبـات المآسـي، فتبدو القصيدة في هذا المستوى ثنائية من فرح وحزن، حزن ينمو في حقول الحاضـر يقابلـه فرح يزهو بالماضي البهيج .

---

(١) محمد التهامي : يا إلهي ، ص ١١٥- ١١٦.

(٢) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٤٤٢- ٤٤٣.

إن الأمة العربية متعطشة إلى عزها التاريخي للتخلص من الراهن الذي يكبلها بقيود القهر والتخلف ، تسعى من أجل حياة كريمة تقوم على مبادئ أساسية ثابتة ، تتلخّص بتحقيق الحرية ، والالتزام بالواجب والنظام ، والاحتماء بعقيدة راسخة في إطار وحدة الأمة ، وهذه المبادئ تشكّل قضايا الطموح العربي كي يتم ارتقاء الأمة ، والخروج إلى فجر النهضة ، والأخذ بالنظرة الإسلامية إلى الإنسان والحياة والكون والفن ، ولو فعلت الأمة ذلك لغيّرت مجرى التاريخ ، من هنا كان فعل العقيدة والإيمان الأساس الأوّل في تكوين المجتمع العربي السليم ، يقول التهامي في قصيدة " تأملات في دمشق " معبراً عما يواجه الأمة من أخطار محدقة ، تتمثل في ضياع الأرض ونهب الخيرات ، داعياً أبناءها للحرص والبذل والكفاح :

**قدْ عربدَ الطوفانُ فوق جدارنا وأتى يفزِّعنا بشرٍّ محدق**
**يجتاحُ جدرانَ العروبةِ كلِّها ويعممُ الطوفانَ غيرَ مفرق**
**إن ضاعَ منا اليوم شبرٌ واحدٌ فغداً يضيعُ من العروبة ما بَقِي**
**ولكمْ حَرَصت على العروبةِ حرةً وبذلتِ في دربِ الكفاح المرهِق** (١)

الشاعر واحد من العناصر التي تكون شخصية الأمة الثقافية، فهو والحال هذه، رديف السياسة والاقتصاد والاجتماع والفن ، لقد بدا التهامي مسايراً للقضايا السياسية في العالم العربي كله، وهو ما جعله يفرد العديد من قصائده لثورة الجزائر والسودان ونضال الشام ومصر ، من هنا كانت الدعوة إلى أن يكون الأدب أدب الحياة ، أو أدب الأمة، يقوم على إدراك كنه الحياة ، فالأدب كلّه من نثر وشعر إبداع يقصد منها إبراز الفكر والشعور ، بأكثر ما يكون من الدقة وأسمى ما يكون من الجمال ، فالأدب ليس الفكر عينه وليس الشعور بالذات .

برزت الهموم العربية في أشعاره نتيجة لاتصاله الواسع بالأقطار العربية وتنقله في أكثر دول الوطن العربي ، واطلاعه على قضايا الوطن العربي ، فنجد لديه الحماس نفسه عند تناوله لكل من هذه القضايا العربية، التي على رأسها تشتت العرب وفرقتهم ، يقول :

**يا ليتنا نَدْرِى المهالكَ حولنا ونرى ضَراوتَها ولا نَتَعَامَى**
**وَ نَرى المعاركَ .. بعضُها مشبوبةُ مِلْءَ الوجودِ، يُفَزِّعُ الأقواما**
**والبعضُ منها مُسْتَسِرٌّ غامضُ في العُمْق ،يَنْفُثُ سُمَّهُ الأسقاما**
**وخلاصُنا في أن نَفِيقَ وأن نَرى ونحسَّ عَيْشَا لا يطيبُ مَقَامَا**
**هم يعرفون- وما عَرَفْنا - اَمْرَنا حَتَّى غَدَوْنَا للنُّسورِ طَعاما**

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص٣٦٠.

**يَتَخَطّفونَ - و نحــن في أنيابهم - صــيدٌ تملَّكــَهُ الضــلالُ فنامــا**
**فــإذا صحــونا فارتِعــاشُ ذاهــلٌ مثلَ الذبيــح يُصــَارعُ الآلامــا**
**نهتَّز فــي وهَــجِ العــذاب كأنــنا ريشٌ . عــلى كَفِّ الرياحِ أقــاما (١)**

يوجه دعوته في قصيدة أخرى مباشرة إلى أخيه العربي، فيدعوه إلى العمــل والإقــلال من الخطب والكلام الذي لا طائل من ورائه، مذكراً الشعب العربي بمأســاة فلــسطين ، وأن تحرير فلسطين لا يتم بالكلام ؛ وإنما بالعمل ، وتعكس هذه القصيدة وغيرها شــعور الانتمــاء الصادق :

**وبيــن الروح و الجَســد التِقاءُ لكلٍّ منها - في الكون - دَوْرَ**
**وحكمتُــك القــديرةُ في تَــلاقٍ مــن الضّدَّيْنِ لا يَعْرُوهُ جــَوْرُ**
**فللعيش الــذي نَحْيــاهُ شِطــْرٌ ولِلْغَيْبِ الــــَّذي نَرْجوه شِطْرُ**
**وتَحْتَ حِمَى رِضائك، لا رجاءٌ يخيبُ، ولا طريق المَجْد وَعْرُ**
**وترعَانَا المَشيئــَةُ فــي كِفَاحٍ وراء العُســْر في دُنْيَــاه يُسْرُ**
**ونَسْعَــى في مَنَاكِبِــها بِعَــزْمٍ دَؤُوبٍ، لا يَــهــُون ولاَ يَقــرُّ**
**نُحَصِّلُ ما نُحَصِّلُ في انطــلاقٍ ودون تجاوز المَقْــدور حــَظْرُ**
**نَقــُومَ علــي مَسارحنا اختياراً وفيها - لو يبَينُ الســِّرُّ - جَبْرُ**
**وفي الإيمان راحــةُ كلِّ نَفــْسٍ لمــا تُبْدي الحَياةُ، و ما تُســِرُّ**
**نُطِيعُ - وأنْتَ رَحمــن البَرايــا - ومــن أرْضاك لَمْ يَمْسَسْه ضــرُّ**
**وطاعَتُكَ الطــريقُ إلــي رِضَاءٍ عيــون الطــائعــينَ بِــه تَقَــرُّ (٢)**

تستطيع الأمم الحية أن تتجاوز هزائمها ، وقد شهد تاريخ الأمة القــديم بــذلك، فهــي إن اتحدت في الهدف، وخلصت النيات، وعفت على العوائق، تستطيع أن تستعيد الحقوق باقتــدار. تبدو الأمة العربية في سبات وهي تكتفي في حاضرها بالبكاء، لكن في غد يتغيــر الموقــف، ويعتد الشاعر بالشعب في التغيير المنشود، وهو صادق في تصوره ذاك، لأن شــعوب الأمــة العربية لم تزل في معظمها لا تملك أمرها، أحب التهامي العروبة ، فتتــاول فــي شــعره السياسي قضايا الوطن الكبرى ،فكان شاعر الوطن الذي حين أدمته خناجر الهزيمة وجد فــي

(٢) محمد التهامي : أنا مسلم ، ص ٩٤.
(١) محمد التهامي : أنا مسلم ، ص ٦٧.

حنجرته أول صوت يصرخ ، وأول الناهضين من تحت الركام، وواحدا من الكبار الذين هزوا وجدان الأمة العربية .

يحث الشاعر ويدعو كل العرب إلى الاتحاد وينبههم أن ما أخذ بالقوة لا بد أن يسترد بالقوة ، وأن روح التمرد في النفوس لا بد أن تظل قائمة شديدة التوهج لتحرق في القريب العاجل العدو فتحوله كالهشيم ، ولا يستطيع أحد أن ينكر أن أي أديب لا بد أن يستوحي مضمون أعماله من ظروف المجتمع الذي يعيش فيه ، و يتأثر بأحواله فيضع يده على نقاط الضعف و القوة ،و يرى ما لا يراه الشخص العادي (١) .

لقد آمن التهامي بأهمية وحدة العرب ، وأنه لا سبيل للنهوض بالأمة والتخلص مما يواجهها ، ويحدق بها من أخطار إلا التكتل والاتحاد ورص الصف ، ففي قصيدة " الهدى والضلال " يعرض الشاعر أحزان هذا العالم العربي ، بل والإسلامي ، متنقلاً من ذهول إلى ذهول ، ومن اضطراب إلى اضطراب ، معبراً عن الحيرة التي يعيشها المواطن العربي، موضحاً أن الدين والتمسك بالعقيدة هو الضامن لهذه الأمة ، وهو سبيل الخلاص من كل ما يواجهها :

**حارَ الدليلُ و أعْيَتْنَا مسيرتُهُ ... ما عاد يعرفُ منْ يُمناه يُسَّراهُ**
**الآخرون إلي أهدافهم وَصَلوا ... و المسلمونَ علي أنوارهم تاهوا**
**نَلْقَي عدوَّيْنِ قَدَ ساقا الهلاك لنا ... كلٌّ تَعاونَ بالثَّاني وَوَالاهُ**
**هذا يهُاجمنا جَهْرَاَ و نعرفه ... وذاك يَنَفُثُ سُمِّا ما عرفناه**
**يهزُّ إيمانَنا هَزَّا و يتركنا ... مثل الضَّريرِ الذي خانْته عَيْناهُ**
**وُيلْبسُ الحَقَّ بالبُطْلان يَخْدَعُنَا ... فلا رُسُوٌّ علَيَ برٍّ قَصَدْنَاهُ**
**كُلُ المذاهب والآراءِ مُشْرَعةٌ ... تَبْغي الصّدَامَ ولا تَأْبَهْ لعُقْبَاهُ**
**يَصَّارعَونُ علَي خُلْفٍ يمزِّقُنَا ... نحن الضَّحَايا بلا ذَنْب جَنْيْنَاه**
**ويزعُمونُ ويا بئْسَ الّذي زعموا ... أن الَذي فعلوه قد رَضيناهُ**
**ونحن نؤمن أنَّ الدين مَرْحَمةٌ ... وديننا الحبُّ و الرحمنَ أوحاه**
**ومن أضرَّ بصفٍّ كانَ يَجمَعُنا ... ففي جهنَّم - مَهْمَا كانَ - مَثْوَاهُ** (٢)

---

(٢) ينظر : نبيل راغب : التفسير العلمي للأدب - نحو نظرية عربية جديدة ،الشركة المصرية العالمية للنشر، ص٢١٤.

(١) محمد التهامي : أنا مسلم ، ص٣٠.

تعبر أشعار التهامي - التي تمثل نهجاً عروبياً -عن مأثرة في هذا المجال ، فقد كانت دعوته إلى اتحاد الأقطار العربية هاجساً يملأ مخيلته ، أجل إنه من الضروري للبلاد العربية جمعاء أن تتحد وتتضامن ، وهل لنا قوة ندفع بها غائلة العدو الداهم من غربي وصهيوني وغير صهيوني إلا بهذا الاتحاد ، ولعل ما جمعه من معاني وأفكار في كل باب طرقه يدل على تميز نادر في الفهم وقدرة فائقة في الإدراك ، وسعة في المعرفة ، وجلد في التدقيق والبحث من أجل اكتشاف ما هو مفيد ونادر ليصل إلى ما يصبو ويريد ، مما جعل ذلك يتراءى في قوله:

**إن القـوىَّ هو اتحـادُ كِيانـنا فأَنا و أنت ،صنَعْتَهُ، و صَنَعْتُهُ**
**من نور أحلامي و طول تَطَلُّعِي وحصـادِ أيَّامي الطوالِ جَمَعْتُهُ**
**من كل ساعةِ شـدَّةٍ قَضَّيْتُهـا مـن كل وَمْضَةِ مَخْرَجٍ أَلْهمْتُهُ**
**من قبضَةِ السَّجَّانِ، من جَبروتِه مـن قَسْوة الطُغْيانِ قد أَخْرجْتُهُ**
**من خَيْر أوطاني يسيـل لغيرها ولَها الجفافُ، عَصرْتُه و شَربْتُهُ** (١)

إن بعد الانتماء لهذه الأمة ، والرؤيا الثاقبة في قراءة المستقبل تتجلى لدى التهامي في كثير من قصائده بحكم انتمائه العميق لهذه الروح العربية وماضي هذه الأمة العريق ، فالعمل الأدبي تجسيد لنقطة جوهرية في الحاضر تلتقي التقاء عضوياً بأنسجة حيوية بعضها ينتمي إلى الماضي ، وبعضها ينتمي إلى آفاق غير مرئية في الحاضر نفسه ، وبعضها يرهص بالمستقبل إرهاصاً أشبه بالفروض العلمية ؛ لأنه يدخل في تشكيل الأدب عوامل لا صلة لها بهذا الواقع الذي تصوره ، عوامل تتصل برؤية الكاتب المبدع التي تستمد من قيم متصلة بطرق الإحساس والتفكير والتأمل، وكيفية التشكيل ، وعوامل تتصل بنظام اللغة وقوة الكلمات ، وأساليب الأداء (٢) ، لم يكن التهامي قومياً في الإطار الفكري الرافض للقيم والشرائع الدينية أو من أولئك العروبيين الذين يجردون العروبة من الإسلام على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم ، أو من الإسلاميين الذين يسيئون الظن بالعروبة بدعوى أنها تفتت الوحدة الإسلامية وتشق عصا المسلمين المجتمعين على الإسلام ، بل هو عربي مسلم بكل ما تحمل هذه الكلمات من معنى ، فالعرب هم أقرب الناس بين المسلمين إلى تحقيق وحدة جامعة بحكم اللغة المشتركة التي تربط بعضهم ببعض من ناحية ،والتي تربطهم بأصول الدين الإسلامي من ناحية أخرى (٣) .

---

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ،ص ٢٦٥ .

(٢) ينظر : محمود الربيعي : قراءة الشعر ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٧ م ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

(٣) ينظر : محمد محمد حسين : الإسلام والحضارة الغربية ، ص٢٥٣.

يسعى التهامي إلى وحدة الأمة العربية لتتكامل طاقاتها وتتضافر جهودها ؛ ليساهم كل ذلك في حل مشاكلها والتخلص من أطماع الغزاة في أرضها ومواردها ، فالتهامي بفطرته النقية وإيمانه وورعه وتقواه ينتمي إلى الأمة العربية والإسلامية بما تمثله من مجموع القيم والمثل العليا ، والقومية في إطارها الفكري عند البعض تستوحي فكرها مما قد يتناقض مع الشرائع الدينية ، يقول جورج أنطونيوس في كتابه يقظة العرب متحدثاً عن منشئي هذه الفكرة : " لقد غرس هؤلاء بذرة القومية والوطنية ، وبعثوا حركة مستواحاة من تاريخ العرب ومآثرهم ، تستهدف مُثلاً قومية بدلاً من المُثل الدينية والطائفية " (١) .

أرق الشاعر هول المأساة التي ألمت بالأمة التي ترفض الضيم وتعشق الحرية ، فكانت قصائده في ديوان " أشواق عربية " دعوة إلى تأصيل المبادئ الوحدوية، فهو من دعاة اتحاد الدول العربية ومؤيديها فالاهتمام بالقضايا العربية كان بارزا لديه ، فبدت الروح العربية في أكثر من موضع مرتبطة بالإحساس بالانتماء العربي والحس الديني الذي تتجلى صوره في النص الشعري المختار وهذا يعبر عن قوة إيمان الشاعر بعقيدته وبعدالة السماء في انتصارها للمظلومين والشهداء .

## قضية فلسطين :

لا ريب أن مأساة فلسطين قد هزت نفوس العرب والمسلمين جميعهم ، وتأججت فيها قوية ، وجعلتهم يعيشون مأساة الحرية ومأساة الإنسانية المعذبة في بلادهم ، فأضحى الأدب العربي أدب الكفاح والنضال المرير وأدب المقاومة والتحرر ، تنضح به حياة العرب كما ينضح هو بها ، لكن الأديب العربي يعيش إلى جانب المأساة الفلسطينية مآسي السياسة في بلاده ومآسي الحياة الاجتماعية الداخلية ، ومشكلات الفقر والجهل والمرض ، والبطالة المتفشية وسائر المشكلات التي تعانيها البلاد وتتذمر منها (٢) .

فلا خيار للشاعر اليوم، إن كان يريد أن يكون شاعراً، إلا أن يكون منحازاً إلى قضايا أمته. وذلك هو أبهى مظاهر الانحياز. ولا يشك عاقل أن بؤرة قضايا أمتنا هي فلسطين. فلسطين العقيدة والتاريخ والهوية والشعب ورمز الشهود الإنساني ، ولذلك فالدفاع عن فلسطين دفاع عن الوجود الإنساني والكينونة الحضارية. ليس لأحد أن يمنّ على فلسطين بأنه قدم في

---

(٤) جورج أنطويوس : يقظة العرب- تاريخ حركة العرب القومية ، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، دار العلم للملاين، بيروت ١٩٧٨م ، ص١٦ .

(١) ينظر : أحمد أبو حاقة : الالتزام في الشعر العربي ، ص٣٦٩- ٣٤٠.

سبيلها ماله أو عمره أو ولده أو حياته، بل هي التي لها أن تمنّ علينا ؛ لأنها هي وحدها التي أعادت إلينا بهاء وجودنا الحضاري عبر الجهاد المتواصل لأبنائها ، شيباً وشباناً، كباراً وصغاراً، رجالاً ونساء.

مازال الشعر العربي منذ تلك الفترة التي أعقبت إنشاء الدولة العنصرية على الأرض العربية يؤدي دوره كاملاً في إذكاء الهمم وإلهاب المشاعر ، ولم يتخلف شاعر قط عن القيام بدوره المفترض ، فظلت القضية الفلسطينية القضية الكبرى التي تشغل العالم العربي وتشغل المكان المهم في الصراع الدولي ، ولم يجد العالم الحل المناسب لها ، ولذلك فقد كتب على الشعب الفلسطيني خاصة والعربي عامة الدفاع عن كرامة مضاعة وحرية مسلوبة وحق منتزع (١) ، فتآمر الكل غرباً وشرقاً على فلسطين وأهلها ، واستخدمت بريطانيا الانتداب على فلسطين لتسهيل تدفق الهجرة الصهيونية ، فتمكن الصهاينة من الاستيلاء على المناطق الخصبة ومن تأسيس مستعمراتهم وإقامة صناعاتهم ، وأخمدت المقاومة العربية والثورة ، وأخذت السلطات البريطانية تجرد العرب من الأسلحة وفي الوقت نفسه تساعد الصهاينة على التسلح (٢) ، فكانت قضية فلسطين المحور الأساس في قصائد الشاعر التهامي منذ بدايته الشعرية ، لأنها تعتبر قضية العرب والمسلمين الأولى، وتمثل صراع الحق مع الباطل، فأطلق هذه الصيحة الغاضبة منذ أخرج العرب من ديارهم في فلسطين محاولا استثارة حماستهم لتحرير فلسطين من الاحتلال ، ليهبّوا من هذا السبات الذي شارك في صنع المحنة ، فلا يحيد عن المبدأ الذي رسمه فهو الصواب والحق لذلك كان الأجدر بالثبات ؛ لذلك استصرخهم لنجدة فلسطين مثل قوله :

**كم عذب الليل أجفاناً وقرحها ... كم حنَّ للفجرِ سهرانٌ ومرتقبُ**
**وصاحبُ الحق عارٌ أن يطاوعَه ... نومٌ إذا بات هذا الحقُّ ينتهبُ**
**وصاحبُ الجرحِ ما أغفى ، وكيف له ... أن يستريحَ ونارُ الجرح تلتهبُ؟**
**إن عللَ النفسَ بالسلوان أرَّقها ... فوقَ الجراحِ دمٌ مازال ينسكبُ**
**نفديك بالرُّوح يا منْ صاح في شَمَم : ... نفدي فلسطينَ إنَّا كلنا عربُ (٣)**

تظل القدس رمزاً شاملاً لكل فلسطين، ولكنه إذ تتداح فيه دائرة الدلالة تتقاطع في مركزها ادعاءات اليهود الصهاينة بأنها العاصمة الأبدية لهم وحقائق التاريخ، فهي منطلق

---

(٢) ينظر : مفيد قمحية : الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر ، ص٢٠٨ .
(١) ينظر : جورج انطونيوس : يقظة العرب ، ص٥٣ .
(٢) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص٢٣٦ .

الصراع الأيديولوجي والإسلامي والعربي ، منها يبدأ الصراع وإليها ينتهي، إنها ليست مجـرد مدينة من مدن فلسطين فحسب، بل هي رؤيا شكَّلها احتدام الـصراع علـى منحنـى زمنـي ممتد،القدس شيء آخر ليس له علاقة بهذه الهواجس، إنها رمز إسلامي خاص وديني عـام ، وإنساني وسياسي ووجودي بكل المقاييس ، لذا كان الشعراء يعالجونها من زوايا مختلفة، لكـن المحور الرئيس في هذه المعالجات جميعاً " القدس الرمز الديني والوطني" ، فيقول التهامي :

**فلا نَشْتَهى غيرَ نـَومِ الجريحِ لِنَسـلَمَ من وَخَزاتِ الإبرْ**
**نُطَـيـِّرُ لـلقـدسِ أحـلامَنا لتـَحْيا بمجدٍ لها قد غَبَرْ**
**فَنَعْـدو و فـي حَلْقـِنا غُصَّةُ تُعَلِّمُ من قد وَعَى و اعْتَبَرْ (١)**

فالقدس هي تجسيد لوضع تاريخي يعبر عن مأساة شعب، وتعبير عن مـشاعر مكلومـة ووجدان يتلظى حرقة وألماً، إنها رؤية رومانسية تتشكل في فضاء الألم الـذاتي والإنـساني، حيث استخدم الشاعر عبارة " نُطير للقدس أحلامنا " ليلفت انتباه سامعيه إليه، ثمّ يخبرهم بنبرة تملؤها غصة عالقة أن هذه البقعة المقدسة مدنسة من رجس الغاصب المحتل ، ويُهيب التهامي بسامعيه طالباً منهم أن يُترجموا جوابهم عملاً وكفاحاً ، ويهبوا بكل ما أوتوا من قـوة لنـصرة الشعب الأسير حريته ، مثبتاً أنه يعيش عصره فرحاً وترحاً، تطربه أهـازيج أمتـه، وتبكيـه آهات قومه .

تعانقت القصيدة مع المدفع ، والكلمة الشاعرة مع البندقية من أجل عودة فلـسطين الأبيـة وعاصمتها القدس الشريف ، فالقدس والأقصى شيء له حضوره الواضح في شعر التهامي بما تمثله للفلسطيني والعربي والمسلم من معان عظيمة ، فالقدس منطلق الـصراع الأيـديولوجي والإسلامي والعربي، منها يبدأ الصراع وإليها ينتهي، والقدس أو الأقصى في قصائد التهـامي هي تجسيد لوضع تاريخي يعبر عن مأساة شعب ، وتعبير عن مشاعر مكلومة ووجدان يتلظى حرقة وألماً، يقول في قصيدة " القدس " :

**و يا صخـرةَ لامستْها السَّمَاءُ فلا هِـيَ نُورٌ و لا هِي حَجَرْ**
**ولكنَّها بيـن حِضْـنِ السماء وحِضْنِ التُّراب لـها مُسْتَقَرْ**
**تُضـئ و تَغْـلِبُ كـلَّ الضياءِ إذا قَـلَّ في جَنْبِها أو كَـثُرْ**
**تُضـئ و فـي قَلْبِـها زَيْتُها وتَحْسُدُها الشَّمس قَبْل القَمَرْ**
**وتُـوزن بالـدُّرِّ أحْـجَارهـا فَتخْجَـلُ منها كـرامُ الدُّرَرْ**
**بها خَفْـقَةٌ من جنَاحِ البُراق تَبَقَّى تَوهُّجـُها و اسْتَـمَرْ**

(٣) محمد التهامي : يا إلهي ، ص٥٤- ٥٥.

تُصلِّي علي جانبيها الريــاحُ ويَغْسِلهــا بالعطــور المَطْر
تُعيد حَفِــيفَ جــناح يطيــرُ لــغير قداستِهــا لم يطــرْ
و من قَبْل أن تَسْتجيب الرياحُ لإِنْــس علي مِنْكَبَيْها عَــبَرْ
إلي القدس حيث تجَلَّي النداءُ فــكلِّ نــبيٍّ كريــمٍ حــضَرْ
وأول داع أقَـــامَ الصــلاةَ أدار إليهــا التفــاتَ النَّظَــرْ
ولولاك ( مِــكةُ ) ما فــاَتَها ولا غَابَ عَنْها اشتياقُ البَصَرْ (١)

أدرك التهامي أبعاد المعركة الدائرة بينهم وبين الصهاينة، وسخر الكثيــر مــن قــصائده ونتاجه للمقاومة فجاء شعرا قتالياً دفاعاً عن كرامة الأمة ووجودها، وقد كان لنكبة فلسطين أثر بليغ في شعره فهي التي جعلته شعر العروبة والوطنية والإسلام ، هذا ما يبدو جلياً في قصيدة " القدس " فهو شعر غضب وثورة لا شعر شكوى وأنين ، والشعر العربي بعد نكــسة يونيــو بالذات أعطى أروع نتاجه حيث استطاع أن يعبر بصورة أكثر عمقاً عن المــضمون الأصــيل لحركة التحرر الثورية العربية، فدخل التحدي لأجل العروبة وباسمها مجال الممارسة اليوميــة وحيز التطبيق الفعلي لأخذ الثأر بالدم وبالقصيدة وبالحجر، فشكلت القضية الفلسطينية بجراحها النازفة وما ترسمه من ثنائية المقابلــة بــين الطغيــان الــصهيوني والبــسالة العربيــة أروع الصفحات، وقد عبر التهامي عن الفعل الثوري بواسطة صورة البطل الخارج مــن شــريحته الاجتماعية التي نذر نفسه من أجلها، حيث تجلت صورة أطفال فلــسطين بمــا تــسلحوا مــن حجارة، لتصبح سهاماً تحرق الصهاينة وتحقق النصر ، في مثل قوله:

وحــين تخلــتْ عمــالُيقنا تولَى الصــدامَ ذواتُ الخــفر
تســنُّ العصافيرُ منقارَهــا وترمي على الدارعين الحجر
وتهرعُ عند دوي الرصاص إلى عشِّها في أعــالي الشجر
كــأن الحصــاةَ بمنــقارها رمــى خــالدٌ سهمها فانتصر
كأن الأبابــيلَ فــي صــفها تعبــئُ أحجــارها مــن سقر (٢)

تختلف فلسطين عن أية بقعة أخرى في العالم، في أنها أرض مقدســة عنــد أصــحاب الديانات السماوية الثلاث، وكانت رسالة الإسلام خاتمة الرسالات السماوية التي جعلــت مــن عقيدتها الإيمان بالإسراء والمعراج، حيث عرج النبي من القدس إلى السماوات العلا، والإسلام يحترم العقيدتين ويوقر أنبياء كل منهما، على أن ما جاءوا به يصدر عن مشكاة واحدة، ولــذا

(١) محمد التهامي : أنا مسلم ، ص٤٦.
(١) محمد التهامي : أنا مسلم ، ص ٤٧ .

سالم المسلمون الأوائل أتباع الديانتين – أهل الذمة - ولم يتعرضوا لأماكن عبادتهم، وكانوا أمناء على أرواحهم وأموالهم وبيوتهم ودور عبادتهم ، هذا ما يؤكده التهامي فيقوله:

**إنا عباد الله مِلْءُ قلوبنا ... طه، موسى، المسيحَ، مريمُ**
**وجميعَ أصحاب الكتاب طلائعُ ... مِنَّا علي النهْج القويم تقدَّموا**
**لا نحمل الضِّغْنَ الشّقيَّ لبعضهم ... أبدا ولا نَبْغِي ولا نتهَجَّم**
**فالكلْمةُ البيضاءُ كلَّ دعائنا ... والله يهدى من يشاء و يرحمُ**
**هذا دعاء المسلمينَ وإنَّهُ ... من كل أدواء التعصَبُّ بَلْسَمُ**
**و بلادُنا دار الجميعِ فكلُّهمُ ... متقلِّبُ في خَيْرها يَتَنعَّمُ**

**إنْ كان قَسَّمَهم هنالِكَ دينَهم ... فقلوبُهم في الحب لا تَقسَّم** (١)

ليست الحرب غاية عند التهامي ، إنما هي وسيلته لاسترداد الحق المسلوب وصيانة الكرامة ، فلسطين هي الوتر الحساس الذي يضرب عليه التهامي في كثير من قصائده ، فلسطين هي موسيقى الأمة، والأمة في قصائده تظل هاجسه الكبير في وحدتها التاريخية أو في فعلها الحضاري، وبذلك استحوذت قضية فلسطين على جانب كبير من تجربة التهامي الشعرية كإنسان عربي مسلم ، بما تمثله من شرف وكرامة ، وعبر عن ضياع فلسطين وطرد شعبها من دياره وممتلكاته في غير قصيدة من ذلك حديثه عن ضياع العزة والكرامة العربية مع ضياع فلسطين ، ومقابلته الماضي الكريم بالحاضر الذليل في قوله (٢) :

**إنّا وقد صُنَّا كرامة عِرضنا ... عن قُدرة لا نضمر الأحقادا**
**لا نبتغي الحَربَ الضروسَ هواية ... لا نبتغي قَهراً ولا استِعبادا**
**لكننا في الحق أهل قضيةٍ ... لم نألُها في العَالمين جهادا**
**حقُ الفلسطيني في أوطانه ... حقٌ تألقَ نورهُ وازدَادَا** (٣)

تمثل فلسطين الجرح الدامي في جسد العروبة حيث تذبح كل يوم، لكنها عند الفجر تولد من جديد، كذا أهلها تذبح أحلامهم كل مغيب لتبعث قوية وثائرة في اليوم التالي، إنها قوة الإرادة التي خصهم الله بها منذ عرفوا ، فهم الوحيدون من أبناء الأمة في واجهة الحرب أمام العدو المتوحش إسرائيل الذي يدعي السلام ، فالنكبة الفلسطينية تحمل في طياتها مواقف كثيرة

---

(١) محمد التهامي : أنا مسلم ، ص ٧.
(٢) ينظر : مفيد قمحية : الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر ،ص٢٠٥ .
(٣) محمد التهامي :الأعمال الكاملة ، ص٧٠.

يمكن أن تتحول إلى رؤية مأساوية من ناحية ورؤية بطولية من ناحية أخــرى ([1]) ، فقــول التهامي في قصيدة "دم السلام في الحرم الإبراهيمي " يعبر عن ذلك:

**يا ربِّ هذا الجُــبن فى لوثاتِه يَطْغي علي أقداســنا و يُدَمْــدِمُ**
**أصْلى الجبانُ الساجدين بنارِهِ هل بعد هذا في الورَى من يأثَمُ؟**
**قد ذابَ في نار العداوةِ قلــبهُ فتضرَّمَتْ فــي راحتيه جهنــَّمُ**
**يستنبتُ البغضــاءَ في خَطواتِه أنى مشــى فهو البغيضُ المُولمُ**
**ألقَى قناعَ الزَّيْفِ عــن إنسانِهِ فَبَــدَا كشيطــانٍ يُغــَذِّيه الــدَّمُ**
**قالوا: السَّلامَ ،و لُطّخَتْ أيديهمُ بِدَمِ الســلامِ فليتهمْ مــا سَلَّموا ([2])**

يعكس هذه الرؤية المعذبة بلغةٍ قوية جزلة معبرة ، تنتقد الأوضاع العربية والحكومــات الرجعية وقد استنكر الشاعر كل أنواع المصالحة مع اليهود المغتصبين لقبلة المسلمين الأولى، فحاول إيقاظ الأمة، لكي تعيد أمجادها كما كانت عليه في العصور السابقة .

لقد اتخذ الكفاح من أجل تحرير فلسطين عدة أشكال ، منها حمل سلاح ، وحمل الحجر ، وحمل القصيدة وترديدها على مسامع الناس ، ولم يكن نضال الشعراء أقل شأناً مــن غيــره ، إنهم يعملون على تحريض الشعب عبر الكلمة الثورية الصاخبة مؤمنين أن الثورة هما الــدرب الأوحد للخلاص والحرية. إن الأمة بحاجة إلى كل شعر تحريــضي؛ وإذا قــال الله تعــالى: " وحرّض المؤمنين"" ([3]) ، فلا كان الشعر إن لم يقم بوظيفة التحريض، التحريض ضد كل مــا هو قبيح وبشع وشر، التحريض ضد الظلم، ضد البغي، ضد الاستسلام، ضد الهزيمــة، ضــد الركون إلى الحلول الترقيعية المستوردة، ضد الذين يركنون إلى الذين ظلموا يقولون نخــشى أن تصيبنا دائرة، ضد الذين يوالون الكفار ويتخذونهم أولياء من دون المؤمنين، ضــد الــذين يسرقون عنب الخليل، وبرتقال يافا، ويغتالون عصافير الجليل، وحمــائم القدس،ضــد الــذين يأكلون من لحم القضية. والشعر المقاتل شعر ملتزم دائما، لأن الشعر إن لم يكن مؤمنا ومقاتلا وقع في الضياع وسقط في مستنقع الانحراف والسلبية، فالمقاتل الحق هو الذي لا يحمــل إلــى المعركة سلاحا لا يعرف كيف يطلق منه رصاصة أو سهما، إن معركة الشعر المقاتــل هــي

---

(٤) ينظر : سلمى الجيوسي : موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر ، ج/ ١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، عمان ١٩٩٧ م ، ص ٣٧ .

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص٦٣٥ .

(٢) سورة النساء: الآية ٨٤.

معركة شعراء كبار عرفوا كيف ينشئون الكلمات وكيف يضربون الأهداف المنشودة بعيداً عن التهور والفوضى ([1]) ، فهو يعزز مواقف أصحاب الحق ، فيقول:

**إننا لم نعــدْ فريســةَ وهــمٍ قد سُقينا الخداعَ حتى الثمالة**
**صاحبَ الحق أنت أقوى عليه علِّم الحق كيف يعرفُ آلــه ([2])**

رصد التهامي في شعره جرائم العدو الصهيوني التي ارتكبها ضد أهل فلسطين، فــصور قوات الاحتلال وقد أشهروا أسلحتهم في وجه أطفال فلسطين قبــل أن يــشهروها فــي وجــه المقاتلين، وقد عاثوا فساداً في الأرض فقتلوا الأطفال والنــساء، وخرَّبــوا الــزرع، وهــدموا المنازل ، لكن الفلسطيني بقي صامداً متشبثاً بأرضه أمام غطرسة الصهاينة ([3]) .

لقد وعى التهامي حقيقة اليهود وسعيهم إلى بث روح الفرقة بين أبناء الأمة العربية على اختلاف الطوائف والتوجهات ، ويعي التهامي أن الجهاد خير طريق لحماية الوطن والحفــاظ عليه وتحريره، وأقصر الطرق للعودة إليه ، ولذلك صور في قصيدته " الأعزل.. العملاق في مرج الزهور" يصور رحلة تهجير مجموعة من شخصيات المقاومة إلى لبنان ، وتحدث عــن بطولاتهم ، مؤكداً أن فلسطين بلد الثوار والشهداء، وأن أهلها لا يقبلون الضيم علــى أنفــسهم، وقد هبّوا لمقارعة العدو، وقدّموا أرواحهم فدى الوطن :

**عَرَّيْتَنا .. حينَ أهْوى فوقَكَ المَطَرُ وأَنْتَ فــي رَدِّهِ بالــكــفِّ تَسْتــتِرُ**
**أماتَنَا البــردُ في أَحْضــانِ مِدْفَئنا وأَنْــتَ بــين ثُلــوجِ القَــفْرِ تَنْغَمِرُ**
**نَحْيا بظلِّكَ ، أَنَّى رُحــْتَ مُنْتَجِــعاً يَسْعى وراءَكَ مِنّا السمعُ و البصرُ**
**تركْت دارَك قَسْراً و هْيَ صَارِخــةُ يَجْري وراءَكَ مــن حِيطانِها الحَجَرُ**
**أَثــارُ خَطْوِكَ حَوْلَ الــدَّارِ باقــيةُ حتــى تَعــودَ فَيَحْيــا حَوْلَها الأثــرُ**
**شــدَّتْ عليكَ جَناحَيْها و أَذْرُعَــها لِتَحْتــويكَ ولا يَنْــأى بــكَ السَّفَــرُ**
**أَنْفَاسُ حُــبِّكَ فــي أحْضانها لَهَبُ يُضئُ من أجــلك الدُّنْــيا و يَنْتَــظِرُ ([4])**

---

(٣) ينظر : عماد الدين خليل : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، ط١ ،مؤسسة الرسالة ١٩٨٧م ، ص٨٤ .
(٤) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص٢٤١ .
(١) الصهيونية مذهب ديني استعماري متطرف جداً يتمذهب به غلاة اليهود ، تهدف إلى السيطرة السياسية على العالم بتقويض النظم السياسية للمجتمع الدولي بأسره ، وإخضاعه لنير اليهود وحكمهم .
ينظر : علي محمد جريشة ومحمد شريف الزيبق : أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، ص ١٥١.
(٢) محمد التهامي : يا إلهي ، ص٥٠ .

من رحم هذه المحن ولد التزام التهامي بالنضال حتى آخر بيت شعر، ولا يزال على ما عاهد عليه، فتغنى بالشهداء وتفاخر بالمعتقلين الشرفاء ، ووقف مع المقاتلين من أجل استرجاع الحقوق الفلسطينية من الاحتلال الإسرائيلي ، لتصبح تلك المشاهد وهذه الصورة اليومية لحياة المواطن الفلسطيني موضوعاً لكثير من قصائده ، إنه حزن عارم يزلزل الكيان، ويستبد بالمشاعر والأحاسيس على هؤلاء الشباب الذين يسقطون ، وقد خضبت دماؤهم الزكية ثرى الأرض المقدسة ، يسقطون في ميدان الشرف والجهاد ، وهم يواجهون قوة ظالمة غاشمة، إنه حزن له قيمته الإيجابية الفاعلة ، فيشحن النفوس بالغضب والنقمة ، على العدو الغاصب للأرض والإنسان ، والحق أن نزعة الحزن في شعرنا المعاصر قد أضافت إلى التجربة الشعرية عامة آفاقاً جديدة ، زادتها ثراءً وخصباً ، وولدت طاقات تعبيرية ، لها أصالتها وقيمتها ([1]) .

إن القضية الجوهرية ليست في أن يتحول الشعر هزيمة وبكاء ، أو إلى شعر نصر احتفالي انفعالي، وإنما إبداع ، فالكتابة البسيطة التي تعايش تجربة صادقة مثل تجربة الشاعر التهامي تمتلك اليقين والإيمان بالقضية العادلة ، فالشعر يرصد حركة الواقع ، ويتاخم حدود الحدث ، ويقترب من فتيله فيكون عاملاً مساعداً على تفجره، فعلى الشعر أن يعري الواقع لا أن يصف عريه ، صور الشعر فداحة مأساة فلسطين ، ووعى أسباب المأساة من تنازع العرب، واختلاف كلمتهم وتصدع رأيهم ، فكان الشعر دماء تنحدر من القلوب ، ودموعاً تتقاطر من الأعين وكان نيراناً تحرق ، وجمرات تقتل ، وقنابل تدمر ، وكان غضباً وسخطاً ، نعى الشعر للدنيا مصرع الحق والعدل ، وبكى الشعر فلسطين ومقدساتها وأمجادها وحزن على تشرد اللاجئين وجوعهم وعريهم وضياعهم ([2]):

**لو يشعرون بما جرَّته فرقَتهم ... لو يشعرون لما قرتْ لهم كبدُ**
**لو يذكرون "فلسطين" التي ذهبتْ ... لو يذكرون لولَّى الصبرُ والجلدُ**
**الأهلُ في دارهم باتوا على دَعةٍ ... وأصبح الصبحُ لا أهلٌ ولا بلدُ** ([3])

يعيد نموذج البطل الذي استلهمته بعض قصائده التي اتصلت برموز البطولة التاريخية الماضية مثل : صلاح الدين وسعد وخالد وغيرهم ، تعويضاً عن البطولة الواقعية المعاصرة،

---

(١) ينظر : عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، ص ٣٧٢ .

(٢) ينظر : كامل السوافيري : الأدب العربي في فلسطين من سنة ١٨٦٠ - ١٩٦٠ م،دار المعارف ،القاهرة ١٩٧٩م ، ص ٨٣ .

(٣) محمد التهامي: الأعمال الكاملة ، ص ٣٤٥ - ٣٥٦.

فأضحى تمجيد الإنسان الفلسطيني الذي يقذف بشجاعة واقتدار أمام الآلة العسكرية بما أتيح له من وسائل قتالية ، هو السبيل لحفز الهمم والتحريض على استعادة مجد الأمة الأبية التي لا ترضى الذل والهوان ، من ذلك ما يتضح في قوله :

**لا نعرض الجرح العميقَ عليهم إنا لنعرفُ أنهم لن يرحموا**
**لكننا نزجي إليهم عبرةً من صانعي التاريخ تُنبئ عنهم**
**هذا صلاحُ الدين تحتَ ترابه أسدٌ على أرضِ المعاركِ يجثمُ**
**لما علا وهجُ الكفاحِ تحركتْ أعضاؤُه وجرى بيابِسها الدمُ**

**ومضى يكبرُ في صفوفِ جنودنِا ويضمُّ هاماتِ الرجال ويلثمُ**
**إنَّا بنُوه الوارثون فدينُنا ألق يضيءُ وعزمةٌ تتقحمُ** (١)

لقد تنبه التهامي إلى قضايا مبكرة جدا بالغة الأهمية مثل ادعاء اليهود السعي وراء السلام ، وحقهم في كيان لهم ، فحاول أن يستشرف ما يراد بالشعب الفلسطيني من شقاء وبلاء، وموضحاً أن السلام لا يتحقق إلا باسترداد الأرض المسلوبة وإرجاع الحقوق إلى أصحابها الشرعيين ليؤكد حتمية عودتهم إلى أوطانهم، ليبقى الفلسطيني مطالباً بحقه في وطنه وقدسه وسهله وجبله وشاطئه ونهره مادام فيه قلب ينبض:

**وأن للأرضِ أهلاً عندً وثبتِهم تقبلُ الأرض أقدام الألى وَثَبوا**
**وأنهم إن سعَوا فالدار دارهم والنهر والشاطئ المعمور والنقبَ**
**وإن مشوا فدروبُ الأرضِ تعرفهُم فكم حبوا فوقها يوماً وكم لعبوا**
**وفي التراب بقايا من جدودهم تردُّ صيحتهم فيها إذا انتسبُوا**
**هم عائدون ،فولّوا عن مرابعهم قد آب للدارِ من عنها قد اغتربوا** (٢)

في قصائد محمد التهامي معنىً لثنائية الصراع بين الخير والشر ، ولعله الموضوع الوحيد القادر على مدّ الشاعر بالصور المشرقة في غمرة امتداد الظلمات، وأعظم هذه الصور صورة الشهيد الذي بذل روحه رخيصة في سبيل الله وسبيل الحق ، فتبدو دلالتا الجميل والقبيح متصارعتين على بساط الزمن الواحد، مما يكسب الشاعر صبراً على المواجهة ،

---

(١) محمد التهامي : أنا مسلم ، ص ٨ .
(٢) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص٢٣٤.

فيسبغ على هذه الصورة قدسية دينية بما منحه الله من إيمان بقضاء الله وقدره لتثمر ثماراً طيبة ، ساعياً إلى تأكيد ذلك بمنطق إيماني رفيع بأهمية الصبر والثبات والشموخ والأمل ، رغم ما يعتصر قلبه من حزن وأسى لمرأى جنائز شهداء الأمة منذ النكبة إلى اليوم ، ومع هذا يبقى محافظاً على أمله بالفجر وبالخلاص، فيوجه خطابه إلى كل شهيد من شهداء الأمة وشهداء فلسطين، فيقول:

**إني وإن عصفَ الأسى بضلوعي ... قسماً بروحك لن تسيل دُموعي**
**إنّا دَفنا عندَ قبرك ما بنا ... من ذلةٍ ومهانةٍ وخضوع**
**أيسيرُ في ركبِ البطولة شعبُنا ... ما بين مضطربٍ وبين جزوع ؟**
**إن نكسَ الحزن الرؤوس فحزنُنا ... كالتاجِ فوقَ جبِيننا المرفوع**
**قالوا نخيفُهم بقتلك فانبرتْ ... منا جُموع من وراء جُموع**
**ومواكبُ الشهداء لا يبكي لها ... وطنٌ ولكن ينحني بخشوع**
..... .....
**قلْ للأولى دَفنوا الشهيد : غرستمُ ... زهراً بأطيبِ تربةٍ وربوع**
**فَنما كما تنمو الزهور زكيةً ... واختال بين براعمٍ وفروع**
**آتى الثمار ونحن بين ثماره ... نلقي أدلةَ حقنا المشروع**
**إنَّا علمَنا منه أن خلاصَنا ... في أن يذوبَ الفرد في المجموع**
**قل للأُولى قتلوا الشهيدَ ملأتُمُ ... بالحقدِ كل جوانح وضلوع**
**ونكأتُمُ الجرح العميق فويلكم ... من حاقدٍ متوقدٍ مفجوع** (١)

إن الجهاد هو السبيل الوحيدة لتحقيق النصر، مهما كان الفرق بعيداً شاسعاً بين آلية المواجهة بين المجاهدين والعدو المغتصب ، فالحسم ليس للسلاح ، ولكن للإيمان القوى والعقيدة الراسخة ، ونبل الهدف، وما زال الشاعر - إيماناً بهذا العطاء الجهادي النبيل - يؤثر توجيه الخطاب المباشر للمجاهدين داعياً إياهم لمواصلة الجهاد ، فالجهاد في سبيل الله ونصر الحق فريضة على كل مسلم وواجب إن دعا الداعي :

**داعي الجهادِ دعا الغَدَاةَ جموعكمْ ... فتهيَّأوا واسْتنفروا النُّواما**
**وتخيرَّوا للموت كلَّ وسيلةٍ ... ضلَّ الذي حسب الجهاد كلاما**
**يا غارسَ الأوهام حَسْبُكَ جَانيَا ... أن تحصد الأضْغَاثَ و الأوهاما**
**إن الذي طلب المَكارَم نائماً ... وجد المكارم كلَّها أحْلاما**

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٢٦- ٢٩.

**يا نائمــاَ إن الجــهــاد فريضــةُ ... فــوق الفرائضِ كــلِّها تَتَسامى**
**إن صُمْتَ أو صَلَّيتَ غــير مُجاَهدٍ ... فُتَّ الصلاةَ و ما كسبت صياما**
**أ نعيــشُ بين مُضَيِّــعٍ و مُضيَّعٍ ... وأخى العَمَى فَينا و من يَتَعامى**
**وحقائُق الإسلامِ تَسْطــعُ فوقــناَ ... وتَشــدُّ فــي عَلْيــائها الأفهاما (١)**

تبقى للقضية الفلسطينية مكانة مميزة من اهتماماته الشعرية، وقــد كتــب الكثيــر مــن القصائد ؛ ولأن الشاعر يرى أن قضية فلسطين قضية وجود، لا قضية حدود، وأنها في المقام الأول قضية عقيدة ودين، لا قضية أرض وطين ، فمع هذه الرؤية تتسق الصورة التي رسمها لهذا الطفل المعجزة، الذي استطاع أن يهزم من خلال الحجــر الآلــة الحربيــة الــصهيونية ويتحداها بجسده الأعزل وإيمانه وعقيدته بعدالة قضيته ، إنه طفل يحمــل بافتخــار مــصحفاً، ويقيم بالقرآن مدرسة لتقرير المصير :

**هذى فلسطينُ الأبيةُ مــا انحنت ... يوماً، وإن غطى شوامخــها الدمُ**
**إن فلَّ في يدها السلاح تسابقتْ ... أطفالُها بــلظى الحــجارة ترجمُ**
**إنــَّا لنعلُنــها إليــهــم مُــرة ... فالــحــقُّ لا يَخفــَى ولا يتكتــمُ**
**لولا ذئابُ الغربِ خــلف عدوِّنا ... ما اسطاع أنْ يسعى إلينا المجرمُ**
**أشلاؤنا الــلائي تركْنا خــلفَنا ... قتلَى ، وإسرائيل تفــرَغ منهــمُ**
**إنــَّا نريد الحــقَّ لا نرضى به ... منــًّا ، ولا نشــكــو ولا نتظلــمُ (٢)**

وقد عرض الشاعر هذه المشاهد الدامية لغرضين: إدانــة اليهــود ووصــمهم بــالإجرام والعدوانية من ناحية، وإدانة الغرب الداعم للكيان الصهيوني والعرب المتقاعسين عــن نجــدة إخوانهم من ناحية أخرى.

ويدين التهامي مجلس الأمــن وقراراتــه المخادعــة موضــحاً كيفيــة إيهامــه النــاس بالباطل،وكيف يكيل بمكيالين ، ويساوي المظلوم بالظالم ، فيقول :

**مجلسٌ يشــهدُ الجمــيع عليه ... كيف يُوفي خداعه واحتيالهْ**
**يضمــنُ الحــقَّ كــله بقــرارٍ ... موهمٍ أن صاحبَ الحق نالَهْ**
**يُوهــم الناسَ أنَّهــم في حماه ... وهو يُبدي شموخَه واختيَالَهْ**
**فــإذا أومــأَ الطغــاةُ إلــيــه ... راح يُبدي خضوعهُ وامتثالهْ**
**ويُسوي المظلومَ بالظالمِ الوغْد ... وهذا الذي يُسمــى عــدالهْ (١)**

---

(٢) محمد التهامي : أنا مسلم ، ص ٤١ - ٤٢.

(١) محمد التهامي : أنا مسلم ، ص٨.

أدرك الشاعر السلاح الذي يمتلكه ، وهو الكلمة الشاعرة ، فساهم بها في معركة المصير إيماناً منه بأن مصيره رهن بمصير الجماعة ، فليست الكلمة الشاعرة مجرد إشارة إلى انتماء الكلمة إلى عالم وجداني أو تصويري فحسب ، وإنما هي إشارة بصفة أساسية إلى مجموعة المبادئ التي تشكل العقيدة العامة للشاعر والمجتمع على السواء (٢) .

من وعي عربي وديني عميق ينشد قصائده ، وإيماناً بحق الفلسطيني في أرضه ؛ لأن ما يجري اليوم إنما يميط اللثام عن حقيقة الأطماع الإسرائيلية في أرض العرب والمسلمين ومقدساتهم ،فيوجه أشعاره نحو فلسطين ، قضية الأمة المركزية ، قضية الأقصى أرض الإسراء والمعراج ؛ ليحذر الأمة بأسرها من الخطر الداهم ، ويحذر من الفرقة والانقسام وما ترتب عليها من ضياع لفلسطين :

**من وَقْـعِ أقـدامِ الغزاة أمَضَّنى وأثَارَ طعمَ الموتِ ، حينَ سَمِعْتُهُ**
**أنيابُهـم فيـهـا بقايا إخـْوتى تحـكى عن الوطنِ الذي ضيَّعْتُهُ**
**منها ، فلسطين الشهيدة ، قبلتي الأولى، و مِعْرَاجي الذي قَدَّسْتُهُ**
**هم دنسـَّوُهُ و لم أُطَهِّرْ رِجْسَهُمْ فكأنَّنـي - يا ويْلَتي - دنَّسْتُهُ**
**قَتلوا آخى، قتلوهُ و هو يَشدني لأغيثَـهُ ، و أنا الشقيقُ خَذَلْتُهُ (٣)**

وتبقى أشعاره قوية مؤثرة، فالقصيدة عند التهامي منبرية عمودية قوامها هذا الإيقاع الجهير الذي يترك أثره في النفوس وفي المشاعر يؤججها ويحفزّها، ويقوم بالدور التحريضي، فالشعر المقاوم وإن كان مباشراً وتقريرياً إلا أن القصيدة نقلت صورة رائعة للقدس ومكانتها في نفوس أبناء الأمة بلغة فنية رائعة وتصوير جميل، وبقى الشعر المقاوم معبأ بأسباب التحفيز والإثارة لينجح الشاعر في ثورته العارمة ، وعنفوانه المزلزل في أن يسجل في صفحات من نور ملحمة القدس الكبرى في لوحة إنسانية لم يشهدها العالم من قبل . فكأن قدر القصيدة عنده أن تواصل الاضطلاع بالمهمة التعبوية ، فليس من مهمة الشعر البحث عن الحقيقة أو تقديم معرفة ، وإنما تقوم دلالته بوظيفة التأثير الانفعالي ، إن دلالة اللغة الفنية ليست إلا دلالة انفعالية غايتها نقل الانفعال إلى الغير(٤) .

---

(٢) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٢٤٠ -٢٤١ .
(٣)ينظر :عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر ، ص٤٠٨ .
(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص٢٦٦ .
(٢) ينظر : أميرة حلمي : مقدمة في علم الجمال ، ص٦٤ .

## الإسلام والنفحات الإيمانية :

عرف الشعر العربي عبر تاريخه الطويل ألوانا من القصائد منها القصيدة الدينية التي أسهمت في تشكيل الوجدان العربي والإسلامي علي مر العصور عبر أشعار رابعة العدوية والأمام البوصيري ومحمد إقبال واحمد شوقي وسواهم من الكبار، فالقصيدة الدينية موجودة في العصر الحالي أكثر من أي عصر مضي، موجودة في الوسط الشعري العربي المعاصر بكثرة وغزارة ، وتمتلك قدرا كبيرا من الصدق والعمق والمستوي الفني الرفيع، لكن القصيدة غائبة علي مستوي الإعلام العربي الذي يقاطع القصيدة الدينية تقريباً، فحقيقة التعامل مع القصيدة الدينية أصبح يتم علي مستوي المناسبات فقط ، لكن التهامي يذكرنا بهذه القصائد الإيمانية التي رَسَخَتْ في وجدان كل مسلم نقي الروح ، ومن ذلك قوله معبراً عن روح إيمانية نقية ، تجعله يسمو من سيطرة الهوى ، ليغرس السناء ويرفع عن النواظر الغطاء:

**هو الإنسانُ.. بالإيمان يسمو ... ويملأ حولَهُ الدُّنْيا بَهاءَ**
**تُسيطر روحُه وتَرُدُّ عنهُ ... لدى إنسانِهِ طيناً و ماءَ**
**هو الإنسانُ ..ما نَبْغيه حقّاً ... يَرُدُّ لنا.. لعالَمِنا ...النَّقَاءَ**
**يردُّ جهامَةَ الأحْداثِ عَنّا ... ويَغْرُس في غياهِبِها السَّنَاءَ**
**ويَرْدَعُ ما تَسوقُ لنا الليالي ... ويَرْفَعُ عن نَواظِرنا الغِطَاءَ** (١)

تتميز القصيدة الدينية باحترام القيم الأخلاقية والبعد عن المجون أو الفحش في القول، وهي تتسع اتساع هذا الأدب لتحتوي كافة الموضوعات الأدبية، المهم أن تكون المعالجة فنية أخلاقية هادفة ، ولنا في سورة يوسف المثل الأعلى ، فالقصيدة الدينية جزء من الأدب الإسلامي الذي يميز اللائق بإنسانية الإنسان وغير اللائق ، فهو أدب ملتزم في هذا المعنى ، ولكنه ملتزم بالمعنى الصالح لا بالجمود والتضليل ، فيتلقى روحه وهدايته من الإسلام ومن حياة نبي الإسلام ، والأدب غير الإسلامي يتلقى روحه وإرشاده من هوى الإنسان (٢) ، ذلك ما نراه في قوله :

**يا رب ألهمْني الرشادَ يقودُني ... ويُقيل في دربِ الهدى عثراتي**
**ويُضيءُ من حولي وبين جوانحي ... ويُشعُّ في فكري ويغمُر ذاتي**
**فأرى الحقيقةَ في جلالِ شموخِها ... تدنو وتجذبُ نحوها نظراتي**

---

(١) محمد التهامي : يا إلهي ، ص١٥.

(٢) ينظر : على أحمد الخطيب: قطوف من ثمار الأدب الإسلامي ، ط١ ، الدار المصرية اللبنانية ،القاهرة ١٩٩٧ م، ص١٤ - ١٥ .

**فلقد لقيتُ مــن الحوادث ما دهى عقلــي وبــدَّدَه بكــل شتاتــي**
**وغــدوت مُختــلط المواقفِ تائهاً حيرانَ بــينَ أحبتي وعــداتي**
**فالحبُّ في قلبي يشــدُّ عــواطفي والحزنُ يرمي الحب بالجمراتِ**
**وأنــا المعذبُ لا يَقــرُّ بخــاطري حبٌ وليس البغــضُ في قدراتي**
**لاشيءَ يَعصِمُــني سوى أنِّي أرى حُزني يَذُوب لدى عميق صلاتي (١)**

في الإسلام ضوابط لم يخترعها فرد، وموازين لم ينصبها أحد بمحض فكره وإرادته، إن تلك الضوابط والموازين من صنع الخالق جل وعلا، وهي أحكام روعيت فيها طبيعة الإنسان وإمكاناته وقدراته النفسية والعقلية والبدنية أي الفطرة التي فطره الله عليها، فهي أحكام ليست مرتبطة بالإنسان الخاضع لسنة الموت والحياة ، فهذه الضوابط والموازين أو الأحكام هي من صنع الخالق الرحيم العادل الذي {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدورُ} (٢) .

فالإبداع إنتاج بشري لا بد أن يتناسب مع الفطرة الصحيحة المتمثلة في قصائد ذات مضمون راق وخلق قويم ، والتزام بالتصور الإسلامي؛ لأن الإسلام هو أكثر ما يتناسب مع الفطرة البشرية ، إن الشاعر التهامي ملتزم التزاماً نابعاً من ذاته ومبدع لقصيدة فيها من الجمال ما يسمح بالولوج إلى قلب المتلقي بيسر وسهولة ، فهو فطري بلا قهر ولا افتعال حيث تتكامل التجربة عنده بالعناية بالفكرة النبيلة والمضمون الراقي مع الأداء الفني ، وبذلك يتم الانسجام بين الشكل والمضمون ، فلا يمكن أن يسمى الفن فناً إذا خرج عن مواصفات الصورة الفنية ، ومهما كان المضمون عامراً بالأفكار القوية فالصورة قبل المضمون هي التي تقرر أصالة العمل الفني (٣).

في شهر الصيام ، تصوم الجوارح كلها عن معصية الله تعالى ، إنه رمضان الخير الذي يرجع الروح إلى منبعها الأزلي ، فتتخلص من رذائل الدنيا ، وتتجه إلى الله خالق السماوات والأرض داعية مبتهلة وضارعة تائبة مستغفرة ، ذلك الضيف الكريم الذي يعاود كل عام؛ ليحقق النجاة للتائبين المستغفرين، ويطهر النفس من كل رجس وشر ، فيقول التهامي في قصيدته : " في نور الصيام " :

**الصــوَّمُ للحَيــْرانِ طَوْقُ نَجــاةِ وطريقُةُ الهــَادي إلــي الجَنَّاتِ**

---

(٣) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ،ص٥٨١ - ٥٨٢ .

(١) غافر : الآية١٩.

(٢) ينظر :نجيب الكيلاني : الإسلامية والمذاهب الأدبية ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م،ص ٧٨ .

**وعليه مِعــْراجُ اليقينِ إلي الهُدَى ... يَمْتَدُّ فــَوْقَ مهالكِ الشَّهَــواتِ**
**ويُطَهِّــرُ الإنســانَ حَتَّــى إنَّــهُ ... رُوحٌ يكادُ يُضئُ في الظُّــلُمَاتِ**
**ويرَي علي نور الحقيقةِ عــالَماً ... مُتَــأَلِّقَ الأعمــَاق و الجَنَباتِ**
**فيه الحيــاةُ تراجَعــَتْ أدْرَانُــها ... وتَطــهَّرَت مــن حَمْأةِ النَّزَواتِ**
**وغَدَتْ كَدارِ الخُــلْدِ طَيَّبَ ريحُها ... نَفَسُ الملائِكِ طافَ بالــرَّحَماتِ** (١)

إن الدعوة الإسلامية في حاجة إلي الداعية الأديب ، الذي يمتلك عقيدة التهــامي وإيمانــه وورعه الذي ظهر جلياً في أشعاره ، فلم ينعزل فكــره عــن فنــه ، بــل امتزجــت الفكــرة والمضمون مع الأداء الفني الرائع ، وحسان بن ثابت – رضي الله عنه - لنا خير مثال علــى الدعوة الإسلامية منذ بدايتها ، فلما تجمع الإيمان في قلب حسان ، ورسخت العقيدة في عقلــه تحول شعره ، فكان سيفاً من الله مسلول ، ينافح عن الرسول الكريم والدين الإسلامي بكل مــا أوتى من بيان .

لقد سعى التهامي إلى تبصير الجماهير المؤمنة بمعالم الطريق الحق في يسر ودقة وعمق وإقناع ، حيث تزلزل كلماته النفوس العاصية ، وتطرب أوزانه كل ذي قلب مــؤمن موحــد ، فشعراء الإسلام لم ينفكوا منذ البداية عن الدعوة إلى الله ، يدافعون عن دينهم وعقيدتهم بكل ما أوتوا من بيان وقدرة ، وقد كان للنبي – صلى الله عليه وســلم – شــعراء يــدافعون عنــه ، ويتجارون مع شعراء القبائل ، ولم يقمهم هو ولكن أقامتهم العادة العربية التي جعلــت قــولهم أشد على بعض العرب من نضح النبل (٢) .

تتعدد أبعاد الرؤية الشعرية وتنبئ عن شاعرية متدفقة، وتتنوع الرؤيــة الــشعرية فــي تجربة التهامي بين رؤية سياسية ودينية واجتماعية ووجدانية ، ففي دوانيه " أنا مسلم " و " يــا إلهي " وظف شعره في الدعوة إلي الله ونشر دينه، والالتزام بخلق المسلم ، فكانــت أشــعاره تسابيح إيمانية تعكس منهجه البياني الفريد المتأثر ببلاغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، يقول التهامي في أضواء الهجرة :

**أيّها السائلُ عَنّا:من تكونْ ؟ ... نحنُ جندُ اللهِ .. نحن المُسْلمونْ**
**أهْلُنا قد انْبَتوا الحــقِّ لَنــَا ... فَوَضَعْنا وَمْضــَةَ الحــقِّ المُبينْ**
**اخْرَجوا الفجرَ من اللّيل لنا ... فَورِثْنا الفَجْــر وَ ضَّــاءَ الجبينْ**
**عَلَّمونا كيفَ صانوا حقَّهُــمْ ... وحَموْه مِــنْ تَصَدّي الجَاهِليــنْ**

---

(٣) محمد التهامي : يا إلهي ، ص١٩.

(١) ينظر : مصطفى صادق الرافعي : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص٣١٣.

**كيف ماتُوا في صِراعٍ دونَهُ ليعيشَ الحقُّ فـــي حِصْنٍ حصينْ ؟** (١)

اتضحت العلاقة بين الدين والشعر في الديوانين، وظهر دور الشعر في الدعوة الإسلامية، و دور الفنون الأدبية في التعبير عن مقومات الشخصية الإسلامية ، فكان هذا العمل خالـــصاً لوجهه الكريم ، فشاعرية التهامي لم تفارقه ، وهو في لحظات التجلي والصدق يدعو إلـــي الله عز وجل في محبة ويقين، وبلاغة وحكمة وإمتاع وإقناع :

**يا ذا الجلال و كـــلّ خَلْقِكَ كِلْمـــةٌ الكافُ كُلُّ حروفِها و النُّـــون**
**أرسَلْتَ خَيْر الخلق في فمهِ الهُدى للعالمـــين مُفَصَّلٌ و مُبيـــنُ**
**الحرفُ و الكَلِـــمُ المعظَّمُ مُعْـــجزٌ ومن الجَلال تَفَرَّدَ المَضْمونُ**
**أنْ ليـــسَ للإنسانَ إلا ما ســـعَي سَعْيـــاً فـــكِلُّ حِسَابِهِ مَوْزُونُ**
**فطريقُ مَنْ ضَلُّوا طريقُ شِمَالِهِمْ والمُهْتَدونَ لَهُمْ لـــديكَ يَمينُ**
**وهُداكَ مَـــنْ يَعْرِفْ عليه طَريقهُ تتكاملِ الدُّنْيـــا لـــهُ و الدينُ** (٢)

لا يركن التهامي إلي تجربة واحدة ، ولا يسكن إلي الراحة اكتفاء بما قدم ، ولكنـــه يـــؤثر المواصلة والمثابرة محافظاً على أصالته وشخصيته الإسلامية ، وأظهر مقدرته على الـــدعوة إلي الله من خلال قصائده الدينية ، التي لم تترك مناسبة ولا موقف فيه خير الأمة وصـــلاحها إلا وقال فيه وأنشد، يقول في قصيدة " دعائي في ليلة القدر " :

**بِكُلِّ الشـــوَّق في قَلْبـــي طَرَقْتُ البَابَ يا رَبِّي**
**و في شَفَتي ضَرا عَاتُ لقلب ذابَ في جَنْبي**
**دعـــاءٌ فـــي تَأَلُّقـــهِ ضياءٌ غيُر ذي لَهَبِ**
**يسيلُ الطُّهْرُ في دَمْعـــي ليغسلَ صِدْقُهُ ذَنْبي**
**و حسبي أنك الرَّحمنُ في رضوانِهِ.. حَسْبـــي**
**تُجيب ضراعة المُحتاجِ عند المَوْقِفِ الصَّعْـــبِ**
**و تهدي خَطوَة الحيرانِ إنْ ضَلَّتْ علي الدَّرْبِ**
**طلبتُ رضاكَ يا رحْمنُ..واسْتَرْحَمْتُ في طَلَبي**
**قصدْتُك يا حِمَي رُوحي ويا غَوْثِي من الكُرَب**
**ويا حِصْني من الأيَّام .... والأيـــامُ تَعْصفُ بي**

---

(٢) محمد التهامي : يا إلهي ، ص٢٩.

(١) محمد التهامي : أنا مسلم ، ص ٢٠.

**ويا عَوْني عَلَي الإنسانَ .... والإنسانُ يَغْدرُ بـــي**
**و يلبَسُ ثَوْبَ إنسانٍ ليُخفِي صُورةَ الذئْب**
**سألّتُ الله أن تَرْتــاحَ دُنــيانــا من اللَّهَبِ**
**وأنْ يَرتاحَ صِدْقُ النَّاسِ من دَوَّامَةِ الكَذِبِ (١)**

وتتعمق الرؤية الجمالية والإبداعية في وجدان التهامي ، وتتهيأ له الأسباب التي تقود إلـــي طريق الدعوة والهداية والإرشاد، وتبصير الناس بوجه الإسلام الناصع المشرق فيكون عضواً في رابطة الأدب الإسلامي ، حيث استطاع أن يوصل القارئ إلـــى درجـــة مـــن التعـــاطف الإنساني مع كل الشعوب التي تعاني من ظلم الطغيان، وتحاول أن تعيش كما خلقها الله ، وقد كان له الأثر الإنساني العميق، فلم تقتصر أشعاره على العالم العربي ، وإنما تجاوزته ليـــصل لكل المعذبين من المسلمين في بقاع الأرض من غير العرب ، وهذا يعطي تجربته بعداً أممياً ، ويؤكد انتمائه للعقيدة الإيمانية والإسلام الذي لا يفرق بـــين عربـــي وأعجمـــي إلا بـــالتقوى ، وتتجلى عقيدته التي تعي وتدرك أن النبي محمد – صلى الله عليه وســـلم – أرســـل رحمـــة للعالمين ، فيقول في قصيدته " مع حجاج البوسنة " :

**حُجُّوا إلى كعبةِ الرحمن واعتمروا وحدثُونا فمنكـــمْ يصـــدق الخبرُ**
**قولوا لنا كيف دينَ الـــلهِ عندكـــم وكيف يطغى على أقداسه البشرُ ؟**
**وكيف عربدت البلـــوى بســـاحتِكم بمثلهـــا طاقـــةُ الإيمـــانِ تختبرُ؟**
**وكيف كنتـــم ضحايا الحـــق وحدَكم وحـــولكم كـــلُ جندِ البغي تأتمرُ ؟**
**منذ القديمِ طريقُ الحـــق يفـــرشه دمُ الضحايا وفي الجنبين ينتشرُ (٢)**

تعلقت كلماته ومعانيه وأفكاره وعقيدته المضيئة بنور التوحيد ، فكان هذا النبـــع الفيـــاض الذي تنساب جداوله في حقول الدعوة الإسلامية، وتؤتي أكلها طيباً ، حيث تخرج اللغة ثمـــاراً في أشجار الدعوة ، يتغذى بها التواقون للمعرفة ، والهائمون في دروب الحياة ، فيشهدون هذه المنارات الشعرية الإيمانية ، التي تتضوع في فم الشاعر وتتوهج في كيانه ، يقول التهامي في قصيدة بعنوان " فارس بدر" :

**تَحَصَّنَ في جدار الأمْن.. يَمْسَحُ جُرْحَهُ مَسْحا**
**فأيْقَنَ أنَّ جُرحَ الأمْـــسِ فيـــه لَمْ يَعُدْ جـــرْحا**
**وانَّ الحقَّ حيـــنَ يَقـــرُّ يَبْني حـــولَه صَرْحـــا**

---

(٢) محمد التهامي : يا إلهي ، ص٧.
(١) محمد التهامي : يا إلهي ، ص٦٣.

**يُجَلْجِلُ فَوْق هامَتِه .. و يُشْرِقُ فَوْقَهُ صُبْحــا**
**ويُسفِرُ عن هوَّيتهِ .. كمــا رَحْــمانُه أَوْحــي**
**هو الحق ُّ..و يَكْفِي الحقَّ ما قاسى و ما ضَحّى**
**ويَكْفــي أنْ قَضــي زمناً يعاني القَهْر والكَبْحا**
**وهــا قــد فُكَّ ساعده.. وهــزَّ بكَفِّه الــرُّمْحا**
**ولن يَرْضي سكوتَ الأمس..حين تَمَلَّــكَ البَوْحا**
**سَيَفْني في قَضــيتَّهِ يَطْــرَحُ عــدَلَها طــرْحا**
**وإنْ أَعْياهُ مَنْطِقُه .. تَــولّي سَيْفــهُ الشــرَّحا**
**تَشُقُّ الظُّــلْم يمنــاه لِيُبْرِئَ في الحــشا جُرْحا** (١)

انبثق شعره عن تصور إسلامي للكون والحياة والإنسان.. وانطلق مــن هــذا التــصور ليستوعب الحياة بكل ما فيها، ويتناول قضاياها ومشكلاتها وفق هذا التــصور الــصحيح.. لا يزيف حقيقة ولا يحابي ظلما أو نفاقا.. ومن ثم ينهض بعزائم المستــضعفين وينــصر قــضايا المظلومين ويخفف من بلايا وأحزان المعذبين، ويبشر بالخير والحق والحب، ويعبــر بــصدق وأمانة عن آمال الإنسان ، ذلك ما نراه في مثل قوله :

**طافُتْ بنا الأَيامُ تَحْكي نَصــرْنَا الما ... ضي ،فَيَبْكــي يومُنَا المَقْهــورُ**
**مــا أيْســرَ الأقــوالِ : إنــا أمةُ ... نَامَــتْ، وأقــوالُ العــُداة كثيرُ**
**لكــن أرادَ الــله أن نُــرْمي بمــنْ ... قَتَلوا الشموَس، فغاب عنَّا النورُ**
**يسْعــى إلينا الفَجْــر ُ، لا نحظى به ... فالفــجر في البلد الشقيِّ ضريرُ**
**من بعــض أهــلينا، و كلِّ عدُاتِــنا ... قَيْــدٌ عــلي خُطُــواتنا مَــقْدُور**
**من بين أيدْينا، و خَــلْف ظهــورِنا ... ســدٌّ يــرُدُّ ، و خَنْدَقُ مَحْفــُورُ**
..... .....
**فَرضَوُا علينا الحربَ و هْــي خديعةُ ... يَجْتَاحــنُا منها لَظى و سعَيــرُ**
**نَحْــنُ الــوقود ُ، وهُمْ جميعًا خلْفَها ... بعضٌ يبينُ، وبعضُهُمْ مَسْتَــورُ**
**يَرْمي بشُعْلِتها الصغيرُ علي الحِمَي ... فإذا انتفَضنَا، فالصغيــرُ كبيــرُ**
**تَعْــدو عــلْينا الســافياتُ بنــارِها ... ويصــولُ فينــا العالَمُ المسعورُ**
**و الكــلُّ ينْضَــحُ بالعَــداء فَشَامِتُ ... ولائــمُ، أوْ مُعــتَــدِ و مُــغيــرُ**
..... .....

(٢) السابق ، ص٢٢ .

**إيمانُنا - يا ربُّ - أنَّكَ فَوقَنا ... في حِكْمةٍ عُلْيَا لها تَدْبيرُ**
**و يَغيبُ عنَّا ما تراهُ ... و كُلُّنَا ... أَملُ - لدى سَامي رضاكِ - كبيرُ**
**فإذا السعادة أن رضيتَ - حَيَاتُنا ... وإذا العسيرُ - إذَا أردْتَ - يسيرُ (١)**

ومن خلال هذه الموضوعات المتنوعة التي تكشف عن تجليات هذا الحس الإسلامي و توضح عمق التجربة الشعرية ، والإيمان العميق بأنَّ الإسلام هو الكفيل بتحقيق الوفاق والتناغم بين الإنسان والخالق سبحانه، والإنسان والكون، و الإنسان والحياة ، الإنسان المؤمن بحق الذي يمتلئ حسه وضميره وقلبه وعقله بحقيقة الألوهية ، ويستشعر قوة الله وقدرته، ويحسّ في قرارة نفسه أنَّ لا ملجأ له في هذا الواقع إلا الله ، فإليه المشتكى ، وبه الأنس وعليه التوكل ، فتصفو النفس بذكر الله سبحانه وتطمئن ، ويكون النبي الكريم وصفاته وآثاره الأسوة الحسنة والاحتذاء ، وبالتوبة والاستغفار ومجاهدة النفس والهوى يرتفع الإنسان في حسه وذوقه وتصوراته، وملابسات حياته ، ومن ذلك يقول التهامي:

**قَدْ كان "أحمد" يُؤْذَى في رسالتِه ... حتى الملائكُ نَاجَتْ فيه مولاهُ**
**إذ يهْتِفونَ : إلهي رُدَّ كيدَهُمُ ... عَمَّنْ بَعَثْتَ فإنَّ الكيدَ أعْيَاهُ**
**فيَسْكبُ الحُّق وَحْياً في مسامِعِهْم ... إنْ كان يطلبُ مِعْوانَا نَصَرْنَاهُ**
**فَيَهْمِسونَ إليه - و هو مُستُترٌ ... خَلْفَ الجدارِ - وَوَقْعُ الرَّجمِ أَدْمَاهُ**
**أشْكُ الظَّلومَ ، فانَّ اللهَ منتقمٌ ... مِمَّنْ رَمَوْكَ ، فَلَمْ يَنْطِقْ بِشَكْوَاهُ**
**وذاقَ في الحَقَّ ما لو ذاقَهُ جَبَلٌ ... لانْدَكَّ حتى اسْتَوى في الأرْض أعْلاهُ**
**لا يَتْركُ الحَقَّ ، لو ألْقَوْا بَمِيْمَنةِ ... شَمْسَ الضُّحَى ، و أحَلُّوا البدْرَ يُسْراهُ**
**قالوا: لك الجاهُ و الأموالُ قالَ لهم ... لا المالُ يَعْدِلُ إيمانِي ولا الجَاهُ**
**فاللهُ يملكُ هذا الكونَ قاطبة ... ما أعظمَ الله يا قومي و أغْنَاهُ**
**إنْ كانَ مالكُمُ قد غَرَّكُمْ زَمناً ... فالمالُ لله أعْطَاهُ و أحصاهُ**
**أو كانَ جاهُكُمُ قد زادَكم عَنَتَاً ... فصاحبُ الجاهِ يا قومي هُو اللهُ**
**وكلَّ صاحبِ عرشٍ عَزَّ جانِبُهُ ... فاللهُ سَيِّدُهُ و الله مولاهُ**
**إنَّا جميعا أمام الله خالقنا ... - مهما اختلفْنَا - لأمْثَالٌ وأشْبَاهُ (٢)**

إنها دعوة واعية للنفس البشرية كي تتحسَّس وجود الله وعلمه وقوته، فتذكِّر الإنسان بضعفه وفقره، وتهزه هزاً عنيفاً لأجل أن يتطهَّر من أدران الكبر وآثام التعالي ليرتقي إلى

---

(١) محمد التهامي : أنا مسلم ، ص٣٣ - -٣٤ .

(١) محمد التهامي : أنا مسلم ، ص٧٢ .

أسمى درجات الفضيلة والإشراق الروحي، وكل أدب لا يستهدف الكمال والفضيلة والمثالية والفائدة هو أدب عاجز مريض لم يكتب له البقاء (١) .

وينبغي الانسجام بين التعبير عن القيم الخلقية والتعبير الفني؛ لأن الشاعر لا يصف الفضائل ولكنه يعانيها، وقد اتسع ديوان الشعر العربي لتعبيره المتواتر عن الآداب والأخلاق، واستطاع في قصائده أن يبرز إدراكه بعظمة البارئ وما أقرته الشريعة الإسلامية السمحة من تعاليم فيها من الفضيلة والكمال ، والمقاصد الإنسانية النبيلة ، فراح بحسّه الشعري يحرّك في الوجدان الإنساني روح الإحساس بوجود الله ، وسلطانه على النفوس ، وقدرته من خلال دعوة المختار المصطفى محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وسلم، يقول في قصيدة " صاحب الرسالة " :

**وانبرى المختارُ في دعوته يوقظُ الخيرَ ويهدي الحائرين**
**ويعاني من قلوبٍ فوقها نامت الأقفالُ من ماضي القرون**
**ويناجي نبض فكر خامدٍ مستقرٍّ في غياباتِ السجون**
**ويزيحُ التربَ عن جوهرة صَدئتْ في مهجة الكنز الدفين**
**وينير الليلَ في غفوته حين أعشى في دُجاه المفسدون (٢)**

اختلف النقاد وتباينت اتجاهاتهم في جودة الشعر بما فيه من قضايا فكرية وأخلاقية ، فهناك اتجاه يرى أن ضعف الأخلاق في الشعر مدعاة إلى فساده وسقوطه، واتجاه آخر يوضح أن ليس على الشاعر من حرج في أن يعبر عن إحساساته ، وما يعتلج في صدره أو يجول في نفسه سواء أوافق الخلق أم خالفه ، والشاعر حر فيما يقول ، وعلى سامعه أو قارئه أن يحكم عقله فيما يقبل من آراء أو يرفض (٣) ، وشاعرنا إنسان مؤمن تشبَّع بقيم الإسلام وأفكاره، واحتكّ بمجتمعه وتوغل في أعماق الإنسان ، وكشف عبر رحلته الشعرية عن صور كثيرة مليئة بالمتناقضات، وعرف سلوكيات الناس وهمومهم، وخبر أخلاقهم وقيمهم وأعمالهم ومواقفهم، وسخّر قلمه لنقد الأخلاق المشينة والصفات السيئة اللاصقة بالإنسان، كالحسد والظلم والكبر، معلناً في غير ما قصيدة أنَّ هذه الأخلاق سهام داعية للحق والفضيلة والدين،

---

(٢) ينظر : روز غريب : النقد الجمالي وأثره في النقد العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٩ م ، ص ٦٤ .

(١) محمد التهامي : أنا مسلم ، ص ٥٢ .

(٢) ينظر : داود غطاشة و حسين راضي : ط١ ، قضايا النقد العربي قديمها وحديثها ،الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٠م ، ص٣٢ - ٣٣ .

موجهاً إلى التمسك بالقيم الإسلامية واستحضار مخافة الله بالدعاء والرجاء والتوبة ، يقول التهامي في ذلك:

**تحالفَ الصدقُ في دنياي والكذبُ وذُوِّب الماءُ في كفيِّ واللهبُ**
**وتاه فكري مي في مراوغةٍ خَلفْ الحقيقة تخفى وهي تقتربُ**
..... .....
**ورحتُ أسألُ من حولي لعلهم فهالني أنهم في وهمهم كذبوا**
**ظنوه حقاً بما أملاهُ وهمُهُمُ والحقُّ هذا الذي فاتوهُ واجتنبوا**
**لو كان ما أدركوا حقاً لما عبستْ أيامُهم ومشى في وجهها الغضبُ**
**وخاصمَ الخير دنياهُم وعاندهُمْ فلو تجمعَ في الكفين ينسكبُ** (١)

يحض التهامي على خشية الله سبحانه وتعالى، ومعرفة أنه الرزاق ذو القوة المتين، صاحب النفع والضر، وهو السند الذي نلجأ إليه، ، أشعاره ابتهالة بسيطة تكشف عن أعماق نفس متدينة لا تلجأ إلا إلى الله سبحانه وتعالى حينما يحزنها أمر من الأمور، أو تنزل بها ضائقة، فليس هنا ضجر أو تململ من أي شدة، ولا فرح بأي مجد؛ لأنه لا بد من التحلي بخلق الموحِّد الشاكر على كل حال.

يظل الشاعر المؤمن الموحد يخالف غيره من الشعراء في تقديره للخير والشر ، فالذي لا يرجو بعد الموت حياة ولا يرقب حساباً يختلف عن المؤمن الذي يراقب في أعماله ثواب الله وعقابه ، فالأول يرى أن حرمان النفس مما تشتهيه ضرب من الحماقة ليس له ما يبرره ، ويرى الآخر أن الإدمان على الشهوات هو عين الحماقة وقصر النظر ، والمتدين يرى التفريط في العرض والعفاف شراً ، بينما يرى الوجودي أن المحافظة على العفاف ضرب من السذاجة، والمتدين يرى ضبط النفس وكبح جماحها فضيلة ، بينما يراه الفرويدي شراً يسبب الكبت الذي يورث في زعمه الأمراض والعقد ، والمتدين يرى صورة المرأة العارية قبيحة ؛ لأنه يرى معه قبح نفس صانعها ودنس شهواته فتنفر منها نفسه (٢)، فالإسلام دين الحق ومتمم للرسالات السماوية ومحمد – صلى الله عليه وسلم – هو الإمام والمصطفى وهو رمز الجهاد وصاحب الدعوة الغراء، فهو النبي الأمي المعلم الأول ، ننهل من سنته حتى لا نضل ، فالدعوة للإسلام لا تكون إلا بالحكمة والموعظة الحسنة وبذلك يتقدم المسلم بتسامحه فلا يحمل الضغينة إلا لمن اعتدى وظلم:

---

(٣) محمد التهامي : يا إلهي ، ص٨٣ .

(١) ينظر : محمد محمد حسين : الإسلام والحضارة الغربية ، ص٣٥٨ - ٢٥٩ .

إن قال داعي الحَقّ: مَنْ يتقدَّمُ؟ فَأنا الحقيقة كلُّها.. أنا مسلمُ !
ومعلِّمي في العالمين محمـــد صلّي عليه الأنبياء و سلّموا
وتخيَّروه لهـــم إماما صـــادقا لما اصْطَفاه لنا الإلهُ الأعظمُ
وجَرَت شرائعهم يكمِّل بعضها بعضًا و تدرُج للكمال و تَعْظُمُ
حتّى تَبلِّجَ فـــجرها، فـــإذا به خـــيرُ الأنـــام بدينـــه يتقـــدّمُ
فالبدْر في أُفُق السَّماءَ تَزُفَّـــهُ وتروح تَسْبُقُهُ هنـــاك الأنْجُمُ (١)

لقد وعى الشاعر أنَّ النفس أمَّارة بالسوء وأنَّها إذا ركنت إلى نفخة الطين فإنَّ القلب يصدأ ويموت، فراح يلوم نفسه على غفلتها ويدعوها للانعتاق والتحرر من قيود الـــشهوات والمتـــع الحسية، إنَّ تساؤله يوحي بأنَّ النفس متى ركنت إلى الدنيا غرقت في الذنوب والـــدنايا ؛ ولـــذا نراه يقف داعية إياها إلى الرجوع والإنابة لله، خالق الأكوان ومُخرج الحي من الميـــت، فـــالله هو الهادي والمخلص ، فيقول:

لكننا – يا ربُّ – فـــوقَ عقولنِـــا غابتْ علينا في الحياة أمـــورُ
كُنْهُ الحياةِ وعمقها وحسابهـــا والغيبُ فيها والغـــدُ المستورُ
إنَّـــا نكابد فـــي الحيـــاة مســـيرةً الخيـــرُ فيهـــا عذَّبَتْهُ شـــرورُ
..... .....
ونهيمُ في دربِ المسيـــرة ، حولَنا نارٌ على طُرُق الحياةِ ونـــورُ
وخلاصُنا – يا ربُّ – في إيماننِا في النور حينَ يؤودُنا الديجورُ
فلديكَ – يا رحمنُ – محرابُ الهدى فيـــه إذا عـــزَّ المجيرُ مجيـــرُ
طوبَى لمـــن يُلقي إليـــه شِـــراعه طوعاً على ثَبَـــجِ اليقين يسيرُ (٢)

إنه يفزع إلى الله طالباً منه التوبة والغفران ، يكشف عن نفس تلـــوذ بجنـــاب الله طالبـــةً غفرانه ، مكثرة من ذكره وتوحيده ، فيتجلى هذا الذكر في ثنايا النص، أو فـــي ختامـــه، كمـــا سنرى في بعض قصائده المتأملة وغيرها ، لتشعر أنه يعيش تجربة خاصة تـــشابه تجـــارب شعراء الصوفية الخاصة ، " إذ أن كل تجربة صوفية هي تجربة خاصة وصاحبها هو نـــسيج وحده" (٣) :

---

(٢) محمد التهامي : أنا مسلم ، ص ٧.

(١) محمد التهامي : أنا مسلم ، ص٧٩ .

(٢) عبد الخالق محمود عبد الخالق : سيكولوجية الإبداع في الشعر الصوفي ،مؤتمر النقد الأدبي ، جامعة البحرين ، ١٩٩٣م ، ص ٣.

**يا ربِّ قد سكنَ العذابُ بعالمي وأدارَ في مجرى دَمي نبضاتي**
**ولأنتَ رحمنُ العبـــاد وعونُهم ومخلصُ الإنسانِ في الأزماتِ**
**فامنحْ وجودي نفحـــةً عُلويةً تلقـــى ضياءَ الله في ظُلماتي**
**فلقد دعوتُكَ مـــن فؤادٍ خاشعٍ يجثُـــو ببابكَ ضارعَ الصلواتِ (١)**

طرق التهامي في شعره موضوعات متنوعة، فنظم شعراً مفعماً بالابتهالات وتأمل فـــي صفات الله سبحانه وفي مخلوقاته، تناول فيه قضايا أخلاقية مختلفـــة، كالفـــساد والأخلاقـــي، والبطالة، وسجَّل عبر هذه الموضوعات تصوراته ، ورؤاه للكون والحياة ، فعبر مـــن خـــلال قصائده عن هموم المجتمع العربي ، والعالم الإسلامي ؛ ليجعل من هذا كله نسيجاً أدبياً قـــادراً على الإيحاء، وتسجيل المواقف تسجيلاً يؤكد الثورة ضد الظلم والأحقـــاد والفـــساد، والـــدعوة الصادقة للعيش في كنف الله بروح المتصوف ، وقلب الداعية، وسيف المرابط في ســـبيل الله ، إنه شاعر أحب الإسلام ، فعشق كل ما يمت إليه بصلة، وتعامل مع كل ما يزيد مـــن قوتـــه، ويثبت عمق الانتماء إليه :

**وُجُودُ.. لا يُزعْزعُه فـــناءُ وليس لبعضِ ما يعُطيه حَصرُ**
**وكلُ الناسِ خَلفهَمو زمـــانٌ يَـــدورُ بهـــمْ .. بأعْمَارٍ تَمرُ**
**وسبحانَ المهَيمنُ في عُلاه يَدُومُ به الـــزَّمان .. و يَسْتمرُ**
**وفْوَق الكلِ قدرتُهُ تعالَـــتْ فليـــس لـــغَيرْهِ في الكونِ ذكرُ**
**وقدرتُه علي الأَكْوانِ ســـرٌ وفي الإنْسان..في الأرواحِ سرٌ**
**فطوبى للذي يَدْري سَـــناها ويدركُـــهَ مـــن الإيمـــانِ قَـــدْرُ**
**فلا يُشْقيهِ في الدّنَيَا سُؤالٌ ولا يُعْـــييهُ فتي الأيـــَّام قَهْـــرُ**
**ولا يَسْعى لإنسانٍ بســـُؤْلٍ فمـــا لعَطَّيةِ الإنســـانِ سِـــعْرُ**
**فإنْ أَمْضى الإلهُ بِنَا قَضَاءً فـــلا أحـــَدٌ يُفـــيدُ ولا يَضـــرُّ (٢)**

الله عز وجل هو الملاذ عند كل أمر جلل ، وهو سبحانه وتعالى مفرج الكروب ، هـــذا مـــا يؤكده التهامي في ختام قصائد الرثاء ، فكأنه بعد نوبة الحزن يجد إيمانه بـــالله يعـــصمه مـــن التردي في المعاصي ويعينه على إدراك أن الدنيا دار ممر وأن الآخرة دار مقر، وأن الكـــيس الفطن من علم ذلك وعمل من أجله :

**يتراجع ُالإنسانُ مهما - عمَّرت أيـــامُه – ويخـــونـــُه التـــعـــميرُ**

---

(٣) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٥٧٧.

(١) محمد التهامي : أنا مسلم ، ص٦٤ .

**ويــودُّ لو ملكَ الخلودَ ، وفــاتَهُ أن الخلودَ– على الورى - محظورُ**
**فالخــلدُ لله المهيــمن – وحده - شهدتْ به– فوقَ الزمان – عصورُ**
**والناسُ مهما كانَ من أعمارِهم بَــدَدٌ عــلى كــفِّ الفنــا منــثُورُ**
**من فجــرِ هاتيكَ الحياة مواكبٌ تجري، وفي نابِ الفنــاء تصــيرُ** (١)

لما نزل القرآن تأسست القاعدة الأصيلة للأدب العربي بمفهومه الصحيح القائم على قــيم التوحيد والحق والعدل ، وكان القرآن بأسلوبه ومضمونه معاً هو المــصدر الحقيقــي لــلأدب العربي الإسلامي الذي تشكل في ظل القرآن وجرى مجراه (٢) ، وهكذا كان الدين الإســلامي الحنيف مؤثراً لا في شعر التهامي فحسب، إنما كان ملمحاً من ملامح شخــصيته وتكوينــه ، والقرآن الكريم من أبرز المؤثرات في الخطاب العقدي في شعره ، ونلمــح هــذا الأثــر فــي اقتباسات صريحة أو في أفكار أو معان مستقاة ، يقول في معجزة الإسراء والمعراج :

**أشرق الحقُّ لــدى مُعجزة تشهدُ الأرضُ عليها والسماء**
**قد دعا الرحمنُ فيها عبده فتسامى بينَ أحضان الرضاء**
**راح والكعبةُ فــي أحلامها وأتى الأقصى فصلَّى ثم جــاء** (٣)

إن التضحية في سبيل الإسلام ومقدساته شيء عرفته الشعوب المجاهــدة ، ومعنــى مــن الشجاعة الإنسانية يفيض بالرضى في نفوس الضحايا الذين قامــت ســاريتهم علــى تــراب أجسادهم، وفتلت من عروقهم دليلاً هادياً للعمل ، يجعلنا نرخص أرواحنا في سبيل الله ونــشر الدعوة ، فيقول التهامي معبراً عن التضحية والفداء :

**إنْ كان ما تخشون موتاً إننَا نلقاه وهو لمن تسابق عيدُ**
**أ رأيتُم البطلَ الشهيدَ إذا قَضَى بَسماتُه زَانتْه وهــو شهيدُ ؟**
**وسمعتم الأبطالَ في ترديدهمْ وا فرحتاهُ استُشْهِدَ الموعودُ**
**فَبِمِثلهمْ جئــنا نؤكــدُ حقَّنــا هل بعدَ هذا ينقِّصُ التأكيــد** (٤)

والصلاة الركن الثاني من أركان الإسلام وصلة العبد بربه يجعلهــا الــشاعر بابــا للــذل والخضوع ، وهى في الحقيقة علاقة حميمة بين المسلم وربه ،والإنسان المتدين وخالقه ، مــن

---

(٢) السابق ، ص٧٨ .
(٣) ينظر : أنور الجندي :الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ، ص ١٤١.
(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٦٢٢.
(٢) السابق ، ص ٣٣ .

شأنها أن تهب النفس الإنسانية التوازن والثبات ، يلجأ إليها لتخفف من كبد الدنيا وتلهمه سبل الرشاد ، يقول :

**لما قَّصدْتَكَ ضارعَ الصَّلواتِ وصدقْتُ يا ربَّاهُ في دَعواتي**
**وصَفَا فؤادي، و استُبدّ بخاطري شَوْقٌ إلي فَيْضٍ من الرَّحَمات**
**وعَبَرْت كُلِّ شوائبي، وَ تَلهفَّتْ للنُّور في غَسَقِ الدُجى نظَراتى**
**فإذا دعاء الصِّدْق يفْتَحُ مُوصَدًا وَيطُوف بالأُنوار في العَتَبَاتِ**
**وإذا بفَضلِكَ يا كَريمُ يَعُمُّنِى وُيضيء كُلَّ خَفِيةٍ، بِحَيَاتي**
**علَّمْتِنَي سرَّ الحَياة و قُدْتَني للخَيْر و التَّوفْيق و البركَات**
**ألَهْمَتَني سُبلَ الرَّشادِ و طَالَمَا ضَلّتَ علي دَرْبِ الهَوى خَطَواتي**
**جنَّبْتني الذَّلَ الكَبيرَ و صُنْتَني من شَهوْةِ الدَّنَيا و من نَزَواتي**

**من يقْصدِ الدُّنْيا بدونك يَلْقَهَا تِيهاً من الأهوال و الظّلُماتِ** (١)

إن الشاعر الحق هو المتصدي لنصرة المبادئ والقيم والمبادر للاستنهاض ، وهو الذي يكرّس شعره لخدمة دين الله ، وحمل التعاليم الإسلامية السامية ، فالشعر في ضوء التعاليم الإسلامية وسيلة للبناء لا الهدم والارتقاء والتقدم للأمام ، ودافع للروح نحو التأمل في ملكوت السماوات والأرض ، فالتهامي في قصائده لسان الحق ، وضمير الأمة ، ومنشد الجمال والخير والعدالة ، يحث على التوحد وجمع الكلمة ، ونشر دين الحق:

**إنّا جميعًا كتابُ الله يجمعنا في ظِلِّهِ ضَمَّنَا عَهْدٌ و ميثاقُ**
**ودينُنا الحقُّ، لا بَغْيٌ يُدَنِّسُهُ ولا عِنادٌ وراءَ الإفْكِ مُنْسَاقُ**
**ما أضيعَ الدين، إنْ يُخْدَعْ بدعوتِه دمٌ بريء لغير الحق مُهْراق** (٢)

استخدم التهامي في شعره اللغة البارعة المحكمة المؤثرة، كما تراوحت مواضيع شعره بين التجربة الذاتية والتجربة الفكرية ، فهو عندما يكتب شعراً ذاتياً فإن لهجة شعره تجئ رقيقة متوهجة العاطفة، وعندما يكتب عن التجربة الإيمانية فإن لهجة هذا الشعر تصبح أكثر قوة ، إذ يهاجم المتآمرين وتلك النفوس الضعيفة التي تضافرت على انتهاك حرمة الجهاد وقدسية

(١) محمد التهامي : أنا مسلم ، ص١٥ .

(٢) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص٢٩٩ .

التضحية ، تلكم هي روح الشاعر المتفائلة وشاعريته المتفردة والتي تجلت في أسمى معانيها وصورها حيث صبها في قالب متين .

يقول الشاعر التهامي في مقدمة ديوانه " دماء العروبة على جدران الكويت " : " أقدم شعري إلى الإنسان العربي الذي لم يجد نفسه ولم يملك أمره ولم يعرف أبعاد قضيته ... فلعله يتعلم ، وإلى الإيمان الذي نعرفه قولاً زائداً ، ونؤديه عملاً ناقصا فلعلنا ندرك الإيمان الكامل ، وإلى الأجيال القادمة التي تتحمل أخطاء لا يد لها فيها ، فلعلها تدركها رحمة الله ، وإلى البقية الباقية من الأمل البعيد الذي يعللني بالحياة فلعله يدنو (١) ".

إن الشاعر التهامي ضوء الأمة وضميرها الذي لا ينام على ضيم ولا يرضى بالهوان مهما حاول رجل السياسة الخداع، فالقصيدة عنده تبقى ضميراً ووعياً وحلماً بالغد والمستقبل ، لتؤسس الحق من جديد .

---

(٣) السابق ، ص ٤٨٧ -٤٨٨.

# الفصل الرابع : الدراسة الفنية

## - البنية اللغوية

## - البنية التصويرية

## - البنية الموسيقية

**تمهيد**

تعتبر الأشكال الشعرية الأصيلة هي الأقدر على الإبداع والتعبير في إطار الحفاظ على الثوابت الشعرية الصحيحة إضافة إلى الرؤيا الشعرية الصادقة ، فالأديب أو الشاعر عليه أن يبدع بالطريقة التي يشاء ، ولكن ومن باب - أن لكل شيء ضوابطه وأصوله - فإذا ما

اختل ذلك فيفسد العمل الأدبي ، ومثال ذلك الوزن الشعري الموسيقي. إن الشاعر الأمين المعبر بمقومات الشعر ، كالوزن والقافية ، وصدق التعبير ، وقيمة المعنى ، ورقة التخيل ، وبلاغة القول ، فإنه في إطار ذلك كله يستطيع أن يجذب القارئ والمستمع ويؤثر ، فالشاعر ليس ببغاء يكرر فقط ، بل إنه يشكل مع القارئ تجاوب وانسجام ، وإذا كان الشاعر غير صادق لفنه ، فلا يستطيع إقناع القراء أو المستمعين بجودة الأداء الحقيقي على المدى الطويل، و الشاعر مادام مقيماً على أصالته وأمانته والتزامه الأدبي ، يكن التعبير الصادق سمة تميزه ، أما إذا اهتزت الصورة وخرج عن الأطر والدائرة ، أي إذا تناقض مع ذلك فلا يجد له سامعاً ولا قارئاً .

إن الأدب العربي القديم شعره ونثره ، هو التراث المشترك الذي تلتقي عنده الشعوب العربية وتفاخر به ، فالعناية به وتوجيه الشباب إليه من أنجح الوسائل لإحياء روح العروبة فيهم ، وإزالة ما أحدث الزمن والظروف من فوارق وحوائل، أما إهماله وتوجيه أكثر العناية إلى الأدب الحديث ، خاصة التافه منه ، وتجنب ما كان منه على منوال القديم جزالة وروعة وفخامةَ أسلوب واحتفالاً بالمعاني الكبار ، فهو خليق أن يعين على تدعيم ما يدبره بعض المفسدين (١) ، حيث عاب بعض المحدثين نظام القافية ؛ لأن الشعر الأوروبي خال منها ، ووصفوا التأنق في التعبير والاحتفال بجرس الألفاظ بالغثاثة والتفاهة ؛ لأن اللغات الأوربية في فقرها وضيقها تعجز عن مجاراة اللغة العربية فيه ، وزعموا أن ذلك يحد من قدرة الشاعر على الانطلاق ويستنفد من جهده ما يغض من المعاني ويجور على الخيال ويتحكم فيهما، وواقع الأمر أن القافية والزخارف ليست هي نفسها عيباً ، فهي كمال في انسجام النغم ورصف الألفاظ وتنسيق الصور (٢) .

إن الحديث عن غياب الشعر العمودي عن الساحة الأدبية ، والقول بأنه يواجه أزمة واقعية ويمر بهاجس خطير حديث تعوزه الدقة ؛ لأن هذا النوع من الشعر مازال يلقى إقبالاً كبيراً من المتلقي العربي في كل مكان ، فالشاعر الصادق الذي يعتمد على القواعد والأسس العربية الأصيلة سيبقى مؤثراً وفاعلاً ، والشعر الأصيل هو الذي يترقبه القارئ العربي أينما كان شرقاً أو غرباً ، والشاعر التهامي في الوطن العربي مازال نجماً تحيط به الأضواء ، ويلتقي حوله المعجبون والمحبون ، ويتلقى دعوات إحياء أمسيات الشعر في كل بقعة من عالمنا العربي .

---

(١)ينظر: محمد محمد حسين : الإسلام والحضارة الغربية ، ص٢٧٨ .

(٢) السابق ، ص ٢٦٦.

يعي التهامي ماهية الشعر ووظيفته ودوره ومتى تكون المعاني غامضة ؟ومتى يتطلب الوضوح والمباشرة ؟ فالشعر عنده ليس إبهاماً وتعمية وألغازاً وأساطير ، فالغموض في أشعاره يؤدي وظيفة ودلالة ، وإن كان التهامي أقرب للوضوح والمباشرة ؛ ولأن الشعر يخاطب الجانب الذاتي من المتلقي فلا يتحقق فيه الوضوح أو التحديد على نحو ما يتحققان في المستويات الفلسفية ، بل ربما كان الغموض مطلوباً في الشعر ، ما دام يؤدى وظيفة داخل سياق القصيدة (١) . فالفكر عالم عقلاني ، والشعر عالم خيالي ، والفكر يصور أو يعالج الواقع القائم والمتجسد، بينما يستهدف الشعر تحسين الواقع وتزيينه ، من خلال عملية خلق لغوى ، أو تقديم تجربة لغوية ، وهذا ما يفسّر موقف أفلاطون في جمهوريته ، حينما اصطفى من الشعر ما يؤدي وظيفة تربوية ، أو بعبارة أكثر دقة ، اصطفى من الشعراء من لا تؤدى أساطيرهم إلى إفساد النشء (٢) .

يحرص التهامي على سبك خيوط القصيدة العمودية مع تطور في العلاقات الصورية واللغوية ، ومع أن هناك فارقاً كبيراً بين حركة الشعر المعاصر والقصيدة العمودية موجود بشكل متسع إلا أن التطور يكشف عن نوازع التأثر والتأثير بينهما ، فالتهامي يأخذ لنفسه قدراً كافياً من الحرية لتطويع بعض هذه القواعد والأساليب لتلائم التجربة وتواكب العصر دون أن ينقطع عن الموروث الحضاري لهذه الأمة ولا عن مستجدات العصر .

إن هذا الشكل الشعري الذي يستدعيه الشاعر ليس من قبيل استعراض العضلات الشعرية بقدر ما هو استخدام لشكل استدعى نفسه بنفسه ، ولعل المشكلة الكبرى التي تواجه الشاعر في كتابة الشعر العمودي تتمثل في إيجاد وسيلة مثلى لإبداع قصيدته بمذاق مختلف عما يفعله الآخرون ؛ لأن التجديد في القصيدة العمودية مسألة صعبة بالتأكيد، ولكنها ممكنة وليست مستحيلة ، وإن أبعاد الرؤية الشعرية لدي شاعرنا التهامي من خلال رصد الخصائص الفنية لإنتاجه الشعري توضح معالم الشاعرية الجيدة ، والموهبة المبدعة ، والتمكن اللغوي ،وسلامة الأداء والأسلوب ، ووضوح الخيال الشعري.

---

(١) ينظر : جابر عصفور : مفهوم الشعر، مطبعة دار نشر الثقافة بالفجالة، ودار نشر الإصلاح ، الدمام ، د - ت، ص ٣٢٧-٣٢٨.

(٢) ينظر : أفلاطون: الجمهورية ، تحقيق: حنا خباز ، ط١، دار القلم، بيروت ١٩٦٩م، ص ٦٦.

تعتمد بنية القصيدة وتشكيلاتها عند التهامي على مستوى التركيب والدلالة والصور والإيقاع في أسلوبية وتقنية غاية في الدقة ، وآليات شعرية تجسد القصيدة من خلالها هويتها الشعرية وخصائصها الفنية والجمالية والتعبيرية ، كما يمتلك نصه الشعري طاقات انفعالية وتأثيرية غنية ، وحضورية متألقة والتي توفر بثرائها الدلالي غطاء تركيبياً يحتضن انفعالات الشاعر، واستجاباته الفردية والجماعية ، فإذا كانت صناعة الجدل وصناعة الخطابة تتركان أثراً في توجيهات الفكر الإنساني، فصناعة الكلام المخيّل تخلق إذعاناً انفعالياً في النفس المتلقية، بحيث تنقبض عن أمور وتنبسط عن أمور نتيجة لفاعلية الأثر التي تتركه هيئة الكلام وما تحتويه من طاقة نافذة لأعماق النفس(١) .

يعلم التهامي حدود اللغة ، قواعدها وأصولها التي لا يمكنه تجاهلها ، وأساليب التعبير الشعري المتوارث والمتبع في التراث الأدبي العربي ، وهي أساليب راسخة في الأذهان ، وفي الذوق العام ، بحيث يؤدي الخروج عليها، بغير أناة ومهارة وتدقيق ، إلى إفراغ القصيدة من ماهيتها وسماتها، فالنتاج الشعري الاتباعي الذي أنتجه شعراء معاصرون في زمن الحداثة والتجريب شكل مدرسة شعرية ذات طابع مميز، تركت أثراً واضحاً وجلياً في النفوس ظل باقياً إلى اليوم بمذاق خاص ومتميز، وفي الوقت نفسه شكل عالماً خاصاً به وبأدواته الفنية، فالتهامي التزم أساليب الأقدمين في إطار من المعاصرة أبقاه في المقدمة رغم أصوات الحداثة والتجريب التي تريد أن تتجاوز كل ما في التراث من كنوز بدعوى اللحاق والتجدد .

إن قواعد اللغة وأصولها، والأساليب الشعرية المتوارثة هما اللذان يمنحان الأصالة الشاعر وموهبته الإبداعية ، فالشاعر الأصيل الموهوب عارف بقواعد لغته ، وأصولها، ولأساليبها الشعرية المتأثرة بهذه اللغة والمتوارثة في تاريخها الأدبي ، " فالمحور الأساس في العمل الأدبي الإبداعي هو الشكل اللغوي الذي يأخذه ؛ وذلك لأن الأدب تشكيل لغوي في نهاية الأمر ؛ ولهذا ينبغي أن يكون المدخل إلى فهمه وتحليله وتقديره لغوياً (٢) " .

ينبع التزام التهامي من محافظته على قواعد هذه اللغة وأصولها وأساليبها الشعرية ، وإدراكه كنه العصر الذي يعيشه ، ورغم تعدد المدارس والمذاهب الشعرية ، يظل التزامه حاضراً ومؤثراً في الساحة الأدبية .

إن اللغة ليست قالباً للأفكار بقدر ما هي تعبير عن رؤية مستعملها ، ومن هنا يتبلور إدراك التهامي لأهمية العودة إلى فصاحة اللفظ وشرف المعنى ، فالتهامي من القلة القليلة

---

(١) ينظر : شكري عياد : فن الشعر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٧م ، ص٢١٠ ــ ٢١١.

(٢) محمود الربيعي : قراءة الشعر ، ص١٢١ .

الباقية المتمسكة بالأصالة ، التي خرجت من نبع الأصالة مازالت تستخرج لنا الجمال ، وتطرح لنا الفكرة الجميلة بأسلوب شعري يهز المشاعر والقلوب ، ويخاطب العقل ، فهو بذلك يعد واحداً من الحرس القديم الأشداء علي ناصية الشعر العربي العمودي بأوزانه وقوافيه، وهذا ما يلاحظ على سيطرة الأساليب القديمة على الأبيات بدءاً بالخطابية الواضحة ، ثم التكرار واستخدام الشاعر للمفردات القديمة ، فالشعر هو الكلام الذي تذعن له النفس وتنفعل له انفعالاً نفسياً غير فكري؛ سواء كان الكلام أو القول مصدقاً به أو غير مصدق به؛ فإنّ كونه مصدقاً به، غير كونه مخيّلاً ، فإنّه قد يصدّق بقول من الأقوال ولكن لا يُنفَعل له، فإن قيل مرة أخرى وعلى هيئة أخرى فكثيراً ما يؤثر الانفعال ولا يحدث تصديقاً (١).

إن كانت أهمية الشعر تنبع من طريقته الخاصة في إيصال المعنى، وتأثيره في المتلقي، فهل ينحصر دوره في إحداث نوع من المتعة الشكلية الذهنية الخالصة فحسب ، فيعجب المتلقي ببراعة الشاعر ، ومهارته في الدلالة على معانيه فحسب ؟ أم أن دور الشعر يتجاوز حدود هذه المتعة ، ليصل إلى إثارة انفعالات المتلقي ، إثارة خاصة تفضي به إلى اتخاذ وقفة سلوكية محددة ؟ .

إن الإجابة تتمثل في معرفة حقيقة الدور الذي يمكن أن يقوم به الشعر في المجتمع الإنساني، وتكشف في نفس الوقت عن تعدد الأدوار التي تعطي للشعر أهميته كنشاط إنساني متميز ، وكأن تأثير الشعر في المتلقي يشكل انعكاساً وامتداداً للمفهوم المتوارث حول أثر الشعر في متلقيه، فالشعر لا بد أن يثير فنيا إحساسات جمالية وانفعالات وجدانية وإلا فقد صفته، ولتحقيق هذه الأهداف هناك عدة وسائل أو خصائص لا بد من توافرها فيه كالوجدان في مضمونه، والصور البيانية في تعبيره، وموسيقى اللغة في وزنه (٢) ، وكما يصوره ابن طباطبا بقوله : " فإذا ورد عليك الشعر اللطيف المعنى، الحلو اللفظ، التام البيان، المعتدل الوزن، مازج الروح ولاءم الفهم، وكان أنفذ من نفث السحر، وأخفى دبيباً من الرقى، وأشد إطرابا من الغناء " (٣) ، والتهامي شاعر له تجربة ثرية وعامرة وممتدة ، ومثمرة ، استطاع من خلالها أن يؤكد أن الشعر العمودي مازال نخلة سامقة ، قادرة على العطاء .

يتميز اتجاه الشاعر بغلبة الطابع التقليدي على أشعاره وتراكيبه ومعجمه اللغوي وأبنيته الأسلوبية، فلا يختلف كثيراً عن غيره من الشعراء العرب في تناولهم للموضوعات الشعرية

---

(١) ينظر إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ط٣، ١٩٨١م ، ص٤١٦ ــ ٤١٧.

(٢) ينظر : محمد مندور : فن الشعر ، ص ٣ – ٤ .

(١) ابن طباطبا : عيار الشعر ، ص٢٢٩ .

التقليدية، والمحافظة على شكل القصيدة العربية الموروثة، حيث إنه يتناول الموضوعات المعروفة والمتداولة ، وعلى الرغم من وجود بعض الصيغ التقليدية فإن عبارات الشاعر الشعرية تتسم بيسر العبارة وسلاسة البناء، وتنوع الإيقاع، وائتلاف اللفظ مع المعنى ، فيكون اللفظ مساوياً للمعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه ، وهذه البلاغة التي وصف بها بعض الكتاب رجلاً ، فقال : " كانت ألفاظه قوالب لمعانيه ، أي مساوية لها لا يفضل أحدهما على الآخر " (١) .

تجلت الأساليب القديمة والحديثة في أشعار التهامي، وإن بقي ملتزماً في الإطار العام بأساليب القصيدة العربية القديمة كما وردت عند المرزوقي - في مقدمة شرحه لديوان الحماسة - حيث يرى في عمود الشعر سبع خصال: " من لزمها بحقها وبنى شعره عليها فهو عندهم المفلق المعظم، والمحسن المقدم، وهذا إجماع مأخوذ به ومتبع نهجه عند العرب ، والخصال السبع هي: شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والإصابة في الوصف، ويستشهد بقول عمر بن الخطاب في زهير – وكان يراه أفضل الشعراء – كان لا يمدح الرجل إلا بما يكون للرجال ، والمقاربة في التشبيه والتحام أجزاء النظم والتئامه على تخير من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما " (٢) .

## البنية اللغوية :

اللغة هي الوسيلة الأولى لعملية التواصل مع الآخرين، غير أنها تتعدى وظيفتها الاجتماعية المحدودة هذه، فتشكل الأساس في عملية بناء القصيدة ، إذ تمثل الطريق الموصلة

---

(٢) قدامة بن جعفر : نقد الشعر ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العامة ، لبنان ، بيروت د- ت ، ص١٥٣ .

(٣) المرزوقي : أبو علي أحمد بن محمد ، شرح ديران الحماسة ، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون ، ط١ ، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة ، القاهرة ١٩٥١، المقدمة ، ص ٧- ٨ - ٩ .

بين المبدع والمتلقي، فتؤدي بذلك وظيفة أخرى، تتمثل في إيجاد روابط انفعالية بينهما، فتتجاوز بذلك لغة التقرير إلى لغة التعبير، وتسعى للكشف عن العواطف والأحاسيس والانفعالات الكامنة في قلب الشاعر، ومحاولة إيصالها في نفس المتلقي. واللغة الشعرية تعكس قدرة الشاعر في إثراء اللغة، وتفجير طاقاتها، وإقامة الروابط المجازية بين مفرداتها، وكسر حاجز الجمود، والتقوقع داخل محيط عقلانية اللغة، ومعرفة قدرته الإبداعية في إيجاد الصور، وأداء المعنى المطلوب، ونقل التجربة الانفعالية لدى الشاعر بصدق وحرارة.

لقد اتفق الباحثون على أن أعظم سمة تميز الأساليب عند الشعراء على نحو خاص ، هو تفردها من ناحية ، ومن ناحية أخرى هو كونها دليلاً على شخصيات أولئك في تصرفاتهم في الألفاظ (١) ، واللغة في العمل الأدبي ليست وعاء خارجياً ، وليست شكلاً لمضمون ما ، إنها تشكيل مؤثر هو الشكل والمحتوى، وهو الوسيلة والغاية (٢) .

تمثل اللغة الركيزة الأولى لدى الشاعر لإقامة بنائه الشعري، ومن ثم فإن الشاعر المبدع يسعى حثيثًا ــ من خلال ثقافته وقراءته ــ إلى إيجاد علاقات حيوية بين مفرداته وألفاظه، مقيمًا بينها روابط وثيقة يستطيع من خلالها أن يتجاوز إلى أعماق المتلقي، محاولاً الوصول إلى بناء لغوي تتكامل فيه اللغة الشعرية والصورة الفنية مع التجربة الانفعالية الوجدانية، فيتحقق الهدف الأسمى من ذلك البناء .

يختار التهامي من اللغة وإيحاءاتها ، ويولد منها ما قدر على التوليد لا ليأتي بمعان يجهلها الناس تمامًا، ولكن ليصور صفوة معارفهم من زوايا متفردة تدهشهم وتعيش إحساسات جمالية لا تنتهي، وحجارة هذا البناء الموضوعي الألفاظ، إلا أن الألفاظ في الشعر تومئ إلى ما وراء المعاني، فتضاف إليها أبعاد جديدة ، وبذاك تتجدد وتحيا وبغير ذلك تذبل وتموت ، إذ نجد ألفاظه تقدم صورة إنسانية وفنية بغرض إماطة اللثام عن هذه الألفاظ .

يسعى الشاعر التهامي في بعض قصائده إلى لغة شفافة تعتمد على الوضوح والواقعية ، فهي لغة تكاد تكون خاصة بالشاعر ، لغة تنطلق من الواقع ومن وعي الشاعر بأدواته الفنية ، فالنظر في التجربة الشعورية وفهم الحالة الذهنية لقصيدة ما يتطلّب القدرة على الانغماس في العالم النفسي للشاعر واستحضار حالته النفسية من خلال كتابته لهذه القصيدة ، وفهم الحالة الذهنية تعني القدرة على استعادة الجو الشعوري ومعايشته من جديد ، ولا يتم ذلك إلا إذا استطاع الناقد أن يمعن النظر في الظروف والوقائع التي أدت إلى ولادة القصيدة، وبدون ذلك

---

(١) ينظر : عدنان قاسم ، الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي ، ص١١٢.

(٢) ينظر : محمود الربيعي : قراءة الشعر ، ص ١٢٢ .

قد ننزع القصيدة عن سياقها النفسي وتبقى تراكماً لغوياً وشكلاً دون معنىً، وتفقد الحسّ الشعري ، ففي قصيدة إيمانية فيها تضرع ودعاء ، يقول التهامي بلغة واضحة مؤثرة :

**يا ربُّ ألهمنا طريقَ صوابنا ... يا ربُّ جنبنا أذى العثرات**
**يا ربُّ ثبتنا وخذ بيميننا ... لنسير في درب الهُدى بثبات**
**إيمانُنا – يا رب – نور حياتنا ... وملاذنا في حالك الأزمات**
**مهما علتْ أمواجها وتضاربتْ ... فلدى هُدى الإيمان بَرٌّ نجاة**
**ولأنتَ يا ربَّاه مالك أمرنا ... تدري بما في النفسِ من خطرات** (١)

اتجه الشاعر إلى الألفاظ السهلة الشائعة بين العامة، مع عدم إهدار صحة اللغة واستقامتها كشرط أساسي للإبداع الشعري، مبتعداً عن الكلمات المعجمية أو الوعرة ؛ ولعل القصد من التخلي عن استخدام هذا النوع من الكلمات هو التعبير عن المألوف بكلمات مألوفة مستقاة من واقع الحياة المعيشة، وهذا يعني تناول اللغة الكائنة تناولاً جديداً يرغمها على التفاعل مع المعنى الذي يعبر عن رؤيا الشاعر وتجربته ، أما الكلمات الفخمة الرنانة التي يراد منها إثارة الاحتدام العاطفي والحنين التقليدي وذلك رغبة في الاستعراض والتباهي فقد حاول أن يتجنبه ، فاللغة بسيطة مؤثرة في كل المستويات، وقد أتاح التعبير عن التجربة ببساطة وعفوية أتاح وجوداً مميزاً للمفردات الدارجة أو الواقعية على أساس مبدأ ينطلق من أن لغة الناس يجب أن تكون لغة الشاعر، ويظل التهامي من شعراء البيان القريب والمعنى السهل ،والبديع المؤثر ، واللفظ المدرك المفهوم ، يخاطب بمقتضى الحال كما قالت العرب ، وبذلك جاءت ألفاظه وتراكيبه على قدر كبير من الوضوح والسهولة مع الاحتفاظ بصفات اللفظية الشعرية والتركيب الشعري والمحافظة على سلامة اللفظة من العامية والابتذال ، فاللغة أداة الفن الشعري ووسيلة إبرازه، واللغة تمثل دوراً رئيسياً في نقل التجربة الشعورية الإنسانية وتوصيلها، وبقدر ما يملك الشاعر من حاسة لغوية دقيقة تجعله يقف على الألفاظ الموحية المناسبة لعمله الشعري، يكون بإمكانه خلق الجو الإيمائي، معبراً عن التجربة الشعورية، بلغة شعرية تجعل المتلقي يعيش المعادلة الشعرية نفسها التي كابدها الشاعر أثناء عملية الإبداع الفني (٢) .

---

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٥٦٥ - ٥٦٦.

(١) ينظر : منيف موسى: نظرية الشعر عند الشعراء في الأدب العربي الحديث من خليل مطران إلى بدر شاكر السياب، دراسة مقارنة ، ط ١، دار الفكر اللبناني، بيروت ١٩٨٤م ، ص ٢٤٥.

تبدو مفردات البيئة المصرية أكثر مفردات المكان حضوراً في شعر التهامي ، ويعود ذلك إلى أنه شاعر واقعي ينطلق في نسج صوره الشعرية من البيئة التي عشقها وأحبها كلَّ الحـــبّ، كما ينطلق من موروث شعبه الذي ورثه عن أجداده ، ومفردات البيئة المصرية التي عني بها الشاعر تتصل اتّصالاً وثيقاً بطريقة حياة الإنسان المصري، ومن الأمثلة الدالة على ذلـــك مـــا ورد في قصيدة " مرحباً " :

**أخَا مصرَ ليـــت بمصـــرَ أهلاً ... لـــك اختاروا بقلبهم محـــلاً**
**نزلتَ بهـــا فأزهرت الرَّوابـــي ... وصارت أرضُها العلياءُ سهلاً**
**وماءُ النيلِ وهو الحلـــو أصلاً ... غـــدا بقدومك الميمون أحلى**
**وراح يسيلُ خلف خُطاك خيراً ... ويُلقى حـــولهـــا مـــاءً وظِلاً (١)**

تبلغ مشاعر الشاعر وأحاسيسه ذروتها في شكواه وأنينه في الكثير من قصائده ؛ فـــنحس من الأبيات أن الشاعر يمر بمرحلة ضياع وشتات ، يبحث فيها عن شط ترسو عليـــه ســـفينته بعد طول رحيل ووعورة إبحار قي القلق والغربة وعدم الاستقرار ، فقد سادت تعابير وألفـــاظ النص سمة الكآبة والفجيعة ؛ ليتلاقى إحساس التـــذمر المر بالتعبير الفاجع ، إذ أن كل لفـــظ أو تركيب يرسم حالة من حالات المأساة التي ترهق نفس الشاعر ، ومن ذلك قوله في قـــصيدة الحيرة القاتلة :

**بتْنَا حيارى ونورُ الشمس يلعَنُنَا ... يسدُّ في وجهِنا الدنيا وينسحبُ**
**ظهورُنا للهـــلاكِ المـــر مسندة ... ووجهُـــنا للهلاك المـــر يقتربث**
**ودارنُا في فـــمِ البركـــان موثقةٌ ... فيها ومن حَوْلها يستحكمُ اللهبُ**
**تداعتْ إلى حيِّنا الأطماعُ واثبـــةً ... مـــن كـــلِ أغـــراه مغـــتصـــبُ**
**نحن الفريسةُ أعطتْ من بلاهتها ... للصائديـــن لها فوقَ الذي طلبوا**
**فاقت مصيبتُنـــا أبعـــادَ طـــاقَتِنا ... فحطَّمتنـــا وغطَّـــت فوقنا النوبُ (٢)**

إن تجربة الشاعر هي التي تخيرت ما يناسبها من الألفاظ : حيارى – يلعننـــا - الهـــلاك المر – الأطماع – مغتصب – الفريسة – مصيبة - حطمت - النوب ، ويدقق في أدائها ، بل إن العاطفة تفجر التعبيرَ تفجيراً عفوياً فكأنه لا إرادي ، أو كأن الشاعر انساقت الكلمات منـــه انسياقاً فطرياً لا صناعة فيه ولا تكلف . ونلحظ مع ذلك أن ألفاظ النص سهلة لا تكـــاد تعثـــر على لفظ صعب أو غريب .

---

(٢) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٢٢٠.
(٣) السابق ، ص ٥٢٢.

تأتي العلاقة الجدلية بين الأفعال وزمنه في تراوحها بين الماضي والمضارع كلبنة أساس تربط بين حاضر الإنسان وماضيه ، كما تتم في تراوحها هذا عن الاضطراب النفسي للشاعر ، فانظر مثلاً هذه الأفعال : بتنا – ترصدنا – ترمي – يلعننا – يقول - يؤرقنا – يعيد - كشفنا – تفجر - أغرقنا - اجتازنا ، كما يلاحظ كذلك بروز الجملة الاسمية الخبرية بروزاً مفاجأً في منتصف القصيدة ، وبمؤكدات قوية تهز النفس ؛ وذلك للدلالة على ثبات الألم ورسوخه في روح هذا الإنسان الذي ولد وولد معه الشقاء ، فانظر مثلاً إلى قوله في قصيدة " الحيرة الكبرى " :

**بتنا وكلُّ عيونِ الكونِ ترصدُنا رصدَ العداة وترمي نحونا الشررا**
**حتى عفيفَ لسانِ القوم يلعننُا في كلِ ما قالهُ عنا وما سطرا**
**يقولُ في الليل عنا ما يؤرقنا من عُنفه ويعيدُ الصبحَ ما ذكرا**
**نحن الذين كَشفنَا عارَ سوءتِنَا ولم يقمْ بيننا شهمٌ لنا سترا**
**تفجرَّ الشرُّ منَّا ثم أغرقنَا واجتازنا ولأفقِ بعدَنا عبرا (١)**

إن دراسة واعية لأزمنة الأفعال المتضمّنة داخل قصيدة التهامي كأنواع الزّمن،و دلالاتها، وتوظيفها إلى غير ذلك من القضايا المتعلّقة بزمن الفعل في الثقافة العربية الإسلامية ، وقد جاءت في القرآن الكريم أفعال بصيغة الماضي لكنها تدل على المستقبل وبعض الأفعال الحاضرة التي تدل على المستقبل أيضاً ، وهكذا نتأكَّد أن دراسة بنية الأفعال وأزمنتها يساعد الناقد على الكشف عن أبعاد الدلالة الشعرية، لأنه ليس كل ماضٍ يحتوي على عنصر من الماضي بل قد يعبَّر به عن الحاضر أو المستقبل خاصة، وهكذا أيضاً بالنسبة للمضارع وللأمر :

**جاءَ الصيامُ وفيه ذكرك عاطرٌ ولديه هديُكَ مشرقٌ وضاءُ**
**يومي لعهدِ الوحي في إشراقِه والأرضُ من فرطِ الضياءُ سماءُ**
**والآي تحملُهُ الملائكُ للثرى هدياً تعزُّ بنورهِ الأرجاءُ**
**ولديك أقباسُ الضياء تلألأت والصَّحبُ حولك هالةٌ بيضاءُ (٢)**

إن قراءة الشعر اعتماداً على مقولة الكلمات المفاتيح هي نشاط ذوقي في الدرجة الأولى ، نشاط يوظف الخبرة والمعرفة ، أي إنه يوظف ما تم اكتسابه أو تعلمه لصالح ما يجري تلمسه أو الحدس به أو اكتشافه ، هذه القراءة التي تتغلغل عميقا بين مكونات اللغة الشعرية و هي

---

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص٥١١.

(١) محمد التهامي : أنا مسلم ، ص ٥٨ .

القراءة التي ألح عليها عبد ا لقاهر الجر جاني، ففي دلائل الإعجاز يقول : " لا ترى كلامًا قد وصف بصحة نظم أو فساده ، أو وصف بمزية وفضل فيه ، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه ، ووجدته يدخل في أصل من أصوله ويتصل بباب من أبوابه" (١) ، إن أبرز ما قدمه عبد القاهر من آراء ميزته عن غيره من النقاد العرب ، هو توحيده بين المعنى والتركيب النحوي في مستوى العبارة ، لقد كان عبد القاهر الجر جاني سباقا في رفضه تفضيل كلمة على أخرى في معزل عن التأليف أو التركيب النحوي، وكان سباقا في ذلك ، خصوصاً بالنسبة إلى النظريات الحديثة ، ومما قاله في هذا الشأن : " إنا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه ، ولكنا نوجبها لها موصولة بغيرها ، ومعلقا معناها بمعنى ما يليها (٢) :

**وشكَّل الحرفُ دنيا الفنِّ ساحرةً وطرَّز العيش بالآمال والحُلم**
**وشقَّ بالشعرِ قلب الكون فانطلقتْ آهاتُه لتُغني روعةَ الألم**
**وأعلنَ الشعرَ أسراراً مخبأةً في عينِ باكيةٍ أو ثغرِ مبتسم**
**سرُّ الحياةِ ومعناها وغايتها غنَّى بها الشعر في تطريبِ منسجم**
**وساقها في دلالِ اللفظ راقصةً فتَّانةً الخطو والإيقاع والنغم** (٣)

لقد تنبه عبد القاهر الجرجاني إلى هذا الأمر، عندما رفض المفاضلة بين المفردات ، وهو في ذلك يتميز عن غيره من النقاد العرب ، رغم أن منهم من يرى أن بعض المفردات أفصح من البعض الآخر، وذلك في معزل عن أي سياق أو تركيب . وقد عبر المرزوقي عن هذه الوجهة في قوله : " اللفظة تستكرم بانفرادها ، فإذا ضامها ما لا يوافقها عادت الجملة هجينا" (٤) .

إن الاستعمال هو الذي يجدد الكلمة ، ويعطيها حياة جديدة كلما وضعها في سياق جديد، فالقيمة الجمالية للعبارة الأدبية ، وخصوصا الشعرية ، إنما تتأتى من حسن استعمال الكلمات فيها ، وبالتالي هو الذي يجعل من كلمات معينة كلمات أساسية أو كلمات مفاتيح ، ويترك الكلمات الأخرى إلى جانبها ، لتأخذ من وهجها ، وهذا ما تميز به التهامي فقد كانت كلماته مفاتيح أبرزت جمالية العبارة الشعرية ، وألمحت إلى نسق ونظم يعبر عن اقتدار الشاعر وموهبته ، كما يلحظ استفراد التهامي ببعض الألفاظ والتراكيب والصور القديمة وتوظيفها

(٢) عبدا لقاهر الجر جاني: دلائل الاعجاز ، ص ٦٥ .
(٣) السابق ، ص ٣٠٨- ٣٠٩.
(٤) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص١٥٢ - ١٥٣.
(٥) المرزوقي : شرح ديران الحماسة ، ص ٩.

لملاءمة المضامين العصرية ، ومن أمثلة ذلك هذه الأبيات التي فيها : " يا ويلهم – هوت إلى – حصن الآمنين يهدم – تمكنت منا – النسور الحوم - صيرونا مضغة – تجري بأنياب الذئاب – الغنائم تقسم – يرمى بها ويوصم " ، ومن ذلك قوله :

**يا ويلَهُم خنقوا ضياءَ حياتنا فهوتْ إلى جوف التراب الأنجمُ**
**هزُّوا جدارَ العُرب خلفَ ظهورنا فإذا بحصنِ الآمنين يهدمُ**
**كشفوا غطاءَ الأمن فوقَ سمائنا فتمكنتْ منَّا النسورُ الحُومُ**
**قدْ صيَّرونا للأعادي مضغةً تجري بأنيابِ الذئابِ وتُهضم**
**وبدتْ مخازينا تفزعُ يومنا وبلادُنا بين الغنائم تُقسَمُ**
**كتبوا بتاريخِ العروبة لعنةً يرمى بها الجيل التعيس ويوصمُ** (١)

إن كان الشاعر متمكنا من الثروة اللغوية التي يمتلكها فلا غبار عليه في طرق التعامل معها ؛ لأنه تعامل شخص لديه الخبرة اللغوية الكافية، فيوظف تلك الخبرة حسب رغبته وفي الحدود التي تفرضها الضرورة الشعرية، وبذلك تكتسب لغة الشاعر في قصيدته تميزاً ذلك أن طبيعة الشعر تفهم من خلال تكونها من ألفاظ بنيت على نسق معين فاكتسبت بهذا التنظيم البنائي صفتها وحيويتها وشخصيتها حيث أن هذا التنظيم المعين للألفاظ أكسبها علاقات ودلالات جديدة (٢) ؛ لأنها ترتبط بالرؤيا وهي تعبير عن كون شعري، أما المعنى فهو جزئي يفتت العالم ، ولا يدركه إلا عبر أجزائه ، وإذا كان الشعر يخترق المحسوسات ويؤسس لعالم الرؤيا فإن الدلالة أعمق أما المعنى فهو المعنى اللغوي ، " أما الدلالة أو معنى المعنى فهي أشمل وأوسع من المعنى أي الدلالة النصوصية " (٣) ، فالرؤيا تجسيد لعصارة التجربة المتميزة بكل خصوصياتها النفسية والاجتماعية والثقافية والفكرية والسياسية .

تتشكل الرؤية من ممارسة الشاعر للحياة، ومن احتكاكه بالواقع والناس، ومن علمه بقضاياهم وطموحاتهم، ومن معارفه، وخصوصيات انتمائه الفكري والثقافي والسياسي. "إن الشاعر لا يتعامل مع المفردات من حيث كونها مفردات، ولكنه يتعامل مع تراكيب تقوم فيها المفردات بوظائف تكتسب بها معاني جديدة لم تكن متوافرة لها من قبل . فالكلمة في التركيب

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٣٥٠ .

(٢) ينظر : ضياء الصديقي، عباس محجوب : فصول في النقد الأدبي وتاريخه: دراسة وتطبيق ، ط ١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٩م ، ص ٢٣٨.

(٣) عبد الله الغذامي : المشاكلة والاختلاف ، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٤م، ص٧٣ - ٧٤.

غيرها مجردة مفردة " (١) ، وتتجلى لنا مهارة الشاعر اللغوية بقدرتهِ على تطويع مفرداتــهِ، وبطريقتهِ في الاشتقاق اللغوي، وقدرته على إقامة العلاقات اللغوية المدهشة بــين المفــردات، ولعل هذه السمة من السمات الفنية الهامة التي تساهم في تشكيل خصوصيته الفنية ومــن هنــا تتعدد القراءات التأويلية ، أو كما قال ابن رشيق في العمدة : " لكل كلام وجهٌ وتأويــل " (٢) ، والأبيات التالية يصدق عليها أي تأويل:

**سألتُ وقدْ تحفــزت الليــالي ولــم يكشــفْ خبيئها خَيالي**
**وأدمنتُ السؤال على رجــاء فجلجلَ في متاهتيها سؤالي**
**وروَّعني صدى صوتي وولى ولم يُدركْ حقيقةَ ما جرى لي**
**فقد لوت الطلاسمُ لــي يميني وقيَّدني التوجُّسُ من شمالي**
**وغام الأفــقُ وانطلقت ظنون تحــاولُ فــكَّ أغلالِ المحال**
**وكــلُ الكائنــاتِ تضجُّ حولي تعربدُ في جنــونٍ وانفعــال**
**وبيــنَ الغيــمِ تلسعني بروقٌ تطيلُ من الطَّواف والاشتعال**
**ولكن لا تضيءُ بجنــح ليــلٍ تمــردَّ في رســوخٍ واتصال (٣)**

تحمل اللغة في الشعر بالإضافة إلى مدلولها الأصلي الذي وضعته دلالات أخرى نستشفها من السياق البيئة الثقافية الذي أنتج فيه النص الأدبي ومشحونة بــدلالات ثقافيــة وحــضارية أخرى، فبعد التعرّف على الدلالة المعجمية للكلمات وتفسيرها تفسيراً معجمياً، نتأمل درجــات العدول أي الانزياح عن المعنى المعجمي ومدى قربه وبعده عن الأصل ؛ لأنه عــن طريــق اللغة يمكن التعرّف على الدلالات والأبعاد التي ترمي إليها القصيدة ، فإذا رجعنا إلى القواميس فإننا نجد أن الدلالة المعجمية لهذه الكلمات تفيدنا عند قراءتنا الأولى فقط ، وتظل اللغة ثريــة بالدلالات والإيحاءات ، فالشعر نقيض للعبارة العلمية ، وإن كان المثل الأعلى للعبارة العلميــة هو أن تكون محددة المعنى لا يداخلها لبس ولا غموض ولا يتعدد تفسيرها عند القارئين ، فإن المثل الأعلى للقول الشعري هو أن يحمل من المعاني ما لا حصر له إذا اســتطاع ، بحيــث تتعدد زوايا الرؤية عند مختلف السامعين والقارئين ؛ وذلك لأن الشاعر إذ ينتقي لشعره أغزر الألفاظ قدرة على استثارة المشاعر وما يكون له استجابات مختلفة ، فالقيمة الشعرية ليس هــو

---

(١) ينظر : محمد حماسة عبد اللطيف : في بناء الجملة العربية ، ط ١، دار القلم، الكويت ١٩٨٢م ، ص ٤١٧.

(٢) ابن رشيق : العمدة ، ج/١ ص١٠٢ .

(٣) محمد التهامي : يا إلهي ، ص ١١٩ .

وماذا قال ؟بل هو كيف قال الشاعر ما قاله ؟ (١) ، وليس معنى ما سبق أن التهامي شاعر تتعدد الرؤية في قصائده وتتشتت الدلالة ويكتنفها الغموض ، " فالقراء اليوم يشكون من غموض الشعر الحديث ويعلنون عن عجزهم عن فهمه وذلك ؛ لأنهم لم يتدربوا بشكل كاف مما يحول دون فهم مراميه وإشاراته" (٢) .

التزم التهامي شروط القصيدة العمودية واتسمت قصائده بالوضوح والمباشرة مع أنه يعيش العصر ويتعايش مع زملائه من شعراء الحداثة ، لكنه يتأثر بذلك إلى حد ما، فهناك القليل من قصائده والتي احتواها غموض فني وتعددت فيها الرؤى ، فيقول في قصيدة " عناد الشعر " :

**ولم يصنعْ لي المجدافُ شيئاً وما المجدافُ في الإعصارِ يغني**
**ولم تدعِ الحياةُ سوى يميني وإيماني وأشواقِي وفنِّي**
**فصار الموج في كفي رخاء يدور كما أريد ولم يَخُني**
**غرستُ على يبابِ القفرِ ورداً نثرتُ عليه أشواقَ التمنِّي**
**وضعتُ غِراسهُ النامي بقلبي وفاضَ سقاؤُه من جفني**
**فصارتْ حولي الأزهارُ روضاً يبوحُ بحسنه غصنٌ .. لغصنِ** (٣)

لا يتحقق الجمال التام في الأسلوب الشعري عند التهامي إلا بالانسجام التام ، والتوافق الكامل ، فيكون البناء اللغوي والرؤيا متلازمين في بنية محكمة ، جيّدة السبك ، متينة البناء ، بالغة الروعة ، ويكون الجسد مثالاً في تناسقه ، واعتدال أعضائه ، وتوافق زيّه وحليته ، وحركته، و" يعتبر العمل الأدبي كائناً حياً لا يمكن أن يشطر شطرين ، إضافة إلى أنه لا يستمد قيمته من محتواه أو من شكله منفصلاً بل من تفاعل الكاتب مع الحياة تفاعلاً يمتزج فيه الموضوع بالشكل في وحدة موضوعية (٤) " .

يعتمد منهج الشاعر في كتابة نصه الشعري أساساً على تداخل عناصر متنوعة، وأحداث تاريخية وشخصيات مختلفة في تشكيل الصورة الشعرية ، في محاولة جادة لخلق لغة راقية ترتكز على نظام التعبير؛ أي عالم العلاقات الذي يبدعها الشاعر بين الألفاظ المؤلفة لهذا التعبير فيجعل مهمة الفصل بين المكونات والنظر إلى كل واحد منها من زاويته الخاصة

---

(١) زكي نجيب محمود : مع الشعراء ، ص ١٩١ .

(٢) عبد الله الغذامي : الموقف من الحداثة ، ط١ ، ،المركز الثقافي ، بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، ص ٨٩ .

(٣) محمد التهامي : يا إلهي ، ص ٩٧ .

(٤) داود غطاسة وحسين راضي : قضايا النقد العربي قديمها وحديثها ، ص ٩٣ .

عملية تعقد الفهم، والتأويل، ويفرض شمولية النظرة القارئة، وذكاء الربط المتوازن ، ويعكس ذلك السعي إلى التذوق والإدراك بنظرة شاملة، وفهم كنه العصر الذي نعيشه ، ولقد كثرت في ديوان يا إلهي قصائد اتسمت بتلك المكونات ، من ذلك قوله :

**لا تسلْ عن أغنياتي  لا تقل شيئاً ودعني**
**إنني ضيعتُ عمري  في حياةٍ لم تصنِّي**
**فانتهى لحني وجفتْ  قدرتي وارتدَّ فنِّي**
**ذاك ليلٌ لم يـــعد فيه  مكانٌ لم يُضعنـــي** (١)

تُشكل الكلمة المصدر الأول من مصادر التهامي ، والتي تتشكل من صوت معزول أو من جملة من الأصوات المركبة الموزعة داخل البيت الشعري أو القصيدة بشكل أفقي أو رأسي، وهذه الأصوات تتوحد في بنائها وتأثيرها سواء أكانت حرفاً أو كلمة ذات صفة ثابتة كالأسماء أو ذات طبيعة متغيرة تفرضها طبيعة السياق كالفعل، فهي تسعى جميعها لتؤدي وظيفة سياقية تفرضها طبيعة اللغة المستخدمة،وإلا أصبح التكرار مجرد إعادة ، ونمطي لا يثير في السامع أو القارئ أي انفعال أو إثارة ، من ذلك قول التهامي :

**سنخوضُ معركة المصير، نخوضها  و ندقُّ فَـوق عصيِّها أقداما**
**سنخوضُـــهـــا و لنحنُ أقـــدرُ أهلِها  وأشدُّهم في خـــوْضِها إقداما**
**سنخوضُـــهـــا و لَنَحْن أدْرَي أنهـــا  قـــدَرٌ و يُلْزِمُ جـــيلنَا إلزامـــا**
**سنخوضُـــهـــا لنعيـــشَ ، إن حياتنا  كانتْ -علي أثقالِها - أوهاما** (٢)

يحرص التهامي على أن يجعل من هذه الأصوات أو الكلمات قوة فاعلة - أحياناً - لإيقاظ حس الانتماء للأمة في أبناء عصره، وبعث الهمة والتبصير بالواقع وكشف زيفه ؛ لذلك نراه يركز على الجملة الفعلية أكثر من الجملة الاسمية فالأولى قادرة على التأثير والتغيير وهي أكثر قدرة على استيعاب الأحداث التي يعيشها الشاعر بينما الجملة الاسمية ذات طبيعة ساكنة هادئة ، وغير ممتدة داخل النص الشعري بينما الفعلية نمائية متغيرة ومتطورة وقادرة على استيعاب هموم الشاعر وآلامه فيتفق التكرار في غالبه عند التهامي مع طبيعته النفسية، لأنه يسعى إلى استخدام التكرار وسيلة للإعادة والإلحاح والتأكيد على ما في ذهنه لإصلاح الواقع، فالتكرار مفتاح للفكرة المتسلطة على الشاعر ، وهو بذلك أحد الأصوات اللاشعورية التي يسلطها الشعر على أعماق النفس فيضيئها بحيث نطلع عليها ، فهو جزء من الهندسة العاطفية

(١) محمد التهامي : يا إلهي ، ص٧٠ .
(٢) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٤١ .

للعبارة ([1]) ، ولهذا فهو لم يكرر ولم يكن معنياَ إلا لأنه أراد من خلال تكرار الجملة أو الاسم أو الفعل أو الأداة أن يؤكد معاني وقيماً يريدها ويسعى لتثبيتها في العقول والقلوب ، يقول :

**تُعطي وتغمرُ كــلَّ الأرضِ قاطبة فكمْ لها حول أعناق الورى مِنَنُ**
**تُعطي وتفرحُ أنَّ الناس راضيــةٌ وانهــم من دواهي فقرهم أَمِنُوا**
**تُعطي بغيــر حساب حين كُلُّهــم مستأثرون بما اكتالوا وما وَزَنوا**
**تُعطي وتحسبُ أن الناسَ معدنهم خيرٌ ، وأن بذورَ الخيــر تختزن ([2])**

ويقول في قصيدة أخرى مكرراً اسم الاستفهام " من" ومعلقاً على كل سؤال وكأنه يعطي إجابة ضمنية لكل سؤال أو يعلن حقيقة وقعت :

**ركِبَتْ إلى التَّوفيق مِعْراجَ الهُدي وسَــرتْ فلم يَعُدِ الظلامُ ظلاَمــا**
**من جَنَّبَ الأشواكَ طولَ مسيرِها وهيَ التي لم تَعْرِف الإحْجــاَمَا ؟**
**من زَلْزَل الأعداء حول طريقهــا فَتَساقَطوا- وهم العتاة- حُطاما ؟**
**من هَــزَّ طُغيان الملوكِ فسلِّموا تَاجَ الملــوك وأُرغموا إرغاما ؟ ([3])**

عني التهامي بالألفاظ فأجاد اختيارها وأحسن تطويعها لخدمة فنه وتأدية معانية ، فاتسمت بالسهولة ، فألفاظه معبرة ذات ظلال و إيحاءات ملائمة لمعانيه،ومن حيــث التركيــب نجــد الجزالة والقوة ، وحسن السبك ، ومتانة الصياغة ، والقدرة على الإيحاء ، والدقة في الدلالــة المعنوية ، فكلها سمات واضحة في التراكيب لدى التهامي ، وقد أحسن التهامي المراوحة بين الجمل الاسمية والفعلية حسب ما يستدعيه المعنى والمضمون ، من ذلك قوله :

**هذا الرقيقُ وعــزمُ الصخرِ جــوهره كالطَّودِ تكسوهُ من أزهارِه حُلَلُ**
**الهــادئُ العــذبُ في أعماقــه صخبٌ لو باحَ ترتعــدُ الدنيا وتنفعــلُ**
**يطوي العواصفَ تحت الثوبِ في دعةٍ والنــارُ بين حنايا القلب تشتعلُ**
**نلقــاهُ في سعيهِ المكــدود مبتســماً وفاتنا ما عســاهُ كان يحتــملُ**
**حتى هوي الطودُ في صمتٍ وفي عجلٍ ما كان أحوجنا أن يبطئَ العَجِلُ ([4])**

لم يتضمن أسلوب الشاعر الأسلوب الإنشائي فقط ، بل عــوّل كثيــراً علــى الأســلوب الخبري - ومعلوم أن الإخبار يفترض واقعاً موجوداً قبل زمن التكلّم، ثم يأتي الكــلام ليكــون

---

(١) ينظر : نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر ، دار العلم ، بيروت ١٩٨٣م ، ص ٢٧٧ .
(٢) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص٤٩٨ -٤٩٩ .
(٣) السابق ، ص ٣٩ .
(٤) السابق ، ص ٦٩٤.

وصفاً لهذا الواقع الموجود - وهو من الذين ازدحمت قصائدهم بأساليب الإنشاء والإخبار على نحو ما يقتضيه المعنى والفكرة المطروحة ، وقد جاءت أساليب الإنشاء غير الطلبي من تعجب وقسم وصيغ المدح والذم كثيرة ، والإنشاء الطلبي متنوعة فبين ثنايا قصائده تتاثر الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء وبأغراضها المختلفة ، فكانت قصائده زاخرة معبرة عن الفكرة بأسلوب جزل فصيح ، جعلت المضمون يشق طريقه لقلب المتلقي فيحدث هزة مؤثرة ، من ذلك قوله في مدح شوقي :

**يا بلبلَ النيلِ يا صداحَ أيكته ... يا دمعَ مصرَ إذاْ ضاقت بها السبلُ**
**يا عاشقَ النيل كم طارحته غزلاً ... حتى صَبا وجرى في مائة الغزلُ (١)**

ويقول التهامي مستخدماً التمني والأمر :

**يا ليتني طيفٌ بفكرك أخلُدُ ... يا .. ليلُ .. لا أفنى ولا أتبددُ**
**أخشى تباريحَ الفناءِ تنالني ... لا ترحم الذّكرى ولا تترددُّ**
**فإليك طيفي في ملامحِ صورتي ... يحيا إذا طال الزمانُ ويوجدُ**
**مُرِّي بأصبعكِ الرقيقة وابْسمي ... وتكلمي فلعله يتجسدُ (٢)**

كما حاول شاعرنا أن يخلع على ممدوحه خصالاً كان يشغف بها شعراء العربية في عصور خلت وبأساليب مختلفة ، ويرونها أمارة للسيادة والشرف ، كما في قوله يمدح شوقي :

**تبدو الأهلةُ بالأشعار في ألقٍ ... حتى إذا ما بدا في أُفقهم أفلوا**
**يزهون بالشعرِ في تيه فإن ذُكرت ... آياتُ شوقي لدى أشعَارهم خجلوا**
**فاهنأْ أميرَ قوافينا وسيدنا ... من بعدِ فنِّك لا شعرٌ ولا زجلُ (٣)**

كذلك لم يغفل التهامي الإيجاز ليترك مساحة من الحرية التفكيرية والتأويلية للمتلقي فهو من أنصار القديم، لا لأنه ينحو نحوه، ولكن لأن في القديم قوة وإحساناً وسمواً وإجادة، ومعاني كثيرة لم يرق إليها كثير من الشعراء ، فإذا كان النظام الشكلي للقصيدة هو المعطى الأول ، الذي يستند إليه المتلقي عند القراءة فإن اللغة الشعرية لا تتحدد إلا من خلال وظيفتها البنائية داخل القصيدة ، وهي وظيفة مزدوجة في بعدها ترمي من جهة إلى التواصل بحملها مضموناً ما، وتهدف من جهة ثانية إلى التأثير الجمالي والنفسي على المتلقي :

---

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص١٦٠.
(٢) محمد التهامي ، الأعمال الكاملة ، المجلد الثاني ، أغاني العاشقين ،ص٢٧٥ .
(٣) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ١٥٦ - ١٥٧ .

**أيها الطــارقُ قــد أسعــدتني بحديث كــان للمجــروحِ بلسمْ**
**قد بســطــتَ القولَ حتى أنني قد فهمتُ اليوم ما لا كنت أفهمْ**
**إنما حــولــي ســؤالٌ حــائر يتمادى في أذى نَفْســي ويؤلمْ**
**هل وراء الحُســنِ هذا رحمةٌ وســلامٌ يمــلأُ الدنيا ويحــكمْ ؟** (١)

إن اللغة ليست قالبا للأفكار بقدر ما هي تعبير عن رؤية مستعملها إلى العالم ، وكما يقــول قدامة : " المعاني كلها معرضة للشاعر ، وله أن يتكلم منها في ما أحب وآثر مــن غيــر أن يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه ،إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضــوعة ، والشعر فيها كالصورة ، كما يوجد في كل صناعة من أنه لابد فيها من شيء موضوع يقبــل تأثير الصور منها مثل الخشب للنجارة ، والفضة للصياغة وعلى الشاعر إذا شــرع فــي أي معنى – كان – من الرفعة والضعة ، والرفث والنزاهة ، والبذخ والقناعة ، والمدح وغير ذلك من المعاني الحميدة أو الذميمة ، أن يتوخى البلوغ من التجويد إلى الغايــة المطلوبــة " (٢) . يقول التهامي :

**وأجمل ما في الحب حلمٌ لعاشــقٍ به مغــرياتٌ ما لــهنَّ مثيــلُ**
**يطير مع الأوهــام يخلُق عالــمًا كمــا يشتهيه حلــمه المأمولُ**
**يرى فوق طوق العقل رؤيةَ حالم وفي الحلم ما لا تستطيع عقولُ** (٣)

لقد تناول الدارسون التناسب بين معنى الشعر ومبناه في إطار مصطلحات ثلاثة : هــي الإيجاز والإطناب والمساواة ، فالإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقل عبارات ، والإطناب هو أداؤه بأكثر من عبارته سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمــل أو غيــر الجمــل ، والمساواة أن يكون اللفظ بمقدار أصل المراد ، لا زائــداً عليــه بنحــو تكريــر أو تتمــيم أو اعتراض (٤) وعموماً فإن أسلوبه يتسم بالإيجاز ، حيث لا تطــول جملــه ، ولكنهــا تــؤدي المعنى المقصود في بساطة وعفوية ، وكذا بالتنويع ، فبعد أن يكون جارياً على الأسلوب غير المباشر ،نراه يتوسل فجأة بالأسلوب المباشر وهكذا دواليك ، كما نجد التنويــع فــي أســلوب الالتفات ، حيث يكون الشاعر آخذ في معنى ثم يعرض له معنى غيره فيعدل عن الأول إلــى الثاني ، فيأتي به ثم يعود ، أو أنه انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار ، وعن الإخبار

---

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٦٧٠ - ٦٧١ .
(٢) قدامة بن جعفر : نقد الشعر ، ص ٦٥ –٦٦
(٣) محمد التهامي ، الأعمال الكاملة ، المجلد الثاني ، أغاني العاشقين ، ص٢٦٧ .
(٤) ينظر :حسن عبد الجليل يوسف : موسيقى الشعر العربي ، دراسة فنية عروضية ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ١٩٨٩م ، ج/١ ص ١٩٩ .

إلى المخاطبة ([1]) ، فقد التفت من ضمير الخطاب إلى الغائب والعكس ، و التفات في محله يعبر عن الافتقاد ويوحي بالتشتت النفسي والروحي ، ومن ذلك قوله :

**أدعوكَ يا منْ قد أردت خلاصَنا وبعثتَ مُنقذنا من العثراتِ**
**علمتَهُ حتى يُعلمنا الهدى لنفوزَ بالدُّنيا وبالجناتِ**
**وجعلته مثلاً تقومُ حياتُه فينا على عبرٍ لنا وعظاتِ**
**إن حلتْ الأزمات في أيامنا نرنو إلى أيامه النضراتِ**
**نلقاهُ ينشرُ في الطريق هدايةً تدعُ الطريقُ مُنوَّرَ الجنباتِ**
**يا ذا النبي وأنتَ فجرُ حياتنا وبشيرنا للخيرِ والبركاتِ**
**يا ذا النبي وفيكَ نور إلَهنا قبسٌ من المصباح في المِشكاةِ** ([2])

لجأ الشاعر إلى التقديم والتأخير في بعض تراكيبه ؛ وذلك ليعزز لغته الشعرية ؛ ولينبض بها النص فهو وسيلة للتشويق والإثارة ، كما يعطي بعض الألفاظ بروزاً تعبيرياً ، إذ جاءت هذه الألفاظ متأخرة عن محلها الطبيعي؛ ليبرز عنصر التشويق والإثارة " ومن يتتبع أساليب البلغاء في تقديم ما حقه التأخير ، يجد أنهم يريدون بذلك التخصيص ، وهو يدل على القصر بالذوق السليم والفكر الصائب " ([3]) ، وقد جاء أسلوب التقديم والتأخير في التراكيب معززاً آخر في اللغة الشعرية لدى التهامي ، ينبض بها النص فهو وسيلة للتشويق ، كما يعطي بعض الألفاظ بروزاً تعبيرياً ، إذ جاءت هذه الألفاظ متأخرة عن محلها الطبيعي ومتوافقة ، وتبرز بعض الألفاظ بروزاً تعبيرياً هاماً في مجيئها أولاً متأخرة وحقها التقديم ، وثانياً كونها وقعت في المقدمة ، الأمر الذي يدفع عن المتلقي رتابة التركيب العادي ، ومن ذلك قوله :

**لَكَ في حياةِ العالمينَ شئونُ ما كان من أحْداثِها ويكونُ**
**وعلى الذي ترضاه في هذا الوَرَي ما اهْتَزّ منطلقٌ وقرَّ سكونُ**
**يا ربُّ ، هذا الكونُ صنعةُ قادرٍ حارَتْ لديه مدارِكٌ و ظنونُ** ([4])

---

(١)ينظر : القزويني : الإيضاح ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، ط ٣ ، ج / ٤ - ٦ ، دار الجيل ، بيروت ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م ، ص ١٥٨ .

(٢) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٥٧٧ - ٥٧٨.

(٣) السيد أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ط١ ، مكتبة الإيمان، المنصورة ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م ، ص ١٤٩ .

(٤) محمد التهامي : أنا مسلم ، ص ١٩ .

تعد اللغة بنية الخطاب الشعري ومادته الخام ، وهي في الوقت ذاتــه مخــزون تــاريخي واجتماعي يصب فيه فكر الإنسان وتطلعاته وهمومه ، ويعكس الــشعر مــن خــلال مناخــه الروحي المرتبط بالظاهرة السياسية والاجتماعية والنفسية ، وقد وفق الشاعر في أن يــستخدم معجماً شعرياً يلائم عالمه القلق أحياناً والسعيد أحياناً أخرى ، فشكلت قصائده عالمه الــشعري الخاص ، وأبرزت معجمه القائم على اصطفاء المفردات الفخمة الفصيحة والتراكيــب الدالــة الأصيلة ، وانتقائها بما يناسب الفكرة والمعني ، إذ لا تخلو قصيدة من هذه المفردات أو هــذه التراكيب ، ولغة قصائده هي لغة الشعر العربي بفحولته وأصالته ، القادرة علــى الاســتمرار والبقاء بما يتماهى مع الحدث والتجربة والعصر الذي يعيشه ،فتتــزاحم الكلمــات المتــضادة معبرة عن هول الحدث وحجم التناقض الذي نحياه :

**بغداد ، بارقةُ العواصف أرعدتْ ومن العواصفِ منذرٌ ومبشرُ**
**قدرٌ على جيل البطولةِ ما لــه متــقــدمٌ عنــه ولا مُتأخــرُ**
**هبَّت رياحُ الفتح فوق ربوعِنا فــإذا ليوث للوغى تُستنــفرُ**
**ومشى إلينا الموتُ لا مُتخيــر مــنَّا ولــكــنا الأُلى نتخيَّــرُ (١)**

يسعى التهامي من خلال تركيب هذه العناصر إلى بناء طقس شعري، وإلى إضــفاء روح الشعر على هذه العناصر من خلال تآلفها وتمازجها ، بعبارة أخرى يسعى إلى تحويل الواقــع وتفاصيله الحية لقصيدة شعرية ، فكل لفظة مرتبطة بالمعنى مباشرة فيتراءى المعنى بمجــرد رؤيتك اللفظ أو التعبير ، ومهما يكن من أمر فإن عبارة القصيدة تقتضي أثر التجربة ، فهــي تشف وترق حين يعمد إلى ما تكابده الأمة ، وحين تستولي عليه المشاعر كمــا فــي وصــفه للهموم ، وتتجهم وتخشوشن وتغدو ألفاظاً صحراوية جافة المخارج حين يلم بمــشهد يتطلــب التحدي والمواجهة واستنهاض الهمم والعزائم ، لكنه يحرص على اختيار الألفــاظ الواضــحة التي لا تحتاج البحث المعجمي، فطبيعة تــصويره الحيــاة بواقعهــا الــسياسي والاجتمــاعي والاقتصادي تحتم عليه أن يجعل شعره قريباً و مفهوما لدى الناس عامة ، مع عــدم دخــول معجمه اللغوي لفظة عامية أو سوقية مبتذلة :

**يا ربِّ نحــن المسلميــن مكانُنا بين الشعوب القمةُ الشماءُ**
**هــذي حقيقتُنــا ، وبُشِّــرْنا بها والقولُ قولك ما لديه مِراءُ**
**فالمؤمنون أعــزةٌ مهمــا طغــتْ عللُ الحياةِ وسيطرتْ أدواءُ**
**فنهايةُ البلــوى تراجــعُ شــرِّها ونهايةُ الداءِ العضال شفاءُ**

---

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص٢٧٤.

**والدينُ والعملُ الكبير على الهدى فيــه لكــلِّ النــازلات دواءُ** (١)

يُلمح في قصائد التهامي فعل الكينونة بشتى صوره، كان، كنت، كانت، كنتَ، كانا، كانوا، كنت، يكون، سيكون، كيانا، الكون، الأكوان، فما السر في سيطرة هذا الفعــل علــى الــنص الشعري لدى شاعر مخضرم ؟ وما وراء هذا الفعل الذي يعرفه حق المعرفــة ؟ هــل يريــد الشاعر من خلالها التواصل، وربط الماضي بالحاضر؟ أو الاستجداء بالماضي من خلال كان وكنا ؟ أو يبحث عن شيء يثري نصه بزخم موسيقي وبدلالات شتى ؟ أو يربط نقص ساســتنا بنقص كان، ولا يجد ما يناسبهم إلا كان الناقصة الناسخة ، التي لا يتم معناهــا بمرفوعهــا إلا مع منصوبها، ومنصوبها ليس فضلة، بل هو عمدة لأنه في الأصل خبر للمبتدأ ، يقــول فــي قصيدة بعنوان " الكويت صارت وكانت " :

**كانتْ .. وكانت يدُ النُّعمى تُدللُها فما لهــا لشــيءٍ لدى مطلوبها ثمنُ**
**كانت تواصــلُ أفراحــاً مدللــةً ما مسَّهــا في مدى أيامهــا شجــنُ**
**كانت تصالحُ دنيــا فما ظمئــتْ ولا تعــرتْ لــهــا روحٌ ولا بــدنُ**
**معشوقةٌ..وعيونُ الكل تشربها من شَطَّ عنها ومنْ في قلبها سكنوا** (٢)

ويقول في قصيدة " رحيل العملاق " :

**كانْ يكفي .. كان يكفي أن يكون كان يكفينا ويكفي العالمين**
**لمحــةٌ منــه تُغطــي عــالــماً مثلنا .. فكراً وعزماً ويقين** (٣)

ويقول في قصيدة " ذهبوا " :

**كانوا كلعــنةِ ربنا في أرضنا طــافتْ لتوقــظَ عندنا النواما**
**ذهبوا فعاودت الحياةُ دبيبها والحقُّ قد نفض الجراحَ وقاما**
**قمنا نلــمُّ جراحنا فــإذا بها بحرٌ يمــوجُ توهجــاً وضراما**
**لما رأينا في الضياءِ جراحنا زادتْ بقســوتِها لنــا إيلامــنا**
**كنا ببحر الهولِ لا نُلقي لهــا بــالاً ولا نَلقــي لــها آلامــا** (٤)

---

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٣٩٥.
(٢) السابق ، ص٤٩٧ - ٤٩٨ .
(٣) السابق ، ١٩٧.
(٤) السابق ، ٥٤٣.

إن التنوع والتكثيف في اللون والشكل الخطي للكلمة يجعلها أكثر جاذبية، وإثارة لانتباه ذهن القارئ، فإن توالي فعل الكينونة بصيغة الماضي، سواء كان زائداً أو كان بالصيغ التالية: اتصاله بتاء التأنيث "كانت" ، أو بضمير الجمع " كنا أو كانوا " ، أو انفصاله عن الضمير ، وفي كل الحالات يحمل في طياته دلالة توكيدية تبعث الألم والسخرية ، فالتلاعب بالفعل "كان" كما في الصور السابقة أضفى مسحة جمالية على النص وتدفق الكاف مصحوبا بالنون التي تحمل في ثناياها غُنَّة خاصة أعطت زخماً موسيقياً للنص ، فتكرار الفعل دليل على الاضطراب، وليس الاضطراب النفسي لدى الشاعر، وإنما اضطراب الأمة العربية في اتخاذ موقف مناسب لظرف مناسب وهو وحدتها وتحرير أراضها .

إن رصد الضمائر في قصائده وتنوعها يدلل على القوة ، فضمير المتكلم " أنا "، " نحن " ، وصوت ضمير الغائب " هو " والمخاطب " أنت " ، كل هذه الضمائر تعطي شحنات من الإباء والعزة وتسمح للمتلقي أن يشارك في التجربة باعتباره جزءاً من هذه الضمائر ، فهو العربي الكريم ، والمسلم الأبي ، والمنتصر المظفر ، والمجاهد الشهيد ، والمدافع عن الأوطان، والمؤمن الموحد ، والصابر المحتسب ، من ذلك قوله :

**هذا هو البطلُ العملاق ، آيتُه ... ألا يهادنْ إلا وهو منتصرُ**
**إن عربدوا في حِماهُ تحتَ أسلحة ... فقلبُه في سلاحٍ ليس ينكسرُ**
**أو أطلقوا نحوه ناراً مؤججة ... فصدرُه كلُّه النيرانُ تستعرُ**
**إيمانُه حيَّر الدنيا وحولها ... عما تعودَ في ميزانها البشرُ (١)**

إن ما يلاحظ في كثير من قصائد التهامي- خاصة الطويلة - اعتماده على نمط الحكاية السردية القصصية، حيث تكون هناك شخصية أساسية محورية تتبنى من خلال حوار مع آخر أو في مونولوج داخلي مجموعة من التساؤلات الكبيرة المفتوحة ، تشمل أسئلة الحياة اليومية التي تدور حول الواقع العربي وهموم الأمة ، والتي تتصل بدورة الحياة ، فتتأسس البنية العامة للنصّ على شكل مونولوج سرديّ طويل ، ففي قصيدة بعنوان " حوار " يبدأها بمقدمة نثرية ذاكراً المناسبة التي قيلت فيها بشكل سردي رائع ، فيقول : التقيته في غزة في كهف من كهوف اللاجئين ، ودار بيننا حوار :

**لا تلمه إذا أطال سؤاله ... ضاق ذرعاً بما يحسُّ ، فقاله**
**قسوةُ الحيرة المريرة دهراً ... عذبتهُ ، وأفقدته احتماله**

(١) محمد التهامي : يا إلهي ، ص ٥١ - ٥٢ .

**يسأل الناسَ حوله أين يمضي ؟ أين يلقـــى ، وكيف يَلقى مآله**
**يحملُ العمـــرَ كلـــه في يديه ليـــس يدري أيان يُلقِي رحاله**
**كُـــلمـــا هـــمَّ خلف وهم رآه ســـراباً فارتد يخشـــى ضلاله**
**واقفٌ تصرخُ الذئاب عليـــه وتقيـــم المُنونُ ســـداً حيـــاله**
**فظلام الإمساء يُشقي لياليه ونـــورُ الإصبـــاح يُقلـــق باله**
**إنما أنت جاهـــلٌ ما يُعانـــي مثلما أنتَ جاهـــل ما جَرى له (١)**

يرى عبد القادر القط " أن من طبيعة القصة الشعرية أن تخف فيها حدة التوتر المعهودة في القصيدة حتى تمتد العبارات ويستفيض السرد والوصف والتحليـــل ، دون اكتفـــاء بتعبيـــر محكم أو مجاز مبتكر أو تشبيه بديع، لذلك تقل الصور المجازية في أمثال تلك القـــصص ، إلا ما كان منها متصلا اتصالا وثيقا بطبيعة التجربة أو الموقف ، ويستعيض الشاعر عـــن ذلـــك بسلاسة العبارة وبساطة الألفاظ ، والمزاوجة قدر الطاقة بين طبيعـــة الشخـــصية ومـــستواها الفكري والوجداني ، وما قد يكون في القصة من حوار داخلي أو خارجي يفصح عـــن أفكـــار الشخصية وعواطفها . كل ذلك يعين الشاعر على أن يتمهل عند اللحظة النفسية ليحللها تحليلا فيه شيء غير قليل من التفصيل (٢) . وإذا كان الشاعر قد صوّر فكرة القصيدة ومـــضمونها بطريقة السرد القصصي، واستطاع نسبياً أن يعكس عالمه الداخلي من خلال عرض المعـــاني المعهودة ، فقد بدأ منذ البداية في تأكيد المعاني وتجسيم الواقع النفسي، وقد استعان بالتـــصوير الفني المعتمد على التمثيل ، وبذلك أفرزت القصة الشعرية لغة جديـــدة ورؤيـــة موضـــوعية مبتكرة :

**في ليلـــةٍ مـــن ليالـــي العمر تأتلـــقُ وفي "دمشق" و فيها عِطْرُها العَبِقُ**
**قالوا : إلى"المنتدى" المُيْمونِ و جْهَتُنا فاشْتَـــدِّ كـــلُّ شجـــي القلبِ يستبقُ**
**وقفـــت في صـــدْرِه تَلْقَيْنَ من وَفَدُوا وحـــولَـــك الحـــبُّ وثـــّابٌ و منطلقُ**
**والـــدارُ دارُك دارُ الكـــلِّ واســـعـــةٌ ما الضيفُ عن أهلها الأبْرار يَفْتَرِقُ (٣)**

يبحث التهامي عما يجعله على مقربة من القارئ، فيستخدم أسلوب الحوار في القـــصائد، ولمَّا كان الحوار أحد عناصر السرد الرئيسة ، والمونولوج هو العنصر الـــسردي الحاســـم، ،

---

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .
(٢) ينظر : عبد القادر القط : الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٥ م ، ص ١٣٤ .
(٣) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٣٦٦.

فإننا سنلحظ أنها اعتمد تقنية الحوار بين الشخصيات المستحضرة، ولكن هذه الحوارات لا تذهب بعيداً لتفعيل الحدث كما الحكاية، وإنما لتصدير مفارقة، أو لتعزيز المشهد بأصوات إضافية ذات نكهة خاصّة، تكسبه طرافة من جهة، وتؤكّد قدرة الشاعر على التقاط التفاصيل اللماحة من جهة أخرى ، فالحوار هو منطلق الإلهام ، يخاطب التهامي القارئ ويتواطأ معه يسأله، يستجوبه، ويبدي التعجب، فالحاجة إلى الحوار تتجلّى خصوصاً من خلال الاستفهامات التي تحتل خصوصية مهمة في تفكير التهامي ؛ لذا كانت صرخته ممثلة في تدفق أساليب الاستفهام عبر الحوار، فالاستفهام يزلزل يقينَ الأشياء ومن ذلك قوله :

**يا أيها الفانُون ذاك مآلكم هل بعد هذا بالحياة غرورُ ؟**
**هل بعد هذا الهول يسعدُ شامتٌ فيها ويحقدٌ حاسد وغيورُ ؟**
**هل بعد هذا الهول ينطق كاذب ويُباعُ في سوق الحياة ضميرُ ؟**
**هل بعد هذا تستحلُّ كبائرٌ وتزيد آثامٌ لنا وشرورُ ؟ (١)**

تعج نصوص التهامي بالاستفهام المتعدد الأغراض ، بل إننا نستطيع القول أن بنية النصّ العامة ارتكزت على الإخبار من خلال الإنشاء الاستفهامي المفضي دائماً إلى حكاية جديدة، أو كتكملة لحكاية تمّ فتح إطارها قبل قليل، وهكذا فإننا سنلتمس قبيل كلّ حكاية تساؤلاً محدد الغرض، وكلّها عبارة عن محرضات تدفع باتجاه مزيد من الحكي على طريقة السرد القصصي الحديث الذي تتفرع عنه حكايات وحكايات، ولكنها ما تلبث أن تنضمّ جميعاً إلى سياق واحد نحو النهاية المبتغاة، والأمثلة في هذا الضرب الأسلوبي كثيرة :

**فهل يا تُري يَكْسِرُ الغَاصِبونَ قَواعدَ للحقِّ لا تَنْكَسِرْ؟**
**وهل يا تُرى تَسْتقيمُ الصَّلاةُ بأقْداسِنا لعبادٍ أُخَرْ؟**
**وهل يَنحني الحقُّ في قدسه لِزُور علا نَجْمُهُ و انْتَصَرْ؟**
**وهل تركَعُ الروحُ في طُهْرِها لِبَغْيٍ علي رِجْسِهِ ما طَهُر؟**
**وهل يَرْجِعُ النُّورُ عن سَيْرِهِ ويَثْنِيهِ عن مُبْتَغاهُ القَدَرْ؟**
**وهل هذه خَاتماتُ الحياةِ تسوقُ لنا قَاسياتِ النُّذُرْ ؟ (٢)**

مال الشاعر إلى استعمال أسلوب المونولوج، أي المناجاة في شعر الشكوى والأنين ، وهو ذلك النوع من الشجن الداخلي الذي يقوم على الاستفهام بأنواعه ، والذي عكس بوضوح

---

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص٤٣٧ - ٤٣٨.

(٢) محمد التهامي : يا إلهي ، ص ٥٨.

العلاقة المتأزمة بين الشاعر ونفسه ، وما نجم عنه من انشطار نفسي تعانيه الشخصية في لحظات تأزمها وشعورها بالاستلاب ؛ فكانت المناجاة اللغة الممكنة حين تصل الأزمة ذروتها، وهو في الوقت ذاته يكشف عن النفس القلقة التي تحاول أن تفتح أمامها آفاق الرؤى في هذه الحياة من أوسع أبوابها ، فيكرر الاستفهام مستنكراً موجهاً الخطاب إلى شخص أو جماعة ، وقد يبدو أيضاً أنه مجرد إيحاء فني حيث يخاطب الشاعر نفسه مختلقاً الموقف والمخاطب، وهي طريقة مألوفة في التعبير اصطلح عليها علماء البلاغة بالتجريدي:

**كتبوا بتاريـــخ العـــروبة لعنـــةً ... يُرمي بها الجيلُ التعيسُ ويوصمُ**
**إنا نعيـــشُ حكـــاية لـــو صاغها ... التاريـــخُ عـــن أيامنـــا لا تفهمُ**
**ماذا يقول ، إذا انطوت صفحاتنا ... وتتابعـــت أجيـــالُنـــا تستفهـــمُ ؟**
**أيقول : كنـــا نستسيـــغُ حيـــاتنا ... والعيـــشُ فـــي فمنا هنالك علقمُ ؟**
**أيقول : كنـــا لا نحـــركُ ســـاكناً ... والحـــقُّ في يدنا يسامُ ويهضـــمُ؟**
**أيقول : كنـــا في الحشودِ كثيرةً ... وأمـــامَ أجـــبنِ كل خلق نهـــزمُ ؟**
**أيقول : هانتْ أرضنـــا فإذا بهـــا ... للتـــائهـــين بكـــلِ أرضٍ مَغنـــمُ ؟** (١)

يذهب منظرو السرديات إلى أن جزءاً أساسياً من نصّية النصّ، يتجلى من خلال "التناص" كممارسة تبرز لنا عبرها قدرة الكاتب على التفاعل مع نصوص غيره مـــن الكُتَّـــاب، وعلـــى إنتاجه لنصّ جديد ، ويعني ذلك أن هذه القدرة على التفاعل مع نصوص أخرى تعنـــي إنجـــاز نصّ جديد، يستقي أشياء كثيرة من التجربة الشخصية، وتنضاف إليهـــا التناصـــات المقتبـــسة عمداً، أو عفواً .

يحرص التهامي على استخدام الألفاظ والتراكيب والمعاني القرآنية ، ووضعها في مكانهـــا اللائق ، ويتأتى ذلك بحكم انتمائه والتزامه ، وكثرة تلاوته القرآن وحفظه ، ومن ذلـــك هـــذه الأبيات التي تدلل على تأثره بالقرآن الكريم وتضمينه أجزاء من آيات قرآنية ، يقول :

**نقولُ : بالحقِّ نرقى في مدارجه ... يقالُ : لن تنفذوا إلا بسلطانِ**
**قد قسموا حظهم فيها وأخطأهم ... حظ يقسِّمُكم من غير سلطانِ**
**يا ليته كان إمساكاً على كـــرمٍ ... أو ليته كان تسريحاً بإحسانِ** (٢)

---

(١) محمد التهامي ، الأعمال الكاملة ، ص ٥٠٤ - ٥٠٥.
(٢) السابق ، ص ٦٦٦.

والشاعر يُضمِّن البيت آية من قول الله سبحانه في سورة الرحمن : " يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان " (١) ، وتعبيره الأخير من قول الله سبحانه : " الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ... " (٢) .

تمثل هذه الظاهرة التي تتكئ على " الاقتباس " من النص القرآني تياراً قوياً في بناء القصيدة العربية الحديثة ؛ ولدى الشعراء الملتزمين بالتصور الإسلامي، إن امتلاك التهامي القدرة الفنية على توظيف النص القرآني والتأثر به في سياقه الصحيح ، جعلت الخطاب الشعري ملتزماً بالتصور الإسلامي ، شديد التأثر بلغة القرآن على نحو يعبر عن غيرة للدين ، والتزام بأدب ذلك الكتاب القيم ، فلم يقتصر تأثر التهامي بالنص أو بتضمينه بعض النصوص القرآنية بل تأثر بالبيان القرآني وظواهره ومعانيه ، أي بالألفاظ القرآنية والتراكيب وما تشف من معان ، يقول في قصيدة " المغرب زلزال أغادير" :

**الأرضُ،حتى الأرضُ،وهي صخورُ تشتاقُ يوماً ثورة فتثورُ**
**حتى إذا ثارتْ فنحن خرافة والعيش وهمٌ والحياة غرورُ**
**وجميعُ ما شاد العبادُ مهدم سيانَ أكواخٌ بها وقصورُ**
**فكأنما لم تَغنِ أمس منازلٌ كثرٌ، ولم تَذُق السعادة دورُ**
**والناسُ كل الناس في أنقاضها سيانَ منهم مالكٌ وأجيرُ** (٣)

وهذه الأبيات توضح تأثره بالبيان القرآني ألفاظاً وتراكيب ومعاني وصوراً فالمولى يقول في سورة الحديد : [ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ] (٤). صدق الله العظيم .

إن الشاعر الحق هو الذي يعي وهو ينثر عواطفه وصوره ولغته بأنه مازال يريد أن يبوح بأسرار النفس الجياشة المتحفزة ، لقد استخدم التهامي الألفاظ الجزلة المطبوعة بالطابع الديني ، الألفاظ المستمدة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية و قصص الأنبياء ، بالإضافة

---

(٣) الرحمن: الآية ٣٣.
(٤) سورة البقرة :الآية ٢٢٩ .
(١) محمد التهامي :الأعمال الكاملة ، ص ٤٣٦.
(٢) الحديد: الآية ٢٠.

إلى ما في قصائده من المناجاة و التوسل و التشفع بالرسول الكريم- صلى الله عليه وسلم- والتضرع إلى الله عز وجل ، فلكل قصيدة عالمها الخاص وما يميزها من حيث أن لها ألفاظاً خاصة باعتبارها تجربة خاصة لا تلتقي مع التجارب الأخرى إلا في حدود معينة ، فيقول في قصيدة بعنوان" عاشق الأندلس" حيث الألفاظ المقتبسة من القرآن الكريم :

**فهفا فؤادي واستراحَ إلى اللقا ... في جنَّةٍ أزهارها لا تذبلُ**
**ما سرتُ يغمرني النسيمُ معطراً ... والجنةُ الفيحاء لي تتجملُ**
**والحورُ والولدانُ حولي ثلةٌ ... تمضي وأخرى بالمودة تقبلُ**
**والناسُ كالملأِ الملائكِ كلُّهم ... نورٌ يطوفُ ورحمة تتنزلُ** (١)

يتوجه التهامي في قصائده بصورة عامة وفي ديوانيه " أنا مسلم " و " يا إلهي " بصورة خاصة ودواوينه بشكل عام لتوظيف النص القرآني وبعض رموز التراث العربي بقدر كبير فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من هذه الرموز والعناصر والنصوص القرآنية، فيوظف قصص التراث وقصص القرآن بشكل بارز ، كما يميل إلى التوظيف الإلماحي من خلال الإشارة إلى القصص القرآنية إما بذكر عبارة أو مفردة أو اسم صاحب القصة من الأنبياء ، أو يتم توظيف القصة القرآنية كاملة داخل النص ، ومن ذلك قوله في قصيدة " السعودية البلد الأمين " حيث وظف قصة سيدنا إبراهيم – عليه السلام - وسيدتنا هاجر وابنهما إسماعيل :

**من عهد آدم وهي مهبطُ سرِّها ... فلقدْ مشت بجبالها حواءُ**
**كم سبَّح الرملُ الكريم وكبَّرت ... تحتَ الخليلِ وهاجرَ الرمضاءُ**
**وتضوَّعت أنفاسُها لمَّا سرى ... فيها لجدِ الأنبياءِ دعاءُ**
**دعواتُ إبراهيمَ بعضُ عطائِها ... بينَ المفاوزِ جنةٌ فيحاءُ**
**قد صاح إسماعيلُ في جنباتها ... فإذا الصحاري كلُّها إصغاءُ**
**ضمَّته ضيفاً حَلَّ في أحضانها ... فيه من النيلِ الحبيب دماءُ**
**حنَّت إليه وأسكنتهُ عيونها ... فجرى على القدمِ الكريم الماءُ**
**فاضتَ بزمزمها على قصادها ... لم يبقَ في جوفِ الفلاةِ ظماءُ** (٢)

وأحيانا يتوجه إلى توظيف بعض هذه الرموز والعناصر كشكل من أشكال التناص مع الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية ، كما في قوله :

**لا شيء يرفعُ قدرهم إلا التُّقى ... فبقدرِه يتفاوتُ الفضلاءُ**

---

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٤٦٣.
(٢) السابق ، ص ٣٩١.

**وتردُّ ألــوانُ التفاضــلِ كــلُّها وتوحدَّ السوداءُ والبيضاءُ**
**بالــدينِ والعلــمِ الغــزيرِ تألقتْ قممٌ تهونُ أمامَهــا العلياءُ**
**بحضــارةٍ لــم تشهد الدنيا لها مثلاُ ولم يصعدْ لها نظراءُ (١)**

لا تفقد هذه التراكيب إيحاءاتها المشعة في وجدان القارئ المسلم، وتصدم مشاعره، ولا تلقى منه الرفض والاستهجان، فالقرآن الكريم { كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير } (٢) وقد أنزل بلسان عربي مبين {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا } (٣) .

إن استحضاره التاريخ علامة في النص الشعري له دلالته الرمزية، فهو يعكــس اهتمــام الشاعر بقيم الحضارة الإنسانية عموماً والحضارة الإسلامية خصوصاً بما حققه الأسلاف مــن أمجاد كان يمكن أن تكون دافعاً للخلف لكي يواصل الدرب بكل وفاء وإخلاص، ولعــل فــي حضوره تأكيداً على المسؤولية التاريخية للعرب والمسلمين أمام قــضيتهم العادلــة " تحريــر الأرض والمقدسات".

إن الرمز هو أحد أهم العناصر التي ساهمت في تشكيل البنية الفنيــة والجماليــة العامــة لقصائده فتتكون البنية الرمزية من رموز متنوعة ومتعددة الدلالة، وأهمها: الرمز التــاريخي، والرمز الديني ، والرمز الأسطوري، والرموز الخاصة بالأماكن والأسماء:

**مد المغول لنــا نــاباً لينهــبنا فذوب السمَّ فيهم بعض ما نهبوا**
**تبدَّدوا فانتفضنا فــي وجــوههم فراعهم أنهم في الشام قد نكبوا**
**وعاد تحت صليب الزيف ناعيهم فردهم أن على (حطين) قد صُلبوا**
**دار بن لقمان فوق النيل مصغيةٌ لروح عاهلهم في الأسر تنتحــب**
**وعاودوا وذئاب الأرض تحرسهم لما استقــرَّ علــى أوهامهم سبب**
**خضنا فلسطين أهوالاً مُطلسَمةً قد يعجز الجبــل ،لكن بعده حقب (٤)**

يجمع التهامي في أسلوبه الشروط التي يشترطها العرب في جمال اللفظ وفصاحته وانسجام الأسلوب والمعنى وكما يقول الجرجاني : " المفردة وحدها، لا قيمة لها ، أو لا قيمة لها إلا في نفسها، لكنها مع غيرها تؤسس وتجعل الحوار متصلاً ، فإن أردت الحق فلا يطلب اللفظ وإنما

---

(٣) السابق ، ٣٩٣.

(١) سورة هود: الآية ١ .

(٢)سورة الكهف: الآية ١.

(٣) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ،المجلد الثاني ، ليس آخر ، ص٤٤١ .

تطلب المعنى وإذا ظفرت بالمعنى فاللفظ معك وإزاء ناظرك ، والألفاظ المفردة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها فوائد ، وهذا علم شريف وأصل عظيم " (٤) ، فتميزت لغته بالسهولة والوضوح ، واعتمد في تراكيبه الأساليب العربية الأصيلة ، و اقتبس كثيراً من تراكيبهم و معانيهم ، فكانت لكل تجربة شعرية ما يميزها عن غيرها من التجارب سواء من حيث انعكاس صدى التجربة في نفس الشاعر أو من حيث وقعها في نفس المتلقي .

## البنية التصويرية :

يعد التصوير الأداة البارزة التي اعتمد عليها الشاعر في التعبير عن أبعاد تجربته وجوانبها الشعرية ، فبواسطة الصورة شكَّل أحاسيسه وأفكاره وخواطره في شكل فني محسوس ، وبواسطتها أيضاً صوَّر رؤيته الخاصة للوجود والعلاقات الخفية بين عناصره ، وعن طريقها تمكن من التأثير في نفس المتلقي وإثارة مشاعره وانفعالاته ، وخلق جواً من الجمال الذي يطيب للنفس البشرية أن تتأمل هذا الجمال برؤاه الحالمة المعبرة ؛ ولأن النص -عبر الصورة الفنية- له نظام داخلي متكامل، فإنّ أيّ مفردة زائدة تلفظ، وتبدو نشازاً، وأيّ تفصيل غير فني يعطّل فاعلية ذلك النظام، وأي تكرار غير موظّف أو تراكم في المفردات أو الصفات أو الرموز، يسئ إلى مناخ الصورة، ونظامها، ومن ثم إلى جمالية النص عامة ، وفي الأبيات التالية صور فنية كثيرة أثرت نص التهامي ، فظهر هذا في العبارات
" يقتات من قسوة الدنيا – سلاحُه العزم – هوى من كفه الصخر ... " :

**يقتاتُ من قسوةِ الدنيا ونقمتها وكل ما ذاقه من كفِّها مرُّ**
**يمضي .. يقاومُ .. يحيا في معاندةٍ سلاحُهُ في يديه العزم والصبرُ**
**إن فاته عنفوانُ النار في يدهِ فما فاتهُ أن هوى من كفه الصخرُ (٢)**

والصورة الشعرية تبقى ذلك الممثل المكاني للمشاعر العاطفية ، و الصدى الحقيقي لِمَا يعجّ في النفس من هموم وآلام وتشاؤم ، وذلك عبر وسائل تصويرية ، كالتشخيص والتشبيه والاستعارة والمجاز ، وهذه ذاتها التي استعان بها شاعرنا في تشكيل صوره الشعرية ، أما

---

(٤) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص ٦٤.
(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٦٣٨.

التشخيص الذي يعد وسيلة فنية ، تقوم على أساس تشخيص المعاني المجردة ومظاهر الطبيعة الجامدة في صورة كائنات حية تحس وتتحرك بالحياة ، وتوحي بالفرح والسرور والولع ، فمن أمثلته ما يتجلى في قول الشاعر :

**في روعةِ الشعر قد ذابتْ مشاعرُنا وصفِيتْ وجرتْ تهفو وتتصلُ**
**نلقى الطبيعةَ في أحضانِهـــا نغـــمٌ وفي النسائمِ من أشواقها قُبلُ**
**في عُرسهـــا وعيونُ الحقل باسمةٌ ونضرةُ الزرع والنُّوار تحتفلُ (١)**

ينتقل التهامي من صورة إلى صورة أخرى ، فتبدو كل واحدة في غاية الجمال الفني ، بل وكأنما رُسمت بريشة فنان بارع أفرغ فيها كل فنه وإبداعه ؛ فبدت لوحة معبـــرة ، لقـــد أودع الشاعر كل ما يملكه من مهارات ، وأدوات فنية كالتشبيه والتصوير والاستعارات في شعره ؛ معتمداً عليها في تشكيل الكثير من صوره ، وفي التعبير عن مشاعره وخواطره ، " فللتـــشبيه روعة وجمال ، وموقع حسن في البلاغة ، وذلك لإخراجه الخفي على الجلي ، وإدنائه البعيـــد القريب ، يزيد المعاني رفعة ووضوحاً ، ويكسبها جمالاً وفضلاً ويكسوها شرفاً ونـــبلا " (٢) ، ومن ذلك قوله :

**فأنت يا مصرَ رمزُ الخلد ثابتةٌ ونحن نمضي وتبقي عندك السيرُ**
**بناؤك الضخم تُعليه ســـواعدنا ونَنثَنـــي زُمـــراً في إثرها زمـــرُ**
**وفي ظلالك نمضي في مواكبِنا كموجـــةِ البـــحر تعلو ثمَّ تَنْحَسرُ**
**ظنُّوك يا صخرة الإيمان راكعةً فالهـــول حـــولك لا يُبقي ولا يذرُ (٣)**

اهتم التهامي اهتماماً خاصا بالتشبيه كأداة من أدوات التصوير المعبر، وشكَّله أنواعاً تختلف باختلاف الأداء، وأكثر الأدوات التشبيه انتشاراً في ديوانه هي: الكاف ؟ وكأن ؟ وأحياناً عمد الشاعر إلى التشبيه من غير ذكر أداة التشبيه كما في قوله " صفوا الجماجم أسواراً مشيدة – صيروها جدرانا – ردت البطولات طوفانا – فالحق معجزة "وذلك لتأكيد الادعاء بأن المشبه عينُ المشبه به ، وهذا ما يُسمى تشبيهاً مؤكداً ؛ لأن الشاعر عمد إلى المبالغة والإغراق في ادعاء أن المشبه هو المشبه به عينه ، ولذلك أهمل الأداة ، وأهمل ذكر وجه الشبه الذي ينم عن اشتراك الطرفين في صفة أو صفات دون غيرها ، ومن ذلك قوله :

---

(٢) السابق، ص ٦٩٥.

(١) السيد أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص٢٠٥ .

(٢) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٢٠٥ .

**الثابتــون إذا اهتــزَّت أمــامهُــمُ صــمُّ الشوامــخِ يزدادون إيمــانــا**
**صفوا الجماجــم أســواراً مشيــدةً وصيــروها أمــام الغــزو جُدرانــا**
**يا للبطولات لمَّــا اشتــدَّ ظالمــها رَّدت – بكــل عنادِ الكــف- طُوفانا**
**لا يأكــلُ الحــوتَ أشواكاً مسممةً بل يأكلُ الشوكُ– باسم الحقِّ– حيتانا**
**فالحقُّ– عند الصراع المرِّ– معجزةٌ تُحيلُ كــلَ خفايا الكــونِ أعــوانــا** (٣)

تحتل دراسة الصورة الشعرية مكانة مهمة في الدرس النقدي الحديث ،إذ لم تعد الــصورة تدرس على أنها تشبيه أو استعارة بل لكونها إعادة بناء وتجويد للغة ، إن الصورة تدرس عــن طريق ثلاث قنوات (مرسل ــ رسالة ــ متلقي) وما يتم من تفاعل حيوي بين المرســل وبــين نظام اللغة التي ينقل عبرها رسائله ، فدراسة الصورة هنا تهدف إلى إعادة الاعتبار للــصورة الشعرية بعد أن كانت تدرس منفصلة عن المعنى وعلى أنها حلية تزويقية ، فدراســة الأدوات التصويرية منفصلة منفردة لا توحي بملمح تصويري واضح ، وبذلك تكون الصورة غامــضة لا جدوى من ورائها ؛ لأنها تفقد الترابط بين الأوجه البلاغية ،ويبقى كل محور بمفرده ، لــذا فالتعامل مع الأدوات التصويرية على أساس أنها وحدة متلاحمة بغيرها من الوحدات المتشابهة والمتخالفة معها على المستوى التخييلي للنص الفني يجعلها متساندة مع بعضها البعض وبــذلك تكتسب التفاعل الحيوي الخصب.

إن شعر التهامي اعتمد الصورة الواضحة في كثير من أشكاله التعبيرية المنطلقة أساساً من علاقات بلاغية بسيطة تستند في بعض مناحيها على التجويد الفني اللغــوي والتقليــدي ، أي استخدام الاستعارة والتشبيه والكنايات بأسلوب عرفه الشعراء الأوائل ، بينما يبتعد هو شيئا ما عن غموض الصورة وتكثيفها ، وذلك بسبب كونه شاعراً واقعياً ملتزماً ، ففي الأبيات التاليــة يعبر عن واقع الأمة الصعب ، وما يواجهها من مخاطر بصور واضحة المراد قلَّــد صــور الأوائل ، حيث كانوا يجعلون الليل مسكناً للهموم ، وأمواج البحر وصخوره والحيتان والأنياب صوراً للواقع المكلوم وهو بذلك يحاكيهم ويسير على دربهم :

**تجــمعَ الليل بالمأســاةِ حولــهــمُ أنَّي التفــــتَّ فجنح الليل يزدحــمُ**
**ونحن في البحر و الأمواجُ عاليــةٌ نكاد في عاتياتِ الصخر نرتطــمُ**
**وحــولنا تــرقب الحيتــانُ جائعــةً حتى تحيــن بلاويــنا فــتلتَهــمُ**
**نحيا مع الموتِ لا نقوى على هربٍ ولا ممــاتٍ به التعــذيب يختتــمُ**
**قد ساقنا الدهرُ في أنياب مُعضِلــةٍ فكَّ الزمامَ لها واستعصتْ اللُّجــمُ**

(٣) السابق ، ص٤٧٠.

**تُوزِّعُ الخوفَ حتى أن مــنْ قُتلــوا  قد باتَ يحسُدُهم كلُّ الألى سَلِموا** (١)

يقسم "المرزوقي" الشعر إلى ثلاثة أقسام: "مثل سائر، وتشبيه نادر، واســتعارة قريبــة (٢) ، فالشعر مثل سائر، تتعزز به وحدة البيت واستقلاله ، ليكون فيه كالمثل الــسائر الــذي يمكِّــن المتحدث من الاستشهاد به في المواطن التي يكون فيها في حاجة إلى ما يصدقِّ قوله، ثم يــأتي التشبيه النادر الذي يُستَملح في مبالغته ومماثلته، وأخيراً يشترط في الاستعارة أن تكون قريبة، غير غارقة في الإبهام ، فالاستعارة كونها عملية نقل اللفظة من حيث الاستعمال من معنى إلى معنى آخر ؛ لأننا في الاستعمال الاستعاري لا نقوم بنقل لفظة من مكان إلى مكان آخــر، ولا نستعيرها لتأدية معنى جديدٍ بل إنها تعبير: " يقوم على درجة من درجات التقمص الوجــداني، تمتد فيه مشاعر الشاعر إلى كائنات الحياة من حوله، فيلتحم بها، ويتأملها كما لو كانــت هــي ذاته، ويلغي الثنائية التقليدية بين الذات والموضوع" (٣) ، ففي أشعار التهامي المثــل الــسائر والتشبيه النادر والاستعارة القريبة ، يتقمص وجدانه الكائنات الحيــة فيلــتحم بهــا ويمتــزج المعنوي بالمادي ، ومن التعبيرات التي تدلل على قولنا : " ذقنا الحقيقة – ســار فــي شــوك الحقيقة – تبقى على الأفق الأنجم – نرى بقايا حلمنا تسقى من الــنجم المــضيء " ، والتــي وردت في الأبيات التالية:

**ذُقــنا الحقيقةَ في مريرِ مذاقــِها  لكــنــه مــرٌّ وفــيــه البلــسـمُ**
**من سارَ في شوكِ الحقيقةِ يومَه  يبدو على غــدِه الطريقُ الأقــومُ**
**ولدى ظــلام الليل رغمَ ســوادِه  تبقى عــلى الأفق البعيدِ الأنجُــمُ**
**وعلى الضياءِ نرى بقايا حُــلْمنا  تُسقي من النجمِ المضيءِ وتُطعَمُ**
**وتشــدُّ عــزمَ الصابرين لعلَّــه  يَبقــى ويصمُــد للصراعِ ويعظمُ** (٤)

فالاستعارة محو للحدود بين عناصر العالم وأصنافه، وامتداد للذات في الوجــود حــساً وعاطفة ووجوداً ، و يرتدّ الاستعمال الاستعاري: "على وجه العموم إلى الشعور الكامل بالحياة نفسها، وأول مظهر جمالي للاستعارة، استعادة الحياة توازنها، واستئناف الانسجام الداخلي بين المشاركين فيها " (٥) ، إن الاستعارة في الشعر الحديث تتجه إلى المنحى، حين تتسع لتجــاوز

---

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٦٠٧ .

(٢) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، تحقيق :أحمد أمين وعبد السلام هارون، ص ٨٥ .

(١) ينظر : جابر عصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط٣ ،المركز الثقافي العربي ، بيروت ١٩٩٢ م ،ص ٢٠٤- ٢٠٥.

(٢) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٣٥٣.

(٣) ينظر : مصطفى ناصف : الصورة الأدبية، ط٢، دار الأندلس ، بيروت١٩٨٣ م ، ص ٦.

البيت والسطر الشعريين، لتجعل من القصيدة استعارة كبرى، فيبقي الشاعر في الأبيات التالية على احتمال إرادة المعنى الأول الذي يدل عليه ظاهر اللفظ ومن أجل الإبقاء على هذا الاحتمال ، ولكي يكون وارداً ، فإنه يسقط من الأساس القرينة التي تمنع من إرادة المعنى الظاهري من الصورة، ليبقي على احتمال إرادة كل من المعنيين ([1]) ، ومن ذلك قوله :

**إنما الدمعُ للقلوب الثكالى حين تلقى فواجع الأزمانِ**
**حين تبكي ملء الأحاسيس حزناً وتذيبُ الشعورَ في الأشجانِ**
**ثم تلقي الدموعَ نظماً ونثراً وتصوغُ النيران في الألحانِ** ([2])

لقد استطاع التهامي أن يقدم لنا كثيراً من المعاني في صور مجسَّمة محسوسة مضمَّخة بوهج العاطفة الصادقة الخالية من التصنع أو الافتعال والمبالغة مثل تعبيراته في الأبيات السابقة : " تذيب الشعور في الأشجان – تلقى الدموع نظماً ونثراً - تصوغ النيران في الألحان " وليس ذلك بغريب على شاعر تهيَّأ بالفطرة لقول الشعر ، فانطلق معبِّراً عن نفسه ، وعن الجمال والطبيعة ، والمثل معتمداً على الإلهام والمخيلة بقدر ما اعتمد على المثابرة والمعاناة ، فاتسمت صوره ومعانيه بالإبداع ، " والإبداع إنما يقع في معنى غريب لم يطرق، ولا يكون ذلك إلا في أمر غريب لم يأت مثله ، وحينئذ إذا كتب فيه كتاب أو نظم فيه شعر فإن الكاتب والشاعر يعثران على مظنة الإبداع " ([3]) وبرغم محاكاته الأقدمين في صورهم إلا أنه أبقى على شخصيته الشعرية الخاصة ، حيث الصور المبدعة والجديدة مثل " هذه الدنيا حصاد الأقوياء – يشرب الحقد – يقتات الدماء وغيرها في قصائد كثيرة ... " ومن ذلك قوله :

**ومن الناس صخورٌ أغلقتْ ما جرى في جوفها الظمآنِ ماءْ**
**همُّها الدنيا ، وفي أطماعِها هذه الدنيا حصادُ الأقوياءْ**
**كلُّ ما فيها صراعٌ ظالم يشربُ الحقدَ ويقتاتُ الدماءْ**
**ليس فيها مستظلٌّ آمنٌ يحتمي فيه دعاءُ الرحماءْ** ([4])

---

(٤) ينظر : مجيد عبد الحميد ناجي: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ص ٢٢٠.

(٥) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٦٩٦ .

(٣) ابن الأثير: المثل السائر ، ج/١- ص ٣٢٣.

(٤) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص٦٢١ .

تكثر الصور في شعر التهامي فإلى جانب ما تحتويه أشعاره من ألوان الاستعارة والمجاز تزخر بالكناية ، ففي الأبيات التالية نلحظ هذه العبارات " لأهل الجراح " أراد أهل فلسطين " التراب الطهور " أراد القدس وأكنافها " أهل الضلال " اليهود وأهل الكفر " زهرة أيامه " الشباب الضائع :

**تكحلُ بالنصر أجفانها وتقضي لأهل الجراح الوطرْ**
**وتلثمُ منك التراب الطهور وتجمع من شمله ما انتشرْ**
**تهيل الضلالَ وأهل الضلال وترفع فوق الجدار القمرْ**
**فكم عذبتها السنون الطوال تمرُّ.. وأثقالها لا تمرْ**
**قضى الجيلُ زهرة أيامه وأحلامها بين كرٍّ وفرْ** (١)

يعتبر بعض النقاد الصورة الشعرية القديمة صورة حسية حرفية شكلية ، وقد استتبع ذلك صفة أخرى جوهرية هي الجمود ولم يكن في الصورة أي خاصة عضوية أو حركية (٢)، والتهامي وإن تأثر بالصورة القديمة إلا أن صوره تجاوزت ذلك بأبعاد ذهنية معنوية مجردة ، إن اهتمام الشاعر بهذه الصور الحسية وتركيزه على حاسة أكثر من غيرها وعنايته ببعض جزيئاتها يبين ما تنطوي عليه تلك الصور من عمق دلالي وأبعاد نفسية واجتماعية هامة تتعلق بشخصية الشاعر وبيئته المحلية .

وبمقدار تعامل الشاعر مع اللغة يكون تميزه، وهذا التعامل يكشف عن امتلاك الشاعر لزمام اللغة وحصيلة الثروة اللغوية في معجمه الشعري،ويكشف عن انفعالاته المؤثرة في المتلقين عن طريق استخدامه للغة والألفاظ المعبرة ليجعلهم يعايشون تجربته وانفعالاته بالصورة الشعرية التي عبر فيها عن طريق اللغة، فاللغة وسيلة التصوير والتعبير لدى الشاعر "إن الصورة الشعرية قد تنقل إلينا انفعال الشاعر تجر بته الشعورية ولكنها كذلك قد تنقل إلينا الفكرة التي انفعل بها الشاعر، وليست الصورة التي يكونها خيال الشاعر إلا وسيلة من وسائله في استخدام اللغة على نحو يضمن به انتقال مشاعره إلينا على نحو مؤثر" (٣) .

---

(٤) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ،المجلد الثاني ، ليس آخر ، ص ٣٥٧ .
(١)ينظر : عز الدين إسماعيل : الأدب وفنونه ، ص١٤٣ .
(٢) السابق، ص ٨٥.

تميز شعر التهامي بالتعبير بالألفاظ ومن ثم خلق المعـــاني والظـــلال، وبالتـــالي إبـــداع الصورة الشعرية بحيث يعتمد بالدرجة الأولى على الخيال فهو واسطة الخلق وأداة للبناء أمـــا شاعرية الصورة في غياب العنصر الخفي الذي يحتاج إلـــى تفكيـــر عميـــق للوصـــول إليـــه واكتشافه ، وهو ما يحقق لذة الاكتشاف لدى القارئ ، وقد حاول شاعرنا أن ينمَّق من شـــعره ويضفي عليه لوناً من الزخرفة والتنويع وهو ما انعكس على ورود بعض المحسنات البلاغيـــة بينها ، كما تجلت في الشاهد التالي حيث يورد الكلمات المـــسجوعة " الغريـــب والقريـــب - دارنا ، خيرنا ، موقفنا " ، حيث يقول :

**نريدُ في دارنا حـــباً ومرحمـــةً وعزةً فوق قرن الشمـــس تحترمُ**
**في ظلِّها يرهبُ الطغيان ساحتنا وتلتـــوي رأسُـــه عنَّـــا وينهـــزمُ**
**فلا الغريبُ بنا تُغـــري مطامعـــه فيستـــبـــدُّ به في خَيـــرنا نهـــمُ**
**ولا القريب لنا يُغريـــه موقفـــنا فيستـــبيـــحُ غَوَالينـــا وينتـــقـــمُ (١)**

ويجدر الإشارة إلى أن المحسنات البديعية لم ترد للزخرفة أو الزينة بل ارتقـــت بالـــصورة ، ومنحتها كثيراً من الدقة والتأثير ، فترد لفظتي العاجز والمعجز متقابلتين في المعنى ، لتزيـــد الكلام إيضاحًا ، وتبرز الفكرة ، ومن ذلك قوله :

**أيها العاجز أضحى مُعجزاً وله يحني العماليقُ الجباها**
**وتحدى غُربةَ الدار فتىً لم يصادف وقفة إلا طواها (٢)**

ومن المحسنات المعنوية التي استخدمها "المقابلة " فيأتي بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم يأتي بما يقابلها كقوله " وطـــويل الباع في ميدانه أودعوه في مجـــال قـــد قصر - وقصير تافـــه قد لا يرى أطلقـــوه في رحـــاب منتشـــر " :

**كم أليفٍ ألزمـــوه إلفـــهُ وهو في القلبِ من الإلف نفرْ**
**وطـــويلِ الباع في ميدانه أودعوه في مجـــالٍ قـــد قصرْ**
**وقصيرٍ تافـــه قد لا يرى أطلقُـــوه في رحـــابٍ منتشـــرْ**
**هذه الدنيا وذا ميزانُهـــا أيُّ معنى من معـــانيهـــا يَسُرْ (٣)**

---

(٣) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٦٠٩ .
(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص١٧٩.
(٢) السابق ، ص ٦٦٣.

شعر التهامي هو شعر الموضوع فهو يستهدف موضوعاً معيناً خارجياً أو داخليا بقصد تحديده أو تجسيده ، أو حتى الإشارة إليه ، فهو شعر يعنى باستغراق موضوع معين ربما ليصفه وربما ليعبر عنه ، وربما ليخرج به من مجال الواقع إلى مجال الفن ولكنه يظل حائما حوله ويظل الموضوع وجوداً ناتئاً في واجهة القصيدة أي وجوداً قبلياً وأولياً وكلما تحدد الموضوع في العمل الشعري أمكن القبض عليه من خلال النص، فليست القصيدة عنده خواطر مبعثرة ، فهي مزيج مركب من حقائق وجدانية وعقلية لا تتباين وإنما تتآلف وتتحدد يجذبها بعضها إلى بعض ، إنها ذات عناصر مترابطة متداخلة ، وإحساسات يأخذ بعضها برقاب بعض (١) ، فالقصيدة بنية حية متلاحمة الأجزاء ، فجمال البيت في ذاته وفي موضعه ، فبين الأجزاء المختلفة صلة وتكامل ؛ لذلك فإن التهامي من أولئك الذين عنوا بوحدة الموضوع في القصيدة ، فلم يعدد أغراضها وإنما قصرها على غرض واحد فإن مدح جعلها للمدح وإن رثى جعلها قصيدة للرثاء وإن وصف جعلها محض وصف وإن كانت وطنية جعلها تدور حول الأمة ومتطلباتها وإن عروبية وحدوية جعلها كذلك ، هذا في الغالب الأعم من قصائده مما جعل الوحدة العضوية ذات الصبغة الفكرية تسيطر على وحدة القصيدة ، يقول في قصيدته " في مهرجان الوحدة " معبراً عن الفكرة الواضحة التي تجمع أواصر القصيدة:

**في ظِلّ هذى الوحدة الكبرى عَقَدْتُ أَوَاصِرِي**
**ولقيتُ أخْواناً فديتُ لقاءهم بنواظري**
**يا طالما ناديتُهمْ والدَّمْعُ ملء مَحَاجِرِي**
**يا طالما أحْسَسْتُهمْ قلبًا يُحسُّ سرائِرِي**
**حتى إذا قارَبْتُهم لأَبُلَّ حَرَّ مَشَاعري**
**وأعيش بين صفوهم وألُمَّ شَمْلَ عشائرِي**
**أهوى علي أمالنا في القرب كفّ الغادر**
**وأقام بين رُبوعِنا سَداً أمَامَ العَابِرِ**
**فتفرَّقتْ أجسادُنا كالواحدِ المتناثِرِ**
**وتلاصَقَتْ أرْواحنا كمعانِقٍ و مخَاصِرِ (٢)**

لقد طرق أبواب المعاصرة والتجديد ، فوجدنا في شعره معاني وأفكاراً جديدة وطرحاً لموضوعات ساخنة - في وقته - وتناولاً لكبريات الأحداث الدائرة من حوله ، فهو يعيش مشكلات عصره ويعي متطلبات هذه المرحلة من حياة أمته ويحاول أن يكون أصلاً في تجربته

---

(٣) ينظر : شوقي ضيف : في النقد الأدبي ، ص ١٥٣ .

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٣٤١ .

الإبداعية فهذا هو شعر التهامي في مادته وفي قيمته الأدبية ، فالفكرة وتشكيلها هما الخارطة الهندسية لمعمار قصائد التهامي، والصورة وصيرورة المعنى واللغة الشعرية وقوة المخيلة هي أجزاء المنظور الخارجي لهذا المعمار الإبداعي الذي شيدته مخيلة الشاعر التهامي ، ورغم الاستعارات والصور البيانية التي جاءت معبرة ، ينتقل بعدها وبخطابية عالية ، إلى الصور البيانية الظاهرة، و الأقرب إلى الطبع والعفوية ، و لها طابع تقليدي معروف، فمن ذلك قوله:

**بلادٌ قد تركتُ بها فؤادي يُقبلُ أرضَها و يذوبُ فيها**
**و لم تَبْرحْ مفاتِنُها عيوني كأن جفونَ عَيْني تَحْتَويها**
**مَعَالمُها تضيءُ فكلُّ عينٍ علي طُهْرِ المحبةِ تَشْتَهيها**
**مَقَدَّسَةٌ، وفودُ الحَجِّ فيها تُنَافِسُ في مَحَبَّتِها بَنِيها**
**بمكةَ و الرِّياض وكلِّ دارٍ بها طهْرٌ يفيض علي ذَويها**
**تَرى مجدَ العروبةِ في حِماها وأنوارُ النُبوَّةِ تَعْتَلَيها**
**جلالُ الدين و الدُّنيا عليها دليلٌ أن ربَّك يَصْطَفيها**
**عليها من هُدى الإسلامِ نورٌ تَتِيهُ به علي الأيِّامِ تِيها**
**ومن ألق الحضارة في حِماها مثالٌ ما رأيت له شبِيها (١)**

إن الشاعر الذي لا يجمع في شعره المبدع جماليات البلاغة من معان راقية وصور بيانية وصور بديعية محملة باللمحات الفكرية يبقى شعره متسماً بالجانب الانفعالي أو هو الغالب عليها، فيدفع إلى القول بأن المبالغة في هذا المقام كانت بقصدٍ شعوري وجداني لا تهويلي صناعي ، وهذا لا ينفي قيام هذه الصور على أساس فكري، وإن تصدى كثير من النقاد للدفاع عن قيمة الشعر فأشاروا إلى الطبيعة الحقيقية التي نستمدها من الشعر والأدب ، فأكدوا أنها حقيقة مجازية أو تلجأ للرموز والتشبيهات ، فهي لا تقرر لنا حقائق ونظريات بل تكشف لنا طبيعة المشاعر الإنسانية والمعاناة (٢) ، وقد تجد في العبارة المجازية من المتعة ما لا تجده في غيرها، أما الخبرية أو الإنشائية فهي موحية و ترتقي لمستوىً رائع من عرض الفكرة بأسلوب مؤثر وفاعل فيسمو بفكرة القصيدة وشواهد ذلك كثيرة منها:

**وتخيَّر الذكر الحكيم لسانهم فضلٌ به أعناقهم تتطوقُ**
**شبَّ الهدى عن طوقِه في دارهِم حين الطريقُ إلى الهداية ضيقُ**

---

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ،ص ٣٩٩ .

(٢) ينظر : أميرة حلمي : مقدمة في علم الجمال ،ص٦٣ .

**وتمرُّدُ الإنســـان يلغـــي عقلـــه والنور قد يُعشي العيون فتطبقُ**
**حتى إذا ملأ الضيـــاءُ نفوسَهـــم وأقالـــها ممـــا يَشُـــوب ويعلقُ (١)**

لقد نجح التهامي في بعض قصائده في بناء صورة شاملة غير قابلة للتجزئة جعلت مـــن القصيدة وكأنها لوحة فنية واحدة تستأثر بإعجاب المتأمل من القراء، وقد أكثر مـــن اســـتخدام التشبيهات التمثيلية والتشبيهات الضمنية التي أكسبت صوره الفنية أبعاداً خاصة ، وهي ليـــست خافية ، أو بعيدة المنال في تعرفها وتذوق ما فيها من روعة الصياغة ، وبديع الـــنغم وجمـــال المعنى ، ولكن تغلب عليها النزعة التقليدية ، فهي معان قالها من ســـبقوه ، وبـــذلك تتـــشابه التشبيهات والمقارنات في مدائح الشعراء ، وقد تتفاوت أحيانا في مستواها الفني ، ومن ذلـــك قوله :

**كم كريمٍ خانه الحـــظُّ لـــولا لفتةُ الخير قد يجوعُ ويعرى**
**ومن الناسِ من يقيضه اللهُ لينهي مرارة العُـــسرِ يسرا**
**ما رأيت الوفاء أزكى عبيراً مثلما فاحَ عند ذكراه عطرا**
**ذلـــَّل المجدَ للكثيـــرين منَّا فإذا المجدُ قد تطامن ظَهرا**
**كم نجـــومٍ بغيـــره كاسفاتٍ ساقـــها للسماءِ بدراً فبدرا (٢)**

لقد أكثر التهامي من الصور البيانية القائمة على التشبيه والاســـتعارة والكنايـــة ، وجـــل التشبيهات يمتح من التراث الشعري ، وقد جاءت بعض الصور الاستعارية حـــسية تقليديـــة، اعتمد بعضها على أسلوب التجسيم والتشخيص مستغلاً طاقاتها الإيحائية في تصوير حركنها . وتظهر الكناية وسيلة ثالثة يتوسل بها التهامي في التشكيل الفني والجمالي لصوره الـــشعرية ، وقد ساعدت على إعطاء الصورة نوعاً من الإيحاء الذي يسمو بها ، ويجعلها تعبر عن معاني الشاعر بطريقة موجزة تجعلها أكثر ثباتاً في الذهن ، وقد وفق التهامي في اســـتخدام بعـــض التراكيب اللغوية التي تحمل صوراً بديعة ، نذكر منها على سبيل المثال هذه التراكيب " تنبـــت الفجر – تحداك الدجى – طوى الوجدان – لمس الضياء " والتي وردت في قـــصيدة معجـــزة الإسراء والمعراج :

**أنت يا ذا النـــور ، قد حُمِّلتـــَهُ تنبـــتُ الفجـــرَ بليـــلِ الأشقيـــاءْ**
**ليس سهلاً ، إن تحداك الدجـــى وأطـــال المكـــث فيهـــم والبقـــاءْ**
**أن تُقيـــل الناسَ من ظلمـــائهم رافعاً عـــن عينهـــم ذاك الغطـــاءْ**

---

(٣) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص٦٢٦.

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٦٩٠.

**إنه الكفــران قــدْ أعمــاهــمُ وطوى الوجدانَ عن لمس الضياءْ (١)**

نهج الشاعر عموماً نهجاً تقليدياً في قصيدته من حيث البناء والصور والمعاني والأخيلة ، أما معاني شعره فقد كان أغلبها واضحاً بسيطاً لا تكلف فيه ولا بُعد ولا إسفاف ، ولــذا كــان شعره وثيقة دقيقة لمن يريد أن يطلع على حياته وبيئته وعصره ، فهو كثيراً مــا ينــزع فــي تخيلاته وتشبيهاته إلى عالمه الطبيعي ، يستقي أخيلته من العالم الحسي المترامي حوله وكأنــه نحَّات يصنع تمثالاً ، أو مصور فوتوغرافي يحاول استيفاء ما يصفه بجميع أجزائه وتفاصــيله الدقيقة ، فانظر إليه وهو يصف الفيحاء:

**أيها الهاتــفُ الرفيــعُ الدعــاء ردِّدِ اللحــنَ أنت في الفيحاءْ**
**إن تكُنْ قد دعوتَ للخــير فيها فهي للخيرِ والهدى والنماءْ**
**جنةٌ صاغها المهيمنُ في الأرض بهــا يَزْدَهي جــلالُ السماءْ**

**ولديها الجمالُ في روعةِ السحر تَجَلَّــى في هالةٍ مــن حياء (٢)**

لم تنضب الصورة الشعرية في قصائد التهامي ، وإن كان من الشعراء الذين التزموا فكرة ومضموناً مرتبطاً بالفضائل والقيم والخلق ، حيث إن وصف الفضائل والآداب غاية لا تتــصل كثيراً بالمعاناة والتجربة ، التي يلح عليها المحدثون في التفرقة بين الــشعر والــنص الخلقــي والعلمي والفلسفي [٣]، لكن صوره ظلت واضحة مباشرة في إطارها العــام ، وبعيــدة عــن التعمية والألغاز، ومن ذلك نورد الشاهد التالي :

**قد أدرك العــربيُّ أنَّــا واحــدٌ وصحيحُ واحدنا حرامٌ يُقسمُ**
**إنِّي وأنتَ على الطريق فإن وَنى منَّا رفيقٌ عــاقَ من يتقدمُ**
**إنِّي على حــُلو الحياةِ ومــرِّها مهما تقلــبت الحياةُ أخوكمُ (٤)**

عبَّر عنها الشاعر الصورة التمثيلية الكنائية التي تجاوزت المجاز المــألوف القــائم علــى التماثل والتشابه، فإذا كان الشاعر قد نسج من خلال هذه الصورة رؤية الهزيمة، فقد عمد إلــى تقديم صورة أخرى مُقابلة ، فالشعر عند التهامي يواكب النضال ويحدو ركائبه، وأما من حيث

---

(٢) السابق ، ص ٦٢٠ - ٦٢١ .

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ،ص ٣٣٢.

(٢) ينظر : مصطفى ناصف : الصورة الأدبية ، ص ٢٣٩.

(٣) محمد التهامي ، الأعمال الكاملة ،٤٦٠ .

الصور الحسية فقد جاءت الصور البصرية أكثر ورودا وتأتي بعدها الصور السمعية وتمتاز بأنها متناسبة مع موضوعاتها ومتجانسة وفق الحدث الذي يستدعيها ، وتنحصر الصور الشمية لدى التهامي في رائحة الورود وشذا الزهور ، وأتت الصور الذوقية في مواطن أقل لكنها متعاضدة مع غيرها من الصور الحسية الأخرى وهكذا يستخدم التهامي عناصر الحس المتنوعة وتوظيفها في صور ولوحاته الفنية وإبراز قيمتها الجمالية هذا إلى جانب ما تسفر عنه الصور الحسية من خلق تأثير في المتلقي :

**بلادٌ قد تركتْ فيهل فؤادي يُقبلُ أرضَها ويذوبُ فيها**
**ولم تبرحْ مفاتنها عيوني كأنَّ جفونَ عَيني تحتويها**
**معالمُها تضيءُ فكلُّ عينٍ على طُهرِ المحبةِ تشتهيها** (١)

هذا فيما يتعلق بالصور الجزئية ، ونتجاوز إلى الصور الكلية والممثلة من مجموع الصور الجزئية المتآزرة ؛ لتكشف عن قدرة الشاعر في تكوينها ضمن وحدة فنية وبنائية مترابطة يقود السابق منها إلى اللاحق ، لتقدم في النهاية ما يمكن أن يطلق عليه لوحة فنية شعرية واضحة المعالم متكاملة ، فالقصيدة عنده كما يقول العقاد : ينبغي أن تكون عملاً فنياً تاماً يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة كما يكمل التمثال بأعضائه والصورة بأجزائها واللحن الموسيقي بأنغامه ، بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها ، فالقصيدة الشعرية كالجسم الحي يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته (٢) ، ففي الأبيات التالية تتلاحق الصور من استعارة وتشبيه وكناية ومجاز ، فيتكامل البيان البلاغي في القصيدة لخدمة الفكرة والمضمون والمعنى :.

**هيْمانُ في دَرْبِ الهوى يَتَنَقَّلُ نَزلَ (الكويت) فطابَ فيها المنْزلُ**
**أَغْرى مشاعرَهُ الجمالُ فلو مَضَى عنها، يظلُّ فؤادُهُ يَتَمَهَّلُ**
**فوراءَ أَطْيافِ الجمالِ تَأَلَّقَتْ للمجد أَطْيافٌ أعزُّ و أجمَلُ**
**أعْلَي الجمالَ جلالها فكأنها حُلُمٌ علي كَفِّ السحابةِ يُحْمَلُ**
**تحلو محاسنُها لصحبِ نَظْرةٍ أُولي و مُفْتَتِنٍ بها يَتَأَمَّلُ** (٣)

فالشاعر عندما يتحدث عن تجربة شعورية ذاتية ، فهو ينساق مع خياله ، وعواطفه وأحاسيسه، ومشاعره ، وخلجاته النفسية ،وتأثيراته الخارجية أكثر مما ينساق وراء العقل

---

(٤) السابق ، ص٣٩٩ .

(١) ينظر :عباس العقاد وإبراهيم المازني :الديوان في الأدب والنقد ج/١-٢ ، ط ٣ ، دار الشعب ، ص١٣٠.

(٢) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص٤٢٦ .

الواعي ، وتتفاوت صور ومجازات الشاعر بين الصور والمجازات البسيطة اليسيرة التركيب وبين القصيدة الصورة ، ويستخدم أحيانا الصور المعتمدة على الكناية والاستعارة المكنية أو الصور المباشرة المعتمدة على أدوات التشبيه البسيطة كالكاف ومثل ، وتبدو صور الشاعر التهامي انعكاس للواقع الذي يعيشه ، ولمختلف تجاربه الإنسانية ، يقول التهامي في قصيدة " فارس بغداد " :

**وفارسٌ في حمى بغدادَ متكئٌ كالليثِ ضاقت عن الأنياب أشداقُ**
**كالنسرِ مدَّ جناحيه يُظللنا فزغردت في ظِلال الأمن آفاقُ**
**كماردٍ مدَّ للطوفانِ راحته فلم يُصبْ بقعةً في الأرضِ إغراقُ**
**كقبضةٍ بلجام الغولِ تلجمه فلا يمدُّ له زندٌ ولا ساقُ**
**يا فارساً نلت بين الناس منزلةً تقطَّعت دونها للناس أعناقُ** (١)

استعمل الشاعر التكرار لألفاظ محددة ذات دلالة ، فتكررت أداة التشبيه " كأنما " لتعطي الكثير من التشبيهات لحالة واحدة ، فهو لم يكتف بإبراز مشبه به واحد ، ليعبر عن أشكال الحدث أو صورة واحدة وإنما أراد أن يعرض مجموعة من الصور ليقرب المتلقي من الفهم والإدراك ، وهو بهذا يستنهض الأمة للقيام بأعبائها ، ويوجه همم العربي والمسلم في كل مكان وزمان إلى إعادة البناء ، من ذلك قوله :

**مُدُّوا يديْكم تلْمَسوا الأحْلامَا صدقتْ فكانت ثورةً و سلامَا**
**فكأنما جبريلُ قَادَ زِمامها وكأنها قد ألهمت إلهاما**
**فكأنما الملأ الملائكُ حَوْلَها يدعون ربَّك سجَّداً وقِياما**
**و كأنما كفُّ النبيِّ أمامنا طول الطريق تُحطَّم الأصناما** (٢)

ينبغي للشعر أن يلتفت إلى وجدان الشاعر ويخرج من خلاله بدلا من أن تكون مهمة الشاعر أشبه بكاميرا فوتوغرافية تصور الواقع وترصده دون التفات إلى وجدان مبدعه بعبارات نثرية تقريرية مباشرة ، إن الشعر ليس هو النثر مضافاً إليه الوزن والقافية (٣) .

ولعل إبداع الشاعر التهامي في هذه القصيدة يتجلى أكثر ما يتجلى في كيفية رسم وبناء الصورة الفنية، فهو يتمتع بطاقة تخييلية عالية ومخيلة مبدعة أنتجت لنا العديد من الصور الشعرية المشرقة الموحية ، التي من أهم سماتها الفنية أنها صور مبتكرة تمتاز بجدتها،

---

(٣) السابق ، ص٣٠٣.

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص٣٨ .

(٢) ينظر : محمد حماسة عبد اللطيف : الجملة في الشعر العربي ، ص٥١.

وبتماسكها الفني، تفرق بين الكلاسيكية المناسباتية، والانفتاح على النص الحديث، وبين متطلبات المشاركة الاجتماعية ومتطلبات الكتابة الشعرية المنحازة للغة والمجاز وكثافة الصورة بعيدا عن الموضوع.

إن الشاعر - كما يبدو في قصائده – مقيد بمتطلبات الواقع المعاش والبيئة المحيطة به، لكنه في ذات الوقت حاول أن يوازن بين تلك المتطلبات وبين الكتابة الشعرية الصرفة، لذلك تنوعت الدلالة بين الحقيقة والكناية والمجاز، فيتكلم بالحقيقة مرة وبالمجاز مرة أخري ، ولم يتجاوز التهامي بالمجاز حدود المبالغة والتوسع المؤطر والتوكيد ؛ فمجازاته تقترب من دائرة الحقيقة فضلاً عن أنها مجازات شائعة في معجم الشعراء العرب ، لقد عالج شعر التهامي المادة التكوينية وعناصر الصياغة فظهرت عليه الصفة العلمية ، فمال إلى الأساليب السردية في غالب قصائده ؛ لذلك اتسم شعره بالوضوح والقرب، فالتعبير المباشر والتقريري هو السمة الغالبة على شعر التهامي ، يقول في قصيدة بعنوان " دعوة الخلاص" :

**نشتدُّ في طلبِ الخلاصِ وفاتنا ... أن الطريقَ مليئةً ألغاما**
**فإذا استوتْ أقدامُنا وتهيأت ... شبَّ الحريقُ فعوَّقَ الأقداما**
**رُحنا نلمُّ حُطامها ونقيمُه ... ونسير نحملُ في الطريق حطاما**
**فيؤودنا السيرُ الكليلُ .. يُعيقُنا .. ... يستنفدُ الأيامَ والأعواما**
**ونصيحُ أين أصولُنا ؟ وأصولُنا ... تلقاهُم فينا دماً وعِظاما** (١)

لقد استطاع التهامي من خلال تلازمه مع الطبيعة العربية أن يربط بين الطبيعة والإنسان ، ذلك الرباط الروحي الذي أصبحت الطبيعة معه تعبر بشكل أو بآخر عن هموم الإنسان وهذا يعود للرؤية الفكرية والفنية ، للشاعر ففي وعي الشاعر لا تكون الطبيعة بعيدة جامدة ، وإنما هي ناطقة معبرة عنه ، هذا في الحقيقة هو التكامل الفني الصحيح بين الفنان والطبيعة ، بل وافق الشعر - الذي حلق فيه بظواهره الفنية - فيضاً حسياً وفكرياً ونفسياً جعل الطبيعة الجاثمة الصلبة وأشكالها الثابتة وكل شيء فيها المألوف وغير المألوف في بوتقته الفنية ، إذ تصبح الطبيعة غير بعيدة عن الإنسان ولا يصبح الإنسان بعيداً عنها ، فعملية تفاعل العناصر الفنية مع الفكرة والمعنى والرؤية بفنية ذكية تجعل الطبيعة تعبر عن الإنسان بحقيقته وبكل ما يواجهه، وهو الموقف التي تقوم على أساسه فلسفة الصورة ، فالصورة غير واقعية وإن كانت

(١) محمد التهامي : أنا مسلم ، ص ٩٥.

منتزعة من الواقع ؛ لان الصورة الفنية تركيبة وجدانية تنتمي في جوهرها إلى عالم الوجـــدان أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع ([1]) .

تلعب الطبيعة دوراً كبيراً في بناء القصيدة ، بمعنى أنها تكون ركناً في القصيدة وبنيتهـــا وهي الأساس الذي يقيم عليه الشاعر في بناء قصيدته ، وهذا واضح عند التهامي الذي أعطى الطبيعة لوناً خاصاً وأهميةً كبيرةً ، إذ لوَّنها بتلوينه النفسي ،وصورها تصويراً دقيقاً غيـــر ذاك التصوير الذي نلمسه عند بعض الشعراء حين يتعاملون مع الطبيعة من خلال ما تراه العـــين وشواهد ذلك كثيرة ، كقوله في حلم شاعر :

**والنسيم العذبُ في جنـــاته يلمس الوجناتِ في رفق ويلثمْ**
**كبنـــان الأم في تحنـــانها بل جرى أحنى من الأمِ وأرحمْ**
**يتهادى في انطلاق ساحر بالعبـــير العاطـــر الفوَّاح مفعمْ**
**يدفعُ الأغصانَ حتى تلتقي في عناقٍ ساحرِ النجوى منغمْ**
**كلُ غصـــنٍ يتـــلقى إلفـــَهُ كحبـــيب] صادق الأشواق مغرمْ**
**وترى الأطيارَ في تغريدها من لُـــغى الوجـــدِ حنيـــنٌ يتألمْ**
**فهي حيناً في دعاءٍ ساحرٍ وهي حيناً تحذرُ الواشي فتَكتُمْ**
**تُنصتُ الأزهارُ للنجوى وقد تدرك النجوى فتغضي ثم تَبْسمْ**
**بعضُها يحمـــرُّ حتـــى أنـــه وَجنـــةُ الخَجـــلى حياء تتضرمْ ([2])**

كان للإنسان والطبيعة وثقافة الشاعر الأثر الكبير على تشكيل الصورة الـــشعرية عنـــد التهامي فهو يستمد صوره من بيئته وحياته وتجاربها التي عاشها ، ومما يلفـــت النظـــر فـــي الصورة الشعرية عند التهامي أنه يجلي تلك الصور ويعيش معها ، ولهذا كثرت في تـــشبيهاته مرئياته من الطبيعة الجميلة.

جالت عدسة كاميرا شاعرنا - في معظم أبيات شعره - تصف ما حولها مـــن مظـــاهر الطبيعة ، الجامد منها والمتحرك ، ولا ننسى أن الشاعر استخدم الطبيعة في حمـــل أحاسيـــسه ومشاعره الجياشة ؛ لأن الطبيعة تبقى أم رؤوم تضم الشاعر في ســـويداء قلبهـــا محققـــة لـــه الفردوس الذي فقده ، ومن هنا احتل الوصف مكانة كبيرة في شـــعره ، وتكثفـــت العواطـــف المتأثرة بمشاهداتها ، الأمر الذي أدى إلى إحداث تحولات في الموقـــف الـــشعري ، فتعطـــي الطبيعة وبيئة الشاعر دفقاً خاصاً في نفسيته ونفسية المتلقي ؛ لأن لكل شـــيء مدلولـــه الـــذي

---

(٢) ينظر :عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر ، ص ١٢٧ .

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٦٦٩ - ٦٧٠ .

يحمله، فالشعور يظل مبهماً في نفس الشاعر فلا يتضح له إلا بعد أن يتشكل في صورة ، ولابد أن يكون للشعراء قدرة فائقة على التصور ، تجعلهم قادرين على استكناه مشاعرهم واستجلائها (١) .

إن طغت مجموعة معينة من الألفاظ على عمل أدبي ، وانتظمها ترابط تداخلي معين أو علاقة داخلية تشكل الجوهر الأعمق لذات الشاعر أو نفسية الشاعر ، وصلحت نوافذ نطل من خلالها على روحه ونفسه ، فالعلاقة بين الشاعر والبيئة التي يعيش فيها حميمة وإن شخصَّها في شعره وأعطاها من روحه التعبيرية ، فلا تكون دائما إيجابية وإنما تتأرجح بين السلب والإيجاب تبعاً لما يمر به الشاعر من حالة نفسية وانطباعية عن البيئة التي يحيا فيها ، وهذا هو ما يدفع الشاعر إلى أن يفتت الصورة المرئية التي يراها ، ويقف في بعض الأحيان موقف الغريب الحزين من البيئة التي رآها واعتاد عليها، على الرغم من التصاقه بها، فمن خلال قصيدة " أنا والزلزال " نحس بنكوص لدى الشاعر في مطلع القصيدة لكنه سرعان ما يلتحم بالبيئة التي هو جزء منها على الرغم مما نحسه فيها ونلمسه :

**هل هدَّ عزمك أني عشت في زمنٍ ... أطالَ عَشرةَ أيامي وحيرني**
**واغتالَ بهجةَ أشواقي وحطمها ... وللملالةِ والتشريدِ أسلمني**
**فصرتُ لا شيء في الدنيا يعللني ... ولا نداءَ حياةٍ دبَّ في بدني**
**أعيشُ في خدرٍ جفتْ ملامسه ... وأغرقَ الروحَ والأعضاءَ في العفنِ**
**أذوقُ من قسوةِ الأيام حُرقَتها ... حتى تردُّدُ أنفاسي يعذبني**
**أكادُ أصرخُ في قفراءَ عاويةٍ ... يا ليتني في حسابِ العيش لم أكنِ (٢)**

استطاع التهامي في ظل الهدم الذي تتعرض له الفنون الأدبية أن يحمل لغته المتجددة ويستلهم تراثه العربي، ويتواصل مع رؤى الشعر سواء تعلق الأمر بالصورة الشعرية أو بالتشكيل الموسيقي للقصيدة ، أو بالتوظيف القادر على استنباط صور ومفردات حديثة دون الإخلال بالموروث الشعري، ومثل رسام عاشق للون في تجلياته المختلفة يغمس محمد التهامي ريشته في إناء الألوان ؛ ليشكل لوحات تتكامل فيها كل العناصر الفنية اللغوية والتصويرية والموسيقية ، ومن ذلك هذه اللوحة الشعرية :

**أيها الهاتفُ أيقظتَ الحجرْ ... لو أمرت الصخرَ أمراً لأتمرْ**
**جئتَ بالأمرِ الذي لو مسَّه ... قلبُ هذا الصخرِ مسَّاً لانفجرْ**

---

(٢) عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر ، ص ١٣٦ .

(١) محمد التهامي : يا إلهي ، ص ١٠٦- ١٠٧ .

**إنمـــا الإنســـانُ مـــن آفـــاته  أنـــَّه فـــي هـــــذه الدنيا بشرْ**
**لو مشى الشيطـــانُ في أعماقه  ورأى النـــورَ تـــولى وكـــفرْ**
**وتمـــادى في عنـــادٍ مطـــبقٍ  يغـــلقُ السَّمـــعُ لديه والبصرْ**
**والعَمَى المجنونُ يُغـــري أهلَه  باستلابِ النورِ من وجه القمرْ (١)**

## البنية الموسيقية :

تتداخل الأشكال الشعرية المختلفة في المشهد الشعري العربي المعاصر، وتتـــداخل معهـــا الرؤية والمواقف حتى على مستوى التجربة الشعرية الواحدة، ، القصيدة العمودية ثم قـــصيدة التفعيلة، وما يسمى بقصيدة النثر، والحداثة في الشكل والحداثة الفكرية ، لكن الشكل العمـــودي المتمثل بالقافية والشطرين هو الشكل الذي بدأ به الشعر العربي، واستمر لقرون طويلة حتـــى اللحظة رغم المحاولات العديدة للخروج عنه ، والرؤية لا تحتاج إلى شكل جديد للغـــة، بـــل أفكار يعتمدها الشاعر الذي يختصر الشكل فيقدم أفكاراً جديدة بأي شكل مع المحافظـــة علـــى خصوصية الشعر الوزنية والموسيقية .

---

(٢) السابق ، ص٣٢ .

يرى النقاد أن البناء بالموسيقى يتقدم على البناء بالصورة لأنه في مقدمة البنى التي تتكون منها القصيدة عند العرب ؛ ولأن القصيدة إذا فقدت العنصر النغمي "الوزن الشعري " تخرج من دائرة الشعر إلى دائرة الفن النثري ، ولذلك عرفوا الشعر بأنه الكلام الموزون المقفى الذي يقصد به إلى الجمال الفني ، وأن البناء بالموسيقى في القصيدة العربية لا يعد تعسفاً ، ولا تحجراً بل هو الأقرب إلى خصائص الشعر العربي (١) .

لا تستطيع الحداثة في القالب الإبداعي أن تنتقل من أسلوب إلى أسلوب، ومن مدرسة إلى مدرسة بيسر، فالشعر أو الفن لا تستطيع تغييره لارتباطه بعوامل كثيرة ، وظروف ومستجدات ، فالشعر العربي العمودي المنظوم على أوزان الخليل بن أحمد يشتمل على جميع المدارس الفنية المعروفة من رومانسية ورمزية ومدرسة الفن للفن .

لقد مرَّ الشاعر في قصائده التي نظمها على هذه البحور بكل مدارس الشعر بشكل عفوي، فهو ينتقل من موقف رومانسي إلى موقف وصفي ثم يعود إلى الحياة الواقعية ، وعايش التهامي قلق مراحل الانتقال ومع ذلك ظل مخلصاً لعمود الشعر، ولم يكن يمتلك من مقومات هذا الموقف النافر المغاير في زمن الحداثة والتجريب غير بضاعة شعرية يمكن أن تصنف بالتميز داخل إطار السياق العام من حيث التكوين والتأهيل والانتماء الحميم للموروث الشعري شأن شعراء جيله من الكبار ، وهي الدالة على نموذجه الخاص ، مما أتاح له اشتعال عبقريته الشعرية بشكل مغاير وتوهج شاعريته .

ليس صحيحاً أن النظم الخليلي " يقف عقبة أمام الاندفاق الحر ، فالموهبة الفنية الحقيقية تتحرك وسط موادها الحسية كما لو في جوها الطبيعي ، فإذا تمتع الإنسان بالموهبة العظيمة وكان شاعراً حقاً فإن الأوزان والقوافي والإيقاع بمختلف أنواعه تأتي عفوية لا افتعال فيها ، ولا تصنّع، فالشعراء القدماء الكبار استطاعوا أن يعبِّروا عن فكرهم ومشاعرهم كأحسن ما يكون التعبير رغم أنهم التزموا بالبحور والقوافي ونظام التفاعيل الصارم ، وكانت موسيقى قصائدهم تسير جنباً إلى جنب مع أهوائهم وأحاسيسهم واتجاهاتهم الفكرية " (٢) ، " فموسيقى القصيدة ليست عملاً مستقلاً عن الشعور الذي تحتويه ، أو هي لا تتم في زمن مستقل لا تتمثل فيه الحالة بكل حذافيرها ، إنما جزء أساسي لمن يريد تذوق الشعر" (٣) .

---

(١) ينظر : صابر عبد الدايم : موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور ،ط٢ ، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م ، ص ١٨ .

(١) عبد الفتاح صالح نافع : عضوية الموسيقى في النص الشعري ، ط١ ، مكتبة المنار ، الزرقاء ١٩٨٥م ، ص٩٠.

(٢) عز الدين إسماعيل : الأدب وفنونه ، ص ١٣٧ .

عاش التهامي في زمن كثر فيه المتمردون على أبنية الشعر الموروثة ، والخارجون على تقاليده بدعوى التجديد ، وآثروا أن يركبوا الموجة فألّفوا ما أصبح يسمى الشعر الحر ، وشعر التفعيلة ، وتصدى لهذه الدعوة طائفة من أعلام الشعر كان من بينهم التهامي الذي بقي على العهد ، واثقاً بنفسه معتمداً على تقدير الجماهير لفنه ، وقد عبر عن رأيه في هذا النهج الملتزم في قصيدته المحكمة التي مجد فيها فارس السيف والقلم ، وباعث نهضة الشعر الشاعر البارودي ، حيث يقول في ثنايا تلك القصيدة ([1]) :

**وشقَّ بالشعر قلبَ الكونِ فانطلقتْ آهاتُــه لتــُغــنِّي روعــة الألــم**
**وأعــلنَ الشعــرَ أسراراً مخبــأةً في عين باكية أو ثغــر مبتســم**
**سرُّ الحيــاةِ ومعــناها وغايتــها غنَّى بها الشعر في تطريب مُنسجم**
**وساقهــا في دلال اللفــظ راقصةً فتــانةَ الخطــو والإيقاع والنغــم**
**فإن تخلَّــف عــن إيقــاعِــه وترٌ فــلا حيــاةَ للحنِ غيــر منتظــم**
**فإنمــا الشعــرُ موسيقى موقَّعــةٌ إلهــامه مطــلق فــي قيد مُلتزم**
**من لــم تُطِعْــهُ قوافيــه وأبحــره فمــا الخليلُ عــلى هــذا بمُتَّهم** ([2])

لقد كفل هذا الأسلوب من أساليب الصياغة لقصائد التهامي أن تنفذ إلى قلــوب المتلقــين ومشاعرهم بسهولة ويسر، وبدهي حين نتحدث عن هذا الحدث ألاَّ نطالــب الــشاعر بعكــس الواقع فقط ، أو حتى تغييره ، بل الكشف والفتح والاستشراف من خلال تمكنــه مــن أدواتــه الفنية، وامتلاكه لرؤية فلسفية عميقة، وقدرته على كتابة نص شعري إبــداعي متميــز يحفــل بالقيم الجمالية والإبداعية ، التي هي في النهاية المقياس الأهم لمدى نجاح العمل الفني وسموه " إن جزءا كبيرا من قيمة الشعر الجمالية يعزى مرجعه إلى هذه الصورة الموسيقية " ([3]) .

لم يحاول التهامي الخروج على أوزان سابقيه من الشعراء بل ظل مُتَّبِعاً لهــم ، ومتــأثراً بأوزانهم ، ولا يكاد نعثر على اتجاه يمكن أن نعده تجديداً لديه ، إن العلاقــة بــين الموســيقى والشعر علاقة عضوية فالشعر في صياغته الفنية يتكون من عــدة تفعــيلات تمثــل وحــدات موسيقية تكسب القصيدة نغما آسرا مؤثراً ، وحين تفقد القصيدة سحر هذا النغم ، ينقطع ذلــك الخيط الفني الدقيق الذي يشد المتلقي إلى سماع الشعر ، فالشعر نغم وإنشاد ([4]) .

---

(٣) ينظر : بدوي طبانة : كوكبة من شعراء العصر ، ص ١٧٦ - ١٧٧.

(٤) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(١) عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر ، ص١٢٤ .

(٢) ينظر : صابر عبد الدايم : موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور ، ص١٦ .

لقد نهج التهامي نهج أسلافه من الشعراء الأوائل ، فعند قراءة شعر التهامي تجد طريقة من سبقوه في تناولهم للمعاني والصور والأوزان تتجلى في أشعاره كشعر جرير أو المتنبي أو البحتري ... أو شوقي أو حافظ ... ، لكن التهامي يعيش عصره وخصوصيته الشعرية.
يقول البحتري في مديحه لإبراهيم بن الحسن بن سهل :

**خلقٌ أتيــتَ بفضــلِه وسَنائه طبعاً فجاءَ كأنه مصنوعُ**
**وحديثُ مجدٍ عنك أفرط حُسْنُه حتى ظَنَنَّــا أنه موضوعُ (١)**

ويقول التهامي :

**سيعــودُ والدنــيا تردَّد ذكرَه من فوق كل مجلجلٍ مسموعِ**
**طوبى له قد نالَ مجداً خالداً ومشى إلى فردوسِه المرفوعِ (٢)**

جرى التهامي في قوافيه على نمط الشعر العربي في قصيدة الشطرين القائمة على قافيــة واحدة ، فالتزم في غالب قصائده روياً واحداً ، واســتخدم أغلــب الحــروف العربيــة قافيــة لقصائده، وإن تعريف حازم القرطاجني للشعر بكونه كلاما موزوناً مخيلاً مختصاً فــي لــسان العرب بزيادة التقفية (٣) يؤكد أهمية القافية ، التي لا تقتصر على الشعر العربي فحسب وإنمــا نجدها أيضا في أشعار الشعوب الأخرى .

إن التهامي حريص على اختيار قوافيه ؛ لتكون بنية من بنى القصيدة اللغويــة ، إذ بــدت قوافيه عذبة منتقاة ملائمة لأغراضه ومعانيه متمكنة في مكانها من البيت غير قلقة ولا متكلفــة متناغمة مع موسيقى النص ومنسجمة مع الوزن . وكما هو معروف فإن موســيقى القافيــة لا تنحصر في الشكل فقط أو المقاطع الصوتية أو الحركات والحروف وإنما تدخل فــي صــميم المضمون الشعري ، فهناك قواف تجيء في موضعها وتزيد المعنى جــلاء ، وهنــاك قــواف تجيء حشواً لا قيمة لها ، وإنما يسوقها الشاعر لاستكمال هيكل البيت الإيقــاعي (٤) ، وهــذه الأبيات من شواهد التهامي ، حيث جاءت القوافي بنبرتها القوية معبرة عــن المعنــى المــراد والمضمون الشعري :

---

(٣) شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني ، ط٢ ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٧٥ م ، ص٢٨٤ .

(٤) محمد التهامي ، الأعمال الكاملة ، ص٢٨ .

(٥) ينظر : جابر عصفور: مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، ط٣ ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٣م ، ص ١٥٩.

(١) صابر عبد الدايم ، موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور ، ص١٩٢ .

**فكمْ وقفْنَا بجنحِ الليــلِ بينكــمو نجــمعُ العزم مشــدوداً لعزمكمو**
**فكلُ جرحٍ لكم قــد كان يجرحنا وقد تســيلُ دمانا مــن جراحكمو**
**وكــلُ نصيرٍ لكمْ يُعــلي كرامتنا فرأسُنا في رحابِ المجدِ رأسكمو**
**أرضُ الفراتين أقصــاها وأقربها توحــي إلى النيلِ إيماناً بقربكمو (١)**

للغة تأثير قوي على الإيقاع الموسيقي، فإذا كانت اللغة سليمة صــحيحة ســليمة الإيقــاع انسجم الإيقاع مع ما وراء الألفاظ من معاني ورؤى، أما إذا كانت اللغة مما يعتريها الــضعف فإن الإيقاع يشعرنا بالخلل الموسيقي وعدم الاتزان .

لقد سعى التهامي إلى تحقيق قدر من الموسيقى الداخلية في شعره مراعياً في ذلك الدقــة في اختيار كلماته ، فجاءت ملائمة لمعانيه، معبرة عنها ، ومتسقة بجرسها وإيقاعها مــع تلــك المضامين والأفكار ، وبذل ما يستطيع لإحداث التناسق بين الألفاظ وانسجام العبارات . فبــين الوزن والإيقاع علاقات وروابط ، فالإيقاع يعتمد على الكم الزمني والنبر معاً والإيقاع أشــمل من الوزن بما يشتمل على مكونات أخرى محدثة هذا التأثير الجمــالي " فــالوزن والإيقــاع يعرف إجمالاً بأنه حركة منتظمة ، والتئام أجزاء الحركة في مجموعات متساوية ومتشابهة في تكوينها شرط لهذا النظام " (٢) .

يتغير الإيقاع في القصيدة بتغير الحالة الشعورية فيها " فالإيقاع يختلف من قــصيدة إلــى أخرى متحكما فيه الانفعال الشعوري فيوافق حالة المبدع والمتلقي الشعورية ، فــإذا ســيطر النغم الشعري على السامع وجدنا له انفعالاً في صورة الحزن حيناً ، والبهجــة حينــاً آخــر، والحماس أحيانا ، وصحب هذا الانفعال هزات جسمانية معبرة " (٣) ، ومن يــستقرئ شــعر التهامي يجد أن التوازن بين ألفاظ وعبارات البيت الواحد مــن أكثــر البواعــث للموســيقى الداخلية، ثم المحسنات البديعية من جناس وترصيع ورد الأعجاز على الصدور ، وكذا حروف المد والتنوين ، وبعض العناصر الأدائية التي كان لها دورها في بــروز موســيقى الــنص ، كتناسق الحروف وتجانس الألفاظ ، وتكرار بعض الحروف في البيت الواحد ، والمواءمة بين اللفظ و المعنى ، من ذلك ما نراه في قوله :

**هل ظلَّ فينا من يردُّ جُموحنا ويلُمُــنا مــن كــلِ درب حــائرِ**
**ويعيدُنا للحبِّ فــي أعمــاقِنا يندَاحُ بــين تُرابــنا المــتنــاثرِ**

---

(٢) محمد التهامي : الأعمال الكامل ، ص٣٢٧.
(٣) شكري عياد: موسيقى الشعر العربي ، ط١ ، دار المعرفة ، ١٩٦٨م ، ص ٥٣ .
(٤) إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر ، ط ٥ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨١ م ، ص ١٤ .

**فيلمُّ أشلاء العــروبة حــولهُ فتعــودُ فــي ألق الحياةِ الناضرِ**
**يا ليتَ ماضينــا وكــلُ تراثِنا يحيــا ويرجــع للــزَّمانِ الغابرِ (١)**

ففي الأبيات تجد انسجاماً في كثير من الكلمات" جموحنا – ترابنا – أعماقنــا – ماضــينا " حيث أحدثت موسيقى شعرية مميزة تصلح للنشيد ، أو الإلقاء المؤثر ، أو الخطابية المجلجلة .

إن قصائد التهامي في معظمها محافظة على حركة الروي منذ بدايــة القــصيدة حتــى نهايتها ، وقلما غير التهامي في قافية قصائده ، وقصيدة " دعوة إلى الخلاص " هــي الوحيــدة في ديوان " أنا مسلم " التي تغيَّرت فيها حركة الروي في الأبيات الأخيرة من القصيدة ، كمــا نرى في قوله :

**ندعوكَ– يا ربي– ونُخلص قَلبنا ندعوكَ .. ندعو سُجداً وقياما**
**حتى تضيءَ حياتَنا ووجودنــا وتُزيح عن أعناقنا الأصنامــا**
**وتغيِّر النفسَ المريضةَ بيننــا وتردُّ عن إيمانهــا الأوهامــا**
**ولأنت يا مولاي فوقَ مسيرِنا تقضي الأمورَ وتُبرمُ الأحكاما**
**رباه .. يا رباه .. كلُ مشاعري لما ذكرتُــكَ لهفــةٌ وحنيــن**
**ألقاك من حولي وبين جوانِحي نوراً تحارُ على سناه عيــون (٢)**

أما القافية فقد التزم بها الالتزام التقليدي في الشعر القديم ، وقد سعى في بعض قــصائده إلى اختيار الإيقاع الداخلي والموسيقى الداخلية لإظهار مناخه النفسي ، هذا ما يتعلــق بهيكــل القصيدة : لفظاً وتركيباً، و وزناً و روياً ، يضاف إلى ذلك ظهور الجرس الموسيقى الــشعري في النص، فطبيعة الوزن الذي يختاره أولاً، و تناسق الألفاظ و التراكيب ثانياً، و القافية ثالثــا، كل ذلك ساعد على التموجات الموسيقية التي تشد حيناً، و تلين حيناً آخر، بين أسلوب هــادئ وأسلوب منفعل (٣) ، فإذا جاء في مطلع قصائده شكوى وأنين ، بدأ الإيقاع حزيناً مع بــدايات القصيدة ؛ فيظهر ذلك في المقاطع المتناغمة والحروف والكلمات المكررة والاستدراك والنفي؛ ليمزج بين الإيقاع النغمي والنفسي الحزين ، وإن تحول نحو التحدي والمجابهة تغيــر إيقاعــه

---

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٥٥٠.

(٢) محمد التهامي : أنا مسلم ، ص ٩٥.

(١) الشعر مستوى خاص من الكلام ، له طرقه ومضايقه في استخدام الصيغ والتصرف في رتبة الكلمات في الجمل ، بل في الإعراب أحياناً ، بما يحقق للشاعر أداء مشاعره ونقل تجربته الفنية التي تنفذ إليه موهبته بين مظاهر الحياة العادية ، كما يسيطر عليه النغم والإيقاع سيطرة تشبه الموسيقى التي تؤديها الآلات بلا كلمات ، حينئذ تصبح اللغة التي يستخدمها وسيلة لتحقيق ما يحسه من جيشان النفس وعمق الشعور وتدفق النغم .
- ينظر : محمد عيد : المستوى اللغوي للفصحى واللهجات وللنثر والشعر، ص ١١٦ .

النفسي فكان قوياً عصياً بما يختاره من كلمات وتراكيب فيها من الفخامة والضخامة ما يوحي بذلك .

ففي الأبيات التالية يتراوح الإيقاع بين الحزن وما يعتريه من شكوى وأنين مثل : " يعدد تنهيده – يدب في نبض العروبة - تحيا تلم شتاتها – " ، والقوة التي تجلت بألفاظ تتسم بالفخامة مثل : " يخترق المدى – يخوض غابات الصراع – يمضي في وهج الطريق ، ومن ذلك قوله :

**ويُعـدِّدُ المشتـاق مـن تنهيـده ... فتخـفٌّ أثقـالٌ لـه وقيـودُ**
**ويدِب فـي نبض العروبةِ روحها ... تحـيا ، تلـمُّ شتاتها فتسودُ**
**ويهزُّ إنسـان العـروبة وعـيه ... فيرى ويخترق المدى ويرودُ**
**ويخـوض غاباتِ الصراع بعالم ... جَثَمَـتْ عليه وكبلتّـهُ أسودُ**
**يمضي وفي وهج الطريق أمامهُ ... مـا اختـطَّ آبـاءٌ وجـدودُ**
**يمضي وكـلُّ العُربِ تحتَ ردائه ... كـلٌّ لـه في الآخرين وجودُ** (١)

يحدد العروضيون القافية بكونها " مكونة من الساكنين اللذين في أخر البيت مع ما بينهما من الحروف المتحركة ومع المتحرك الذي قبل الساكن الأول " (٢) ، وهي من زاوية الوظيفة الإيقاعية التي تقوم بها ، فتعتبر عنصراً من عناصر الإيقاع ، ولو أنها قد توكل لها وظائف أخرى كالإعلام على نهاية البيت ، والشاعر في محاولته الحفاظ على التقفية قد يلجأ مضطراً لاستخدام الكلمات التي تقلل من شاعرية القصيدة ، لعدم ملاءمتها للتعبير عمّا يريد الشاعر التعبير عنه؛ وهذا قليل ، ففي قصيدة " زائر من الأفغان " استخدم الشاعر مضطراً للمحافظة على القافية كلمات مثل : " الآنا – كفرانا - شيطانا - قضايانا " يقول:

**والمسلمـون إذا رأوا وراءهـمُ ... فـرضَ الجهادِ فهـذا وقتُهُ الآنـا**
**فليس من ديننـا من لا يَمُدُّ يداً ... قـد أصبحَ البخلُ هذا اليومَ كفرانا**
**طوفوا ، فبينكُم ضمتْ مسيرتُكم ... للنصرِ– من شهداء الحق – فرسانا**
**نلقـاكم مثلمـا نلقـى ملائكةً ... تسـبـحُ الـله جبـَّاراً ورحمـانا**
**فوحدوا صفَّكم ، لا تتركوا فُرجاً ... تُغـري بنقـضِ الصـفِّ شيـطانا**

---

(٢) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٦٠٤ .

(٣) محمد بن عبد العزيز الدباغ: تيسير علم العروض والقوافي ، ط١، مكتبة الفكر الرائد، فاس د- ت، ص ١٩٥.

**قيــلَ الجهادُ ، فقلنا في مؤازرةٍ أضحــت قضيتِكم أسمى قضــايانا (١)**

أعطى التشكيل الموسيقى (٢) وبناء الصورة الشعرية لنصوص التهــامي الــشعرية بُعــداً جمالياً يصب في الذائقة الجمالية ،علماً بأن التشكيل الموسيقي لا يقتــصر علــى التفعيلــة أو الحفاظ على القافية ، أو على الرؤى الواضحة ، وإنما هو في الصوت والصدى المنبعثين مــن الكلمة بداية، ومن الأوزان الموسيقية ، ثم تخترق النفس والعاطفة لينعكس على الشعور ، إنــه إحساس وتأمل باطني لما يجول في الذهن ، وبذلك يرتد الصوت الشعري الموسيقي والــصدى النفسي والعاطفي منعكسا من الباطن إلى الخارج . وهوية القــصيدة هــي نغمهــا وصــوتها، فالنتاجات الشعرية تختلف بطعومها وأصواتها، في كونها تعبر عن تجربة شعرية وفنية لا تقبل التكرار أو التلخيص، فالشعر ليس عاطفة وحسب وإنما عاطفة ووزن وموسيقى (٣) .

يتضح من خلال التدقيق في أشعار التهامي أنه يكتب القصيدة باقتــدار، وكــأن الأوزان فطرة فُطر عليها ، فقلما تجد له ضرورة شعرية أو عيب موسيقي ، فلا إقــواء ولا إكفــاء ولا إجازة ولا إيطاء إلا ما ندر ، ومن الأبيات القليلة التي لمحت فيها شيئاً مما سبق إعادته الكلمة

---

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٤٧١- ٤٧٢ .

(٢) يقول ابن خلدون قول العروضيين في حده : إنه الكلام الموزون المقفى، وصناعتهم إنما تنظر في الشعر باعتبار ما فيه من الإعراب والبلاغة والوزن والقوالب الخاصة ، فالشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف ، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي .

ينظر : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون : مقدمة بن خلدون ، ط٣ ، تحقيق على عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ١٩٧٩ م ، ج /٤ ص ١٢٩٥ .

- يستلزم بناء الشعر على صورته المعروفة بقيوده من الوزن والقافية أن يلجئ قائله أحياناً إلى ما يدفعه على الحذف في بنية اللفظة أو في تركيب الجملة ، وقد يقتضيه ذلك أن يضيف إلى هذه البنية تلافياً لقصور اللفظ الذي يناسب المعنى الذي يريد عن اتساق الوزن واكتمال البناء الشعري للبيت ، ويدفعه إلى التقديم أو التأخير أو الفصل بين المتلازمين أو العدول عن صيغة إلى أخرى ، ومن فإنه بالإمكان إقامة الضرورات على أسس ثلاث هي : الحذف والزيادة والتغيير .

- ينظر : خليل بنيان الحسون : في الضرورات الشعرية ، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ١٤٠٣ هــ -١٩٨٣ م ، ص ١٣.

-أما العيوب الموسيقية وهي مخالفات لا تختص بالقافية فحسب ، وإنما تصيب البيت الشعري في أجزائه المختلفة متمثلاً في خروج الشاعر على أنظمة لغته المطردة : الصوتية أو التركيبية أو الإعرابية أو الدلالية .

- ينظر : صادق أبو سليمان : في موسيقى الشعر - العربي العروض والقافية ، ط٢ ، الهيئة الخيرية ، جامعة الأزهر ، غزة ١٤١٥ هــ - ١٩٩٥ م ، ص ٢٢٥ .

(١) ينظر : نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ط ٢ ، مكتبة النهضة ، بغداد ١٩٦٥م ، ص ١٣٥.

" سجداتي " والمشتملة على حرف الروي بلفظهـا ومعناهـا دون أن يفـصل بـين اللفظـين المكررين سبعة أبيات :

**لـم يبـقَ لـي إلا الصـلاةُ تشـدُّني  للنـورِ في مُتـراكِمِ الظـلماتِ**
**ألقَى بها – يا ربُّ – في غسق الدُّجى  نورَ الرجاءِ يفيضُ في سَجداتي**
**فأعُـبُّ من نبـع الضـياءِ فـأرتوي  وأطـيلُ تحـت جلالِه سَجداتي** (١)

يكتب الشاعر بالشكل الشعري العربي المألوف للقـصيدة، مظهـراً أن الـشكل لا يـشكل حواسر أو أسيجة ضاغطة تكبح جماح النص، بل على عكس هذا، إنها تمده بانسيابات سـهلة ومتجددة في آن ، إذ التزم التهامي في أشعاره وحدة الوزن ووحدة القافية ، وليس هذا عيباً في شعرنا العربي أو تقييداً له ، فالتمسك بهاتين الوحدتين والتزامهما من شـأنه أن يقـوي بنـاء القصيدة ، ويرتفع بموسيقاها ، " والتزام القافية كثيراً ما يجعل الشاعر يتريث بحثاً عن القافيـة المناسبة ، وكثيراً ما يولد هذا التمهل الناشئ عن الجري وراء القافية أفكاراً ما كانت لتتـاح أو تخطر بالبال لو واتته القافية من أول الأمر بسهولة " (٢) .

يأخذ النشيد المقفى حضوره عند التهامي ، بإيقاعه وموسيقاه - والتي تناسـب خطـوات العسكر في المعركة - وبتكرار بعض العبارات اللازمة ، والتي تشعرك وأنت تقـرأه وكـأن جوقة للنشيد تهتف به ، ومن خلال عملية إبداعية تبرز أهمية العودة إلى الأدراج الأولى، ومن ثم توظيف ذلك الثراء من جديد وتجديده، وإن كان هذا يعني أيضاً ثروة الشاعر التي تتهـادى من خلال نصوصه كعروس بكر ، وبكلمات بسيطة ومعاني واضحة ومباشرة ذلك ما نراه في النشيد الموسوم بـِ " كرامة العرب " الذي يقول فيه :

**توارتْ السحب  وزالت الحُـجبْ**
**وأبدت السَّـما  كرامـة العَربْ**
**كرامة العربْ**
**لأنـنـا لـهـا  نجـدٌ في الطلبْ**
**ونُمهـرُ العـلا  بكـلِ ما يجـبْ**
**وأن بـيـنـنـا  وبينـها نسـبْ**
**فكم رأى الورَى  وكم وَعَت حقبْ**
**بأن في السـما  كـرامةَ العربْ**

---

(٢) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص٥٨١ .

(٣) عبد العزيز عتيق : علم العروض والقافية ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، د- ت ، ص ٢٢- ٢٣.

**كرامة العرب**

**وحقُّــنا لــنا تصونُهُ القُضُبْ**
**وصوتُنا هدى وحُبنــا عَــجبْ**
**ونتقنُ الرِّضا ونتقــنُ الغضبْ**
**نلــقنُ الــعدا كــرامةَ العربْ**
**كرامة العربْ** (١)

فإيحاء الكلمات و نغمها الموسيقي في القصيدة يدل على أن الشاعر يعيش موزع الــنفس بين حسرة وأسف على الماضي القريب وأسى ولوعة على الحاضر الأليم ، فلا تمر كلمــة إلا وتعبر عن شكواه ومعاناته وأمله بإعادة أمجاد الأمة وكرامتها ؛ ولعــل التهــامي فــي هــذه القصيدة قد وافق ما تعارف عليه النقاد من صفات حيث يجب أن تتوافر فيها عناصــر ثلاثــة: المحتوى العقلي، والإيحاء عن طريق المخيلة، والصوت الخالص، ويجب أن يكــون اتــصالها بالكلمات الأخرى اتصالاً إيقاعياً يؤدي إلى الغاية المطلوبة (٢) .

إن الإيقاع لا ينبع من التفعيلة أو القافية فقط ، وإنما أيضا عبر أشــكال أخــرى ، فــإذا عدنا إلى القصيدة فنجد الشاعر يستند إلى أسلوب التكرار ، وهو بالإضافة إلى كونه - ظاهرة معنوية - إذ عن طريقه يتم التأكيد على بعض الألفاظ المكررة التي قد تكــون مفتاحــاً لفهــم القصيدة في بعض الأحيان – فإن له دلالة إيقاعية أيضا ً(٣) ، ومن ذلك تكراره كلمة " أخي " في قوله :

**أخي في رُبى الشــامِ والغُــوطة فــديتك بالرُّوح والمهجةِ**
**أخي في الرخاءِ ، أخي في البلاءِ أخي في السعادة والشِّقوةِ**
**أخي مُؤنسي في ظــلام الطَّــريق وسَلوةُ روحي في وحدتي**
**أخي أنــت عَــوني على العادياتِ وأنت نصيري في شِــدتي** (٤)

---

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٤٧٨ - ٤٧٩ .

(٢) عز الدين إسماعيل : الأسس الجمالية في النقد العربي ، ص٣٥٠ .

(٣) إن التكرار ظاهرة موسيقية فعندما تتردد الكلمة أو البيت أو المقطع على شكل اللازمة الموسيقية، أو النغم الأساسي الذي يعاد يخلق جواً نغمياً ممتعاً .

- ينظر : صالح أبو إصبع : الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨ حتى ١٩٧٥ ، دراسة نقدية، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩م ، ص ٣٣٨.

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٣٣٥ .

الزمن الشعري عبارة عن نسب زمنية يلقى حسبها الكلام ، وهذه النسب الزمنية هي ما يشكِّل البنية الإيقاعية للقصيدة، لأنها عبارة عن إيقاعات متواترة تتلاحق طوال القصيدة، وقد تحدث خلخلة في المنطق الإيقاعي ولكن رغم ذلك تحترم، وهذه الخلخلة هي الزحاف والعلل وهي تجاوزات إيقاعية وتشكيلات نغمية جديدة داخل التفعيلة ذات الإيقاع المتواتر والمتكرر بنفس الصيغة .

جاءت قصائد التهامي على أوزان الشعر العربي المشهورة مع الاختلاف في نسبة استخدامه لهذه الأوزان والبحور من حيث القلة والكثرة ، لكننا نلحظ حرصه على استعمال البحور الطويل في الموضوعات ذات الأفكار والمعاني المتتابعة ، وهي الأكثر شيوعاً في شعره ، وذلك عائد إلى أن هذا البحر برحابته وكثرة مقاطعه استوعب أفكار التهامي واحتوتها، فكان يختار أوزان الخليل الرحبة التي تتسع لأفكاره ، ومن ذلك قوله في قصيدته "مرثية عربية " من بحر الطويل :

**عشقتُ لديه النورَ يسطعُ مشرقاً يحقِّــقُ أحلاماً ويُــزجي أمانيا**
**ويا طالما غنيتُ والفجرُ مقبــل ليجتاحَ منْ ليل العذاب البواقيا**
**وعينُ خيالي تستحثُّ اندفــاعه ليغسلَ وعثاءَ الطــريق أماميا**
**وأحسب أنَّا في انطلاقاتِ وحْدةٍ تعيدُ بناء المجــدِ للعُربِ عاليا** (١)

لا تكاد البحور القصيرة تخرج في شعر التهامي إلى مضامينه الجادة وقــصائده الوطنيــة والدينية بل تظل محصورة فيما يناسبها من معان وأفكار ، وبقي التهــامي ملتزمــاً بــالبحور الخليلية ، مكثراً من استعمال البحور الطويلة ؛ لأنها الأنسب لموضوعات قصائده التي تــنظم في موضوعات الأمة ، ولكنه أكثر من استعمال البحور الخفيفة ؛ لأنها الأقدر على تــصوير مشاعره ، ولأنها أيضاً الأقدر على استيعاب لغته البسيطة والسهلة ، ومن ذلك قصيدته " سرقة الأوطان " من البسيط :

**صارتْ مرابِعُــنا شوهاءَ مُفزعةً في كلِّ ركنٍ ترامتْ فــوقَه النــوبُ**
**تعيشُ من أهلهــا قفــراءَ عاويةً تعيــدُ ذكــرهُمُ الغــالي وتّنْتَــحبُ**
**وتسألُ الليلَ إن جنــَّت قــوارعهُ عن نورِها ، كيف يسلُوها وينسحبُ**
**كيف الحياة ؟ وأكبــاد لها نَزَحَت وأصبــحت عــن ثراها الحُرِّ تغتربُ** (٢)

---

(٢) السابق ، ص٤٩١ .

(١) محمد التهامي : الأعمال الكاملة ، ص ٥٣١ -٥٣٢ .

وقد جاءت قصائد شاعرنا على صورة القصيدة العربية الموروثة المحددة التفعيلات ، الملتزمة القافية الموحدة في معظمها ، والملأى بتقطيع نغمي ظاهر مع الفواصل ، يساعد على تفصيل المعنى المراد بعد إجماله ، واستخدام علامات الترقيم من فاصلة ونقطتان وشرطة ... ومن ذلك قوله :

**هـذا الجمـالُ عرفتُـه وألفتـُهُ ورأيـت أكثـره بمصـر وُذقْتُهُ**
**لو لم أزرْ هذا الحمى ، وسألتني عما حـواهُ من الجمالِ ، وصفتُهُ**
**أو جِيءَ لي يوماً ببعض ترابِهِ وأنا البـعـيدُ شَمَمَتُهُ ، فعرفتُهُ**
**لو لمْ يقولوا : أنت فيه ، لهزّنِي رغـم البعـادِ أريجـُه فلثمـتهُ**
**بغدادُ ما طولُ الطريق وفي دمي شيء – بمغناكِ الحبيبِ- وجدتُهُ** (١)

لقد عُنِيَ التهامي بالموسيقى الداخلية في شعره بقدر ما عُنِي بموسيقاه الخارجية ، معتمداً على نوع من الإيقاع الداخلي الذي يتكرر بانتظام في تفعيلات البحور، وما يضاف إليها من تقسيمات إيقاعية يولدها ورود المحسنات البديعية فيها ، واستخدام المناسب من الألفاظ التي تستدعيها المعاني، أما في موسيقاه الخارجية فقد اعتمد على وحدة الوزن والقافية ، يحاول التهامي تنغيم ألفاظه وعباراته حتى ينقل المتلقين من اللغة المعتادة التي يتحدثون بها في حياتهم اليومية إلى لغة موسيقية ترفعهم من عالمهم الحسي إلى عالمه الشعري ، ومن ذلك هذه الأبيات وفيها الألفاظ " ارتحت في أحضانه – سألت عن سودانه – بيرق عيونه – يبث غرامه وهيامه – يطيل في تحنانه – من يرضى فراق حبيبه – لا يهتز من أشجانه " :

**عانقتُـهُ وارتـحتُ في أحضـانِه وسـألتُ عنهُ وعـنْ سودانِهِ**
**فأجـابني عـنه بريـقُ عيونـه ثم انهمـارُ الدِّمـع من أجفانِهِ**
**ومضـى يبثُّ غـرامَه وهـُيامه ويطيلُ فيـما ذاقَ مـن تحنانِهِ**
**منْ يا أخـي يرضى فِراقَ حبيبِه يوماً ولا يهتزُّ مـن أشجـانِهِ**
**من عـاشَ في نـارِ البعادِ هنيهةً ضاقت بما وسِعتْ رَحيبُ جنانِهِ** (٢)

استخدم الشاعر التهامي تفعيلة وزن البحرالكامل " متفاعلن " في القصيدة - وسمي هذا البحر كاملاً لتكامل حركاته وهي ثلاثون حركة - وليس في الشعر بحر غيره انطوى على ثلاثين حركة، إلى جانب الموسيقى الداخلية، والقوافي الباطنية ، التي ليست ترصيعاً وتنويعاً زخرفياً، ولكنها وظيفة جديدة للغة ، ويواصل الشاعر لمساته وموسيقاه الداخلية، فإن الانسجام في القافية يكاد يشبه التطابق حيث يضيف رونقاً وإبداعاً، ويسمح للنفس قدراً من التذوق

---

(٢) السابق، ٢٦١- ٢٦٢.

(٣) السابق، ص٤٢١ -٤٢٢.

والتأمل ، فمشكلة الشاعر هي كيف يقبض على المعاني الكثيرة ؟ أو الأسئلة الكبيـــرة ؟ وكمـــا يرى قدامة بن جعفر : " أن المعاني تكون تامة مستوفاة لم تضطر بإقامة الوزن إلـــي نقـــصها عن الواجب ولا إلي الزيادة فيها عليه ، وأن تكون المعاني أيضاً مواجهة للغرض لـــم تمتنـــع عن ذلك وتعدل عنه من أجل إقامة الوزن والطلب لصحته " (١) .

إن ما يبرز فنية القصيدة عند التهامي هذه الموسيقى التي تنقلنا إلى عالم الفن السحري الزاخر بالقيم الجمالية وألق الشعر وومضه ، فالتهامي شاعر ترك بصمات واضحة على مسيرة القصيدة الشعرية العربية المعاصرة ، إذن لا فضل لأحد ، كل فضل يصبح دون ما يجب وكل تكريم يصبح أقل من قدره ومنزلته حين يستهدف علماً من أعلام القصيدة العربية الأصيلة بكل معالمها العريقة .

ساهم التهامي في بقائها في الساحة قوية عملاقة ، تكشف ضعف كل أولئك المقلدين الذين لا يملكون من الموهبة غير الرغبة في الظهور والتباهي ، وبقي على عهده رغم أصوات أصحاب الحداثة الذين يلهثون وراء كل ما عند الغرب دون تدقيق أو تمحيص ، ناسين أو متناسين ما لتراثهم من دور فاعل في نهضة ورقي الإنسانية ، إن روح المواجهة بين الموروث الرائع ومرتكزاته الأصيلة - والذي احتضنته قصائد التهامي- وبين الأساليب الشعرية الجديدة يفرض التحدي والثبات في الميدان بقوة وثقة ، وبرغم كل الأصوات التي تدعو للتحرر من كل قيد – حسب تسميتهم – يبقى التهامي مطلوباً ومرغوباً ومؤثراً وفاعلاً .

## الخاتمة

يعتبر محمد التهامي واحداً من أهمّ الشعراء الذين اســـتطاعوا بجـــدارة إثبـــات هـــويتهم الشعرية، إنه شاعر الالتزام الذي قدم في دواوينه شعراً له عمق الفكر وبـــساطة التوصـــيل ، متناولاً عدداً من الموضوعات وعلى رأسها موضوع الوطن الذي أولاه اهتمامـــاً ملحوظـــاً ،

---

(١) قدامة بن جعفر : نقد الشعر ، ص ١٦٦.

وبذلك غطى هذا الشعر مساحة واسعة من دواوينه، فكان شاهد عيان على عصره ، لقد عاصر الأحداث العظيمة التي صاحبت مسيرة حياته ، ولمس عن قرب التحولات السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والعلمية التي شهدتها مصر والعالم العربي، وأحس بألم الأمة ، وعايش قضايا العروبة ، وأدمت أعماقه وخزات الاستعمار المغروسة في جسد أخيه العربي فقدم لوحات شعرية للإنسان العربي وتجاربه الثورية النضالية أينما وجد وكيفما ناضل ، واعتبر بذلك مقاتلاً من أجل كرامة الإنسان وحريته، فجاءت أشعاره صوتاً مدوياً قوّى أواصر الأخوة بين أبناء العروبة .

ظلت قضايا العالم العربي والإسلامي وهمومه القاعدة المتينة التي تربط حيويته الشعرية بتجربته ، فآمن بأهمية وحدة العرب، وأنه لا سبيل للنهوض بالأمة والتخلص مما يواجهها ويحدق بها من أخطار إلا التكتل والاتحاد ورص الصف ، فسخر الكثير من قصائده ونتاجه الشعري للمقاومة ؛ ليشارك المناضلين والمقاتلين دفاعهم عن كرامة الأمة وعروبتها ، مدركاً أبعاد المعركة الدائرة بين الأمة وأعدائها .

الالتزام هو اختيار الشاعر الإرادي لموقف محدد من الحياة ، وانضمامه إلى جانب المدافعين عنه من خلال التعبير الفني الملتزم التزاماً نابعاً من الذات وإحساسها بالمشاركة الجماعية دون فرض أو إملاء أو إلزام ، متوجهاً لقلب المجتمع وعقله ، فالتوهم بقطيعة الفعل الأدبي عن جوهر المفهوم الإنساني للالتزام وهمٌ واستحالة ، والشاعر الملتزم إلى جانب قضيته الأساسية لابد أن تكون له صلة قوية مع جمهوره الكبير الواسع مما يفرض عليه العناية الشديدة بما يقول ، فلا يمكن مخاطبة الآلاف من البشر عن طريق الصور الغامضة والأفكار المعقدة والخيال الجامح .

إن شعر التهامي دخل ساحة الواقع الموضوعي بوعي وصدق ، فعبر عن آمال الجماهير وتطلعاتها ؛ وعالج القضايا الآنية والعصرية ، وتمكن من الانطلاق بخطى سريعة في المشاهد الشعرية العربية المعاصرة ، وإثبات ذاته و ثباته على الأسلوب ، إن التهامي داعية رسالته صدق الانتماء ورؤياه الوطن الكبير الموحد ، فهو الصوت الصارخ للجماعة وهو الضمير المستيقظ .

اهتم الشاعر في مضامين قصائده بالعقيدة الإسلامية اهتمامًا كبيراً هيمن على جل إنتاجه في السنوات الأخيرة ، وشكل هذا الاهتمام اتجاهاً واضحاً في مسيرته ، فقد دأب على توظيف شعره في خدمة الدين ونشر الثقافة الإسلامية المتمثلة بمبادئ الرسالة المحمدية ، فسما بشعره عالياً ، متحرراً من قبضة الجسد وهوى النفس بفضل ما منحه الله تعالى من رحيق الإيمان وفيض الروح المشرقة بنور اليقين والعقيدة .

ويظل التوجه الإسلامي ملازماً التهامي في أشعاره ، فهو يستلهم التراث الإسلامي ، ويشيد بصفات التُّقى والصلاح ، ويعظم الصالحين ، ويهتف برابطة الإسلام وارتباطها الوثيق بالعروبة ، وهو في هتافه يجعل القرآن الكريم والدين الإسلامي أساساً لوحدة الأمة مؤكداً أن العرب لم ينهضوا في عصورهم الزاهرة إلا بعزة الإسلام وتعاليم القرآن الكريم . إن التزام التهامي الإبداعي تجلى في حرصه على تثوير وعي المتلقي ، وتوجيهه للعمل لتحقيق الحلم بالغد الذي ترتفع فيه راية الأمة عالية ، ويكون لها الدور الحضاري الريادي بين الأمم .

لم يجد التهامي وسيلة أرقى من الشعر الذي هو أسمى وسائل التعبير وأصدقها ، فكانت اللغة الخاصة التي يكتب بها والأوعية والقوالب التي تندرج في إطار الوسائل وترتقي إلى مقام الغايات بإبداع واقتدار ، وكان الحرص على سلامة الوعاء من العيوب و الشوائب واضحاً ملموساً ، وصدق الخطاب الشعري هدفاً يسعى نحوه ، ويحافظ عليه ويحاول تقديمه بالشكل اللائق للمتلقي .

## أهم نتائج البحث :

- يُعد التهامي كغيره من الشعراء الذين تعاصر معهم ، أو نهج نهجهم الشعري امتداداً للشعراء الإحيائيين ومن جاء بعدهم من الشعراء الذين تمثلوا التراث الشعري تمثلاً فنياً مخلصاً صياغة وأسلوباً وصورة ، فهو ينتمي إلى المرحلة الشعرية التي جاءت في أعقاب النهضة الحديثة وقبل حركة الشعر الجديد التي يمثلها رواد الشعر، وهو يمثل مرحلة ما بعد شوقي أوضح تمثيل ، لقد عاصر الكثير من العمالقة وتأثر بهم .

- يطغى التعبير المباشر على شعره - وهو اللون السائد- والنزعة الخطابية ، والانفعال العاطفي ، وسيادة اللهجة التعليمية الوعظية ، فالتهامي يعبر باللفظ التقريري المشحون بالإحساس الصادق .

- قلَّت الجوانب المشرقة من الحياة في أشعاره ، بل ركز في أغلبها على الجانب المحزن ممتزجاً بالأمل والبشرى .

-لم يكن التهامي قومياً في الإطار الفكري الرافض للقيم والشرائع الدينية أو من أولئك العروبيين الذين يجردون العروبة من الإسلام على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم ، أو من الإسلاميين الذين يسيئون الظن بالعروبة بدعوى أنها تفتت الوحدة الإسلامية وتشق عصا المسلمين المجتمعين على الإسلام ، بل هو عربي مسلم بكل ما تحمل هذه الكلمات من معنى .

- لقد عكس التهامي على صفحة شعره صورة ما طبع عليه من السماحة التي نراها في أسلوبه الصافي وفي ألفاظه العذبة ، التي لا نرى فيها شيئاً من غريب اللغة ، أو من التعقيد في المعاني ، وليس ذلك إلا لتمكنه من اللغة التي أمدته بهذا الحشد من المفردات .

- لقد عالج في أشعاره كثيراً من المشاكل الاجتماعية التي ينشدها كل مصلح تسرب حب وطنه له فشعر بضرورة الإصلاح ، إن المؤثرات التي صقلت شخصية الشاعر وكشفت تجربته تدفعه لكي يبقى الصوت المعبر عن قضايا الأمة ، فلا ينفصل عن المحيط البيئي الذي عاشه ، فتجمع بذلك كلمة الانتماء معالم شخصيته الشعرية بجوانبها المتعددة ، بأوسع ما تدل عليه من معان .

- إن الشعر الذاتي وقصائد الحب والغزل وما تحويه من عواطف ووجدان نادر أو يكاد لا يكون ، فالتهامي انصرف إلى الشعر الملتزم ، يقرضه وهو يعلم بوظيفته في الحياة مما جعل قصائده محملة بمضامين فكرية تستند إلى فهم واضح لوظيفة الأدب الاجتماعية ، وقد يُبَرَّر ذلك بأن الشاعر التهامي شغلته هموم الأمة وواقعها السياسي وظروف تفرقها وأطماع المستعمرين في خيراتها ، فالحب بالنسبة للتهامي إما أن يكون حباً للوطن ، أو للعروبة وأبنائها ، أو لحاضرة من حواضرها ، أو حباً إيمانياً خالصاً .

- أعماله تمتزج بالحياة وتقترب بقاموسها الشعري – مفردات وصياغة- من لغة الناس وحرارة حوارهم اليومي، وقد كفل هذا الأسلوب من أساليب الصياغة لقصائد التهامي أن تنفذ إلى قلوب المتلقين ومشاعرهم بسهولة ويسر، فللشعر عند التهامي رسالة سامية حيث الجمال والوظيفة لا يتنافران .

- تشكلت التجربة الشعرية من خلال ثقافته الشعرية التراثية العميقة ، ومكانته الاجتماعية البارزة وعمله في إطار الجامعة العربية وكرجل من رجال القانون ، وانخراطه في الهموم الوطنية والقومية والاجتماعية والإنسانية وثقافته الدينية ، وتأثره الواضح بالقرآن الكريم والحديث الشريف والأقوال المأثورة والتراث ، واستئناسه بالتاريخ وعشقه للغة العربية .

- اتسم شعر التهامي بحرصه على احترام اللغة وقواعدها مما جعله في طليعة شعراء العربية المعاصرين ، الذين يحرصون على قدسية لغتهم والتمسك بمقوماتها ، محافظاً على شخصيتها التي تميّزها عن غيرها من اللغات .

- إن الكثير من شعره يستند إلى دفء داخلي واعتماد على المكنون الفكري والحسي والتراث العربي بما فيه من مرويات وأحداث و حكمة، و نصوص دينية، لقد كان الالتفات إلى التراث خطوة وباعثاً لإثراء التجربة الشعرية ، ولإيجاد الصلة بين القصيدة المعاصرة وما يضمره الماضي من عراقة وحضارة ، حيث استمد الشاعر كل أفكاره و معانيه في الأغلب من ثقافاته العربية والإسلامية ، ولم يتأثر بمذاهب الغرب و مدارسهم ، فتضمين التراث

الأدبي في أشعاره يدلل على تأثره بأشعار الكثير من شـــعراء العربيـــة فـــي عـــصور الأدب المختلفة.

- إن دواوين التهامي الشعرية غنية بالكثير من الصور الشعرية المعبرة عن قدرة في توظيف الرمز في السياق ، ليعطي بعداً جديداً ودلالة تناسب الفكرة والشعور ، وتعبر عن الموقف فـــي ضوء مضمون القصيدة أو فكرتها أو لغتها الشعرية ، لقد أكثر التهامي من الـــصور البيانيـــة القائمة على التشبيه والاستعارة والكناية ، فامتازت أشعاره بتدفق الـــشعور وصـــفاء الخيـــال والذهن والفطرة النقية ، وكان له طابع شخصي يلمسه القارئ ؛ لأنه نهج نهجـــاً تقليـــدياً فـــي قصيدته من حيث البناء والصور والمعاني والأخيلة ، وكان أغلبها واضحاً بسيطاً ، لا تكلـــف فيه ولا إسفاف يفصح عن شعور صادق ، وأحاسيس جياشة تبثهـــا نفـــسه ، فينطلـــق مفعـــم بالحركة والنشاط والحيوية .

- يتسم إنتاج التهامي الشعري بالغزارة و التواصل، على مدى أكثر من خمـــسة عقـــود دون توقف وحتى اليوم، وبالواقعية النابعة من كل ما يشكل وجدان الأمة وفكرها وقيمها وما تكابده وما تواجهه ..

- لم يترك التهامي وزناً من أوزان الخليل إلا وله فيه قصيدة أو أكثر ، فالشاعر مـــتمكن مـــن الأوزان الخليلية العروضية ، فهي على لسانه وكأنها فطرة وسليقة ، فالتهامي الـــذي صـــاحب العظام وسار على دربهم في مسيرته الشعرية إلى الآن لابد وأن يكون على هداهم وطريقهم ، فقصائده مبدعة على كل الأوزان تامة أو وافية أو مجزوءة ، فلم يتجاوزها لا بتغير ولا تبديل بدعوى التجديد والحداثة رغم أنه يعيش هذه الأزمنة – وقد يتبادر إلى الذهن أن ذلك جمود – بل هذا اقتدار وتمكن ، لقد اتسعت هذه الأوزان لكل معانيه ومضامينه وأفكاره ورؤاه ، فكانت قصائده لوحات فنية أو مقطوعات موسيقية ، ذات أثر في النفس واضح ، تجد من القـــارئ أو المستمع الرضى والاستجابة.

## المصادر والمراجع


- إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر ، ط ٥ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨١ م .
- إبراهيم عبد الرحمن محمد : قضايا الشعر في النقد العربي ، ط ٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨١م .
- ابن الأثير: المثل السائر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط٢ ،المكتبة العصرية، بيروت ١٩٩٥م .
- ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ط٤ ،دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٤م .
- ابن طباطبا : عيار الشعر ، تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع ،مكتبة الخانجي بالقاهرة .
- ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت.
- أدونيس : زمن الشعر ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٩٦م .
- إرنست فيشر : ضرورة الفن ، ترجمة ميشال سليمان ، دار الحقيقة ، بيروت .
- إحسان عباس : اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، ط٢، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ، والمركز العربي لتوزيع المطبوعات ، بيروت ، ١٩٩٢ م .
- إحسان عباس : فن الشعر ، دار صادر ، بيروت ، دار الشروق ، عمان .
- أحمد بن حنبل الشيباني : مسند أحمد ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة .
- أحمد أبو حاقة : الالتزام في الشعر العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ،١٩٧٩م .
- أحمد الشايب : الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، ط ١، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٨م .
- أحمد شوقي : الشوقيات ، ج٢ ، مكتبة مصر ١٩٩٣ م .
- أفلاطون : الجمهورية ، تحقيق حنا خباز ، ط١، دار القلم، بيروت، ١٩٦٩م .
- أنور الجندي : الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ، دار المعارف الثقافية، السعودية ،دار النصر للطباعة الإسلامية ، القاهرة ،١٩٩٥ م .
- أنور الجندي : من أعلام الفكر والأدب ،الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٤م.
- بدوي أحمد طبانة : كوكبة من شعراء العصر ، ط١ ،الشركة المصرية العالمية للنشر، ١٩٩٥ .
- تقي الدين الحموي : خزانة الأدب ، ط١ ، تحقيق عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٧ م

- توفيق محمد شاهين : عوامل تنمية اللغة العربية ، ط٢ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .
- جابر عصفور : استعادة الماضي- دراسات في شعر النهضة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠١ م .
- جابر عصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط٣ ،المركز الثقافي العربي ، بيروت ،١٩٩٢ م .
- جابر عصفور : مفهوم الشعر، مطبعة دار نشر الثقافة بالفجالة، ودار نشر الإصلاح ، الدمام ، د ت .
- جان بول سارتر : ما الأدب ؟ ، ترجمة محمد غنيمي هلال ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ١٩٧١م .
- جورج أنطويوس : يقظة العرب- تاريخ حركة العرب القومية ، ترجمة : ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، دار العلم للملاين، بيروت ،١٩٧٨م .
- حسن عبد الجليل يوسف : موسيقى الشعر العربي ، دراسة فنية عروضية ،ج/١ ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ،١٩٨٩م .
- حسين مروة : دراسات نقدية ، دار الفارابي ، ١٩٧٦م .
- خالد الكركي : الرموز التراثية العربية في الشعر العربي الحديث ، دار الجيل ، بيروت ، مكتبة الرائد العلمية ، عمان ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .
- خليل أبو جهجه : الحداثة الشعرية بين الإبداع والتنظير والنقد ، ط١ ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ١٩٩٥ م .
- خليل بنيان الحسون : في الضرورات الشعرية ، ط١،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ -١٩٨٣ م .
- خلقي خنفر : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ط١ ، الاعتصام للطباعة والنشر ، جامعة الخليل ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .
- داود غطاشة و حسين راضي : قضايا النقد العربي قديمها وحديثها ،الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع ، ط١ ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، عمان .
- رجاء عيد : فلسفة الالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ١٩٨٦م .
- روز غريب : النقد الجمالي وأثره في النقد العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٩ م .
- زكي نجيب محمود : مع الشعراء ، ط٣ ، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ،١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

- الزوزوني ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد : شرح المعلقات السبع ، دار الكتاب العربي، سوريا ،١٩٨٢م .
- سلمى الجيوسي : موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر ، ج/ ١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، عمان ، ١٩٩٧ م .
- السيد أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ط١ ،مكتبة الإيمان، المنصورة ،١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م .
- السيد ياسين : التحليل الاجتماعي للأدب ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٠م.
- السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق : فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٨ م .
- شكري عياد : فن الشعر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٧م .
- شوقي ضيف : البحث الأدبي ، ط٢ ، دار المعارف بمصر ،١٩٧٦ م .
- شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ، ط ٣ ، دار المعارف ، مصر ، د- ت .
- شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ،العصر العباسي الثاني ، ط٢ ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٧٥ م .
- شوقي ضيف : في النقد الأدبي ، ط ٦ ، دار المعارف ، القاهرة .
- صابر عبد الدايم : الأدب الصوفي ، اتجاهاته وخصائصه ، ط٢ ، دار المعارف بمصر ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
- صابر عبد الدايم : موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور ،ط٢ ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م .
- صادق أبو سليمان : في موسيقى الشعر - العربي العروض والقافية ، ط٢ ، الهيئة الخيرية ، جامعة الأزهر ، غزة ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .
- صالح أبو إصبع : الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨ حتى ١٩٧٥ دراسة نقدية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط١ يناير ١٩٧٩م .
- صلاح عبد الصبور : قراءة جديدة لشعرنا القديم ، منشورات اقرأ ، القاهرة.
- صلاح فضل : أساليب الشعرية المعاصرة ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٨م .
- صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ١٩٩٢م.
- ضياء الصديقي وعباس محجوب : فصول في النقد الأدبي وتاريخه: دراسة وتطبيق ، ط ١، ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٨٩م .

- طه أحمد إبراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ، دار الحكمة ، بيروت د- ت .
- عباس العقاد وإبراهيم المازني : الديوان في الأدب والنقد ، ط ٣ ، دار الشعب .
- عبد الباسط بدر : مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي ، دار المنارة ، السعودية ،١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- عبد الخالق محمود عبد الخالق : سيكولوجية الإبداع في الشعر الصوفي ،مؤتمر النقد الأدبي ، جامة البحرين ، ١٩٩٣م .
- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ط٣ ، تحقيق على عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ١٩٧٩ م .
- عبد الرحمن شكري : دراسات في الشعر العربي ، جمع وتحقيق محمد رجب البيومي ، ط١ ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٤١٥ هـ -١٩٩٤ م .
- عبد الرحمن محمد القعود : الإبهام في شعر الحداثة ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ٢٠٠٢م .
- عبد العزيز عتيق :علم العروض والقافية ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، د- ت .
- عبد العزيز النعماني : فن الشعر بين التراث والحداثة ، ط ١ ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٤١١هـ - ١٩٩١ م .
- عبد الفتاح صالح نافع : عضوية الموسيقى في النص الشعري ، ط١ ، مكتبة المنار ، الزرقاء ١٩٨٥ م .
- عبد القادر القط : الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥م.
- عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ، تعليق محمد رشيد رضا ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة .
- عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ط١، تحقيق محمد التنجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- عبد الله التطاوي : الشاعر مؤرخاً ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ، ١٩٩٦ م .
- عبد الله الغذامي : المشاكلة والاختلاف ،ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت ،١٩٩٤م .

- عبد الله الغذامي : الموقف من الحداثة ، ط١ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ،المركز الثقافي ، بيروت .
- عدنان حسين قاسم : الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي ، ط ١ ، مؤسسة علوم القرآن ، عجمان ودار ابن كثير بيروت ١٩٩٢ م .
- عدنان النحوي : الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام ، ط١ ، دار النحوي للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .
- عز الدين إسماعيل : الأسس الجمالية في النقد العربي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،١٤١٢هـ-١٩٩٢م .
- عز الدين إسماعيل : التفسير النفسي للأدب، دار العودة ودار الثقافة،بيروت، د- ت .
- عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر ، ط٣، دار الفكر العربي ،القاهرة ،١٩٦٦م .
- عزيز السيد جاسم : دراسات في الأدب الحديث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥ م .
- على أحمد الخطيب : قطوف من ثمار الأدب الإسلامي ، ط١ ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩٧ م .
- على جعفر العلاق : الشعر والتلقي ، دراسات نقدية ، دار الشروق ، عمان ، رام الله، ١٩٩٧م .
- علي محمد جريشة ومحمد شريف الزيبق : أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، ط٣، دار الاعتصام ، المدينة المنورة ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- عماد الدين خليل : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي،ط١، مؤسسة الرسالة ١٩٨٧م .
- عمر الدسوقي : في الأدب الحديث ، ط ٨ ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٣ م .
- فوزي عطوي : شرح المعلقات العشر ، الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت ،١٩٦١ م .
- القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني : الوساطة بين المتنبي وخصومه ،تحقيق وشرح أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ،القاهرة ،١٩٥١ م .
- القزويني : الإيضاح ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، ط ٣ ، ج / ٤ - ٦ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م .
- كامل السوافيري : الأدب العربي في فلسطين من سنة ١٨٦٠ - ١٩٦٠ م ، دار المعارف ،القاهرة ، ١٩٧٩م .

- ماكس أديريث : أدب الالتزام ، ترجمة عبد الحميد إبراهيم شيحة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٩ م .
- محمد إبراهيم حور : الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي ،دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، د – ت .
- محمد إقبال عروي : جمالية الأدب الإسلامي ، ط١، المكتبة السلفية بالدار البيضاء ، المغرب، ١٩٨٦م .
- محمد بن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، ط١ ، تحقيق محمود شاكر ، دار المدني ، جدة ١٩٨٧م .
- محمد بن عبد العزيز الدباغ : تيسير علم العروض والقوافي ، ط١، مكتبة الفكر الرائد، فاس .
- محمد حسين هيكل : ثورة الأدب ، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٩٩م .
- محمد حماسة عبد اللطيف : في بناء الجملة العربية ، ط ١، دار القلم، الكويت ، ١٩٨٢م .
- محمد زكي العشماوي : الأدب وقيم الحياة المعاصرة ، ط ٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- محمد عبد المنعم خفاجي: مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية ،١٩٩٥ م .
- محمد عطوات : الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر من ١٩١٨-١٩٦٨، ، ط١، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٩٨م .
- محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، دار الثقافة ودار العودة ، بيروت ، ١٩٧٣ م .
- محمد قطب : منهج الفن الإسلامي ، ط ٦ ، دار الشروق ، مصر ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- محمد محمد حسين : الإسلام والحضارة الغربية ، ط ٩ ، دار الرسالة ، السعودية ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .
- محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، ج١، ط٣، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م .
- محمد مندور : فن الشعر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .
- محمد مندور :النقد والنقاد المعاصرون ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، د- ت .

- محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، د – ت .
- محمد النويهي : وظيفة الأدب بين الالتزام الفني والانفصام الجمالي ، معهد البحوث والدراسات العربية ،القاهرة ، ١٩٦٧ م .
- محمود الربيعي : قراءة الشعر ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٧ م .
- محمود شوكت ورجاء عيد : مقومات الشعر العربي الحديث والمعاصر ، دار الفكر العربي .
- مجيد عبد الحميد ناجي: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م
- مسلم الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري : صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت د – ت.
- مصطفى صادق الرافعي : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د- ت .
- مصطفى عليان : مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي ، دار المنامة ، السعودية ، ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م .
- مصطفى ناصف :الصورة الأدبية، ط٢، دار الأندلس ، بيروت،١٩٨٣ م .
- مفيد محمد قميحة : الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر ، دار الآفاق ، بيروت .
- منيف موسى : نظرية الشعر عند الشعراء في الأدب العربي الحديث من خليل مطران إلى بدر شاكر السياب، دراسة مقارنة ، ط ١، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٨٤م .
- نادرة جميل سراج ، شعراء الرابطة القلمية ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٤.
- نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر ، دار العلم ، بيروت ١٩٨٣م .
- نبيل خالد أبو علي : عناصر الإبداع الفني ، ط١ ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس ١٩٩٩ م .
- نبيل خالد أبو علي : في نقد الأدب الفلسطيني، ط١ ،اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، غزة ٢٠٠١ م .
- نبيل راغب : التفسير العلمي للأدب نحو نظرية عربية جديدة ، الشركة المصرية العالمية للنشر، ١٩٩٧ م .

- نجوى صابر : النقد الأخلاقي ، ط ١ ، دار العلوم العربية ، بيروت ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .
- نجيب الكيلاني : الإسلامية والمذاهب الأدبية ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،١٤٠١هـ - ١٩٨١ م .
- نزار قباني : ما هو الشعر ، ط١ ، منشورات نزار قباني ، لبنان بيروت ، ١٩٨١م .
- وهب أحمد رومية : شعرنا القديم والنقد الجديد ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٦ م .
- ياسين النصير: إشكالية المكان في النص الأدبي، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، سنة ١٩٨٦م .
- **دواوين الشاعر محمد التهامي** :

١- الأعمال الكاملة – المجلد الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١ م .

- أغنيات لعشاق الوطن .
- أشواق عربية .
- دماء العروبة على جدران الكويت .
- قطرات من رحيق العمر .

٢- الأعمال الكاملة - المجلد الثاني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١ م .

- ديوان أنا مسلم ، المكتب المصري الحديث .
- ديوان يا إلهي ، دار البشير ، عمان ، ١٩٩٤م .
- أغاني العاشقين - ليس آخر .

**الصحف والمجلات** :

- صبري حافظ : الأدب والمجتمع ، مدخل إلى علم الاجتماع الأدبي ، مجلة فصول ، المجلد الأول ، العدد الثاني ، يناير ١٩٨١م .
- فؤاد زكريا : الأصالة والمعاصرة ، مجلة فصول ، المجلد الأول ، العدد الأول ، أكتوبر ١٩٨٠م .
- فاروق شوشة : عموديون يسبحون ضد التيار ، صحيفة الأهرام، العدد ٤٢٦٥٠ ، الأحد - ١٤ سبتمبر ٢٠٠٣م .
- مجلة الأدب الإسلامي : المجلد الأول ،العدد الرابع ، ربيع الثاني ١٤١٥ هـ .